

الكافي

في البلاغة

البيان البديع والمعاني

أعني الشيخ محمد باقر

أستاذ علوم اللغة بجامعة باكستان الإسلامية

تقديم

أ.د. / فاضل محمد

أ.د. / رشدي طهيم

أستاذة البلاغة والنقد لامية اللغة العربية
جامعة القاهرة

أستاذة ماجستير ودراسات اللغة العربية
ولمسية الأدب لامية لامية لامية
برسبا طوا المحسنة والامارات والامارات والامارات

فضيلة الشيخ د. / ياسر مرسلي
الداعية الاسلامي المعروف

الحال الواقعية للشرعية

صياغة وتقديم

رفع

عبد الرحمن محمد
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

الكافي

في البلاغة

البيان والبديع والمعاني

يشتمل تدريبات وإفية

تأليف

(أبو الحسن محمد بن عيسى)

أستاذ علوم اللغة بجامعة باكستان الإسلامية

تقديم

أ.د. نسي محمد بن

أستاذ البلاغة والنقد طية اللغة العربية
جامعة الأزهر

أ.د. رضى طه

أستاذ مناهج وطرق تدريس اللغة العربية
ولميدى الأسير لطفى لطفى
بدرى طوطى الصورة والامارات ولسان طوطى

فضيلة الشيخ د. ياسر برهانى
الداعية الاسلامى المعروف

بسم الله الرحمن الرحيم

أ.د. ب. الأثر الك خلف الجامع الأزهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

حقوق الطبع محفوظة

لدار التوفيقية للتراث

للطبع والنشر والتوزيع

الكتاب: الكافي في البلاغة

المؤلف: أيمن أمين عبد الغني

الناشر: دار التوفيقية للتراث - القاهرة

رقم الإيداع: ٢٠١١/٩١٩٧

دار التوفيقية للتراث

١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر القاهرة

تليفون: ٢٥١٠٥٦٦٢

اللَّهُمَّ

اللَّهُمَّ اكْتُبْ لَنَا....

وَلِمَنْ عَنِ بِهَذَا الْكِتَابِ....

أَوْ رَاجَعَهُ..، أَوْ قَرَأَ فِيهِ..، أَوْ حَمَلَهُ....

أَوْ سَاعَدَ فِي نَشْرِهِ مِنَ الْأَجْرِ..

عَدَدَ أَنْفَاسِ الْكَائِنَاتِ..

وَنُجُومِ السَّمَاوَاتِ..

وَعَدَدَ ذَرَّاتِ التُّرَابِ... وَعَدَدَ قَطْرَاتِ الْمَاءِ..

وَعَدَدَ الْحُرُوفِ الَّتِي كُتِبَتْ فِي كُلِّ اللُّغَاتِ..

وَعَدَدَ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ، وَمِلءَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا..

وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَهُ.

مقدمة الطبعة الجديدة

هَذَا لَكَ يَا رَبِّ أَنْ أَتِمَمْتَ عَلَيْنَا نِعْمَةَ الْإِسْلَامِ لَكَ، وَشَرَفَ الْإِيمَانِ بِكَ،
وَصَلَاةً وَسَلَامًا عَلَى خَيْرِ رَسَلِكَ، وَصَفْوَةِ أَنْبِيَائِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ... وبعد:

فَالْقُرْآنُ كُلُّهُ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ، وَقَدْ اجْتَهَدَ
الْعُلَمَاءُ فِي بَيَانِ أَسْرَارِ بَلَاغَتِهِ، فَأَذْرَكُوا بَعْضَهَا، وَخَفَى عَلَيْهِمْ بَعْضُهَا الْآخَرُ،
وَوُضِعَتْ فِي ذَلِكَ كُتُبٌ خَاصَّةٌ، مِثْلُ: غَرَائِبِ آيِ التَّنْزِيلِ لِزَيْنِ الدِّينِ الرَّازِي
الْخَلْفِي الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٦٦٦ هـ، وَالْبُرْهَانِ فِي تَوْجِيهِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ لِمَا فِيهِ مِنْ
الْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ، لِمَحْمُودِ بْنِ حَمْزَةَ الْكَرْمَانِيِّ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٥٠٥ هـ، وَفَتْحِ الرَّحْمَنِ
بِكَشْفِ مَا يَلْتَبِسُ فِي الْقُرْآنِ، لِلشَّيْخِ زَكْرِيَا الْأَنْصَارِيِّ... وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَعُلُومُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ - نَحْوًا وَصَرَفًا وَبَلَاغَةً - عُلُومٌ خَادِمَةٌ لِلْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ،
وَمَهْمَةٌ غَايَةُ الْأَهَمِّيَّةِ لِفَهْمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. وَالْجَهْلُ بِالْعَرَبِيَّةِ يُؤَدِّي إِلَى الْوُقُوعِ
فِي كَثِيرٍ مِنَ اللَّبْسِ وَالْغُمُوضِ.

وَحَقًّا فَالْقُرْآنُ مُعْجَزٌ لِلْبَشَرِ قَاطِبَةً إِعْجَازًا مُسْتَمِرًّا عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ، وَهَذَا مِنْ
جُمْلَةِ مَا شَمِلَهُ قَوْلُ أَيْمَةِ الدِّينِ: إِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْمُعْجِزَةُ الْمُسْتَمِرَّةُ عَلَى تَعَاقُبِ
السِّنِينَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يُدْرِكُ إِعْجَازُهُ الْعُقْلَاءُ مِنْ غَيْرِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ بِوَاسِطَةِ تَرْجُمَةِ مَعَانِيهِ.

وَحَسْبُنَا أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - تَجَدَّى بُلْغَاءَ الْعَرَبِ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَلَمْ
يَتَعَرَّضْ وَاحِدٌ إِلَى مُعَارَضَتِهِ، اعْتِرَافًا بِالْحَقِّ وَخَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْإِفْتِضَاحِ، مَعَ
أَنَّهُمْ أَهْلُ الْقُدْرَةِ فِي أَفَانِينَ الْكَلَامِ نَظْمًا وَشَرْعًا، وَقَدْ خُصُّوا مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ بِقُوَّةِ الذَّهْنِ،
وَشِدَّةِ الْحَافِظَةِ، وَفَصَاحَةِ اللِّسَانِ، وَتَبَيَّنَ الْمَعَانِي، فَلَا يَسْتَصْعِبُ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ.

قال عياض في (الشفاء): فلم يَزَلْ يَقْرَعُهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ التَّقْرِيعِ، وَيُؤَبِّخُهُمْ غَايَةَ التَّوْبِيخِ، وَيُسَفِّهُ أَحْلَامَهُمْ، وَهُمْ فِي كُلِّ هَذَا نَاكِصُونَ عَاجِزُونَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ، مُحْجَمُونَ عَنْ مُمِثْلَتِهِ، يَخَادِعُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالتَّكْذِيبِ وَالْإِفْتِرَاءِ وَالسَّحْرِ: ﴿ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [المائدة: ١١٠]، ولما سمع الوليد ابنُ المغيرة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]، قال: والله إنَّ له لحلاوة وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أَسْفَلَ لَمُغْدِقٌ، وإنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ، وما هو بكلامٍ بَشَرٍ.

وذكر أبو عبيدة أن أعرابياً سَمِعَ رجلاً يقرأ: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤] فَسَجَدَ، وقال: سَجَدْتُ لِفَصَاحَتِهِ، وكان موضع التأثير في هذه الجملة هو كلمة (اصْدَعْ) في إبانيتها عن الدعوة والجهر بها والشجاعة فيها، وكلمة ﴿ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ في إيجازها وجمعها.

لقد كانت قريش على ثقة من أن الذي يسمع القرآن يهتدي به، لذلك أَوْصَى بعضهم بَعْضًا أَلَّا يَسْمَعُوا الْقُرْآنَ، وَإِنْ سَمِعُوهُ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُحَرِّفُوا فِيهِ أَوْ أَنْ يَصْنَعُوا ضَجِيجًا يَحُولُ بَيْنَ السَّامِعِ لِلْقُرْآنِ وَتَدْبِيرِهِ، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦].

إنهم واثقون من أن القرآن يَقْهَرُهُمْ بِالْحُجَّةِ، وَيُفْجِمُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ، وَأَنَّهُمْ لَوْ اسْتَمَعُوا إِلَيْهِ لَوَجَدُوا فِيهِ حَلَاوَةً وَطَلَاوَةً تَسْتُلُّ مِنْ قُلُوبِهِمُ الْجُحُودَ وَالنُّكْرَانَ. وكأنهم بذلك يشهدون أن للقرآن أثراً في الفطرة الطبيعية للإنسان، وهم أصحاب المَلَكَةِ في البلاغة العربية.

فالبلاغة كما أَسَمَوْهَا هي النحو العالي، إنها قِمَّةُ الْخَبَرَةِ بِالتَّرَاكِبِ وَدِلَالَتِهَا مَعًا، وَالْإِعْرَابُ بَلَا شَكٍّ صُلْبُ النُّحُو الْعَرَبِيِّ وَنَشَاطٌ مِنْ أَنْشِطَتِهِ.

فهذا كتاب «الكافي في البلاغة» على أربعة أبواب، يشمل: (التمهيد - علم البيان - علم البديع - علم المعاني - تطبيقات - تدريبات)، وَجَاءَتْ مَادَّتُهُ بُلْغَةً وَاضِحَةً مُشَوِّقَةً، دُونَ تَعْقِيدٍ أَوْ حَشْوٍ، وَقَدْ اخْتِيرَتْ أَمْثَلَتُهُ وَشَوَاهِدُهُ نَاصِعَةً بَارِعَةً فِي تَوْضِيحِ الْقَاعِدَةِ، إِلَى جَانِبِ مَا تَمَتَّعَ بِهِ، مِنْ سُمُوِّ التَّعْبِيرِ، وَرَوْعَةِ الْأُسْلُوبِ، وَجَمَالِ الْأَدَاءِ، وَلِلَّهِ الْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ.

وَرَاعَيْتُ أَنْ تُعْرَضَ الْقَوَاعِدُ مُيسَّرَةً مُوضَّحَةً بِالشَّوَاهِدِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَالشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ، وَالْآثَارِ، وَالْحِكْمِ، وَالْأَمْثَلِ الْعَالِيَةِ الرَّفِيعَةِ.

وَاشْتَمَلَ الْكِتَابُ عَلَى تَدْرِيبَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ مُتَدَرِّجَةٍ شَامِلَةٍ، تُثَبِّتُ الْقَاعِدَةَ، فَيَسْتَفِيدُ الدَّارِسُ مِنْهَا.

وَمَا نَدْعِي لِهَذَا الْعَمَلِ الْكَمَالَ الْمَطْلُوقَ، فَمَا نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ، تَجْرِي عَلَيْنَا سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، فَيُثَبِّتُ مِنَّا الْقَلَمُ أَوْ يَزِلُّ، وَيَحْضُرُ مِنَّا الْفَهْمُ أَوْ يَغِيبُ، فَاللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَتَوَلِيَّ الصَّالِحِينَ، اجْعَلْ عَمَلِي هَذَا قُرْبَةً؛ أَذْنُو بِهَا مِنْكَ، وَاجْعَلْهُ صَاحِبًا مَقْبُولًا، وَسَعِيي فِيهِ مَرْضِيًّا مَشْكُورًا، وَانْفَعْ بِهِ اللَّهُمَّ مَنْ قَرَأَ فِيهِ، إِنَّكَ وَحْدَكَ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ.

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩].

وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم
والحمد لله رب العالمين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

حمداً لك يا ربّ أن أتممت علينا نعمة الإسلام لك، وشرف الإيمان بك،
وصلاةً وسلاماً على خير رسلِك، وصفوة أنبيائك محمد ﷺ، وعلى آله
وأصحابه الطيبين الطاهرين... وبعد:

فإنّ موضعَ البلاغة من العربية موضعُ الرأس من الإنسان، فهي مستودعُ
سرّها، ومظهرُ جلالها؛ ولذا فقد اتجهت همُّ العلماء والباحثين في مختلف العصور
إلى التأليف فيها، وبسط القول في بيان مراميها.

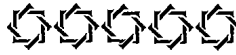
فاختلاف البعض إذا في علاقات المجاز ليس دليلاً على صحّة رأيٍ وفسادِ
الآخرين مادام لكل واحدٍ فهمه الدقيق وذوقه الرفيع، فالبلاغة لم تُصنّف لتوضع
في قوالب جامدة إزاء عقولٍ متحرّجة.

والحق أنّ اللغة العربية شيئاً لم يتوافر في أية لغة من اللغات، وذلك لاتساعها
ومرونتها، فقد يكون اللفظ الواحد صالحاً للمجاز فيكون مجازاً مرسلًا واستعارة
في وقتٍ واحدٍ، أو قد يكون للمجاز علاقتان أو أكثر، فالأمر هنا ما لاحظه
المتكلم، فإن لم يُعرف مقصده صحّ للمخاطب أن يعتبر ما يشاء، لكن بعد أن
يُعين النظر، ويرجح أكثرها قوةً وأشدّها ملاءمةً للغرض.

فعلينا أن نكثر من القراءة فيما خلفه لنا العرب من تراثٍ أدبيٍّ من التنظيم
والثبوت في مختلف العصور، فإننا إن فعلنا ذلك ظفّرنا بملكّة مؤاتية وحظّ من

الأدب عظيم، ونسأل الله أن يجنبنا الزلل، ويعفو عن الخطأ، وأن يجد القراء بُغيتهم في هذا العمل، والحمد لله رب العالمين.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا مُسِيئِينَ أَوْ أخطَانَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].



مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم ﷺ، سيدنا محمد عليه أفضل الصلوة والتسليم، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

فَرُبَّ كَلِمَةٍ حَسُنَتْ فِي مَوْطِنٍ، ثُمَّ كَانَتْ مُسْتَكْرَهَةً فِي مَوْطِنٍ آخَرَ، وتلك من البلاغة التي هي تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النَّفْسِ أَثَرٌ خَلَابٌ، مع ملاءمة كُلِّ كَلَامٍ للموطن الذي يقال فيه، وللأشخاص الذين يخاطبون.

وقد حَاوَلْتُ - بفضل الله تعالى - شَرْحَ علومِ البلاغة (البيان - البديع - المعاني) بعيداً عن التعقيدات والأمثلة المفتعلة التي لا وجودَ لها في استخدام المعاصرين للفصحى، وَأَنْهَيْتُ هذا الشرح بتدريباتٍ يَجِبُ عنها الطالب؛ ليكسب دُرْبَةً وَخَبْرَةً.

وأرجو أن يكونَ هذا العملُ خالصاً لوجهِ اللَّهِ سبحانه، وأن يفيدَ منه القُرَّاءُ من طَلَبَةِ العلم، على قَدَرِ بُنْيَانِ الهَدَفِ وإخلاصِ القصد، وأن يكونَ سَبِيلاً مُيسِّراً لخدمَةِ لغَتِنَا العربية، والحمدُ لِلَّهِ ربِّ العالمين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم أ. د / رشدي طعيمة

﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٩].

إنه لمن دواعي السرور أن أكتب هذا التقديم لشقيق عزيز، وهو العالم الجليل الأستاذ (أيمن أمين) الذي لا أستكثر عليه موقعاً في مُجمع الخالدين، وفي زمرة العلماء البارزين، وهو واحد من خيرة العلماء والباحثين، وجدير بذلك.

ولقد تصدى الأستاذ أيمن أمين لقضية شائكة وشائقة تلك هي قضية اللغة التي تعدُّ مفتاح العلوم، والتي تعدّ منطلق الفكر وهمزة الوصل بين قطاعات العلم المختلفة.

فاللغة تواصل ولا يُتصوّر حوار بين فردين إلا وكانت اللغة وسيلته.

من هنا تبرز القيمة الكبيرة لهذا الكتاب العظيم الذي يضم بين دفتيه موسوعة علمية غزيرة، فضلاً عما تميز به من منهجية، ولئن كان العلماء قد فرّقوا بين الأصالة والمعاصرة من عدة وجوه؛ فإن العمل الذي بين أيدينا يجمع بينهما في منظومة متكاملة تجمع بين العلم والفن.

فالكتاب موسوعة علمية ذات أبعاد مختلفة، ومنهجية علمية بارزة، ففيها تسلسل في عرض الموضوعات، وسلاسة في الأداء اللغوي، مما يجعل له قيمة علمية متميزة، وأصالة لا يخفى على أحد أبعادها.

ولقد اشتمل الكتاب على تدريبات كثيرة ومتنوعة، إضافةً إلى ما تميّز به هذا العمل من أبعاد الثقافة العربية الإسلامية، ومن القيم الإسلامية المستمدة من

كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فضلاً عن الشواهد والمقتطفات الشرعية التي وضعت في مكانها مما يجعل له دلالة خاصة ويجعل من الكتاب عملاً علمياً وموسوعياً بكل المعايير.

إنني من أعمق أعماقي أهني تهنئة صادقة لهذا الكاتب المبدع، والعالم المحقق، والمفكر الذكي، والرجل الجاد أيمن أمين، الذي لا يألو جهداً في سبيل التدقيق، والذي لا يدخر وسعاً في سبيل الإجابة.

وتحيةً مني لهذا الجهد العلمي الخلاق الذي يضعه بلا تجاوز في مصاف علماء اللغة البارزين، وليس من قبيل الشناء أن توضح قيمة هذا الكتاب على ما به من قضايا وأفكار، تجعله على رأس كتب البلاغة، فقد ربط بين عبق التراث وأصالته، وسهولة الحديث وسلاسته.

وأسأل الله أن ينفع به، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسنات كاتبنا العظيم.. وبالله التوفيق.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الأستاذ الدكتور فتحي حجازي

كلمة وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتتواصل المراتد، حمداً يوافي نعمه المتواليات ويكافئ مزيد فضله في الأرض والسموات، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان الجليلان على أفصح مَنْ نطق بالضاد، وأفاد المراد، وأجاد البيان، وعلم الإنسان، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأبرار، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، واجعلنا منهم يا رب العالمين.

وبعد...

فالله الكريم على عباده يقول في محكم آياته: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝﴾ [الرحمن: ١-٤].

ويقول المصطفى الذي لا ينطق عن الهوى فيما رواه سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا». رواه البخاري ومسلم.

ومنذ أن نزل القرآن العظيم والنبى ﷺ يشرح للناس بكل بيان أسرار هذه الحياة، ويشرع لهم ما به تكون سعادتهم في الأولى والآخرة، ومعلوم أن السعادة كل السعادة في التعرف على من وبه قامت الكائنات، وبيده أمر الأرض والسموات:

وليست السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخراً وعند الله للأتقى مزيد

لهذا، كان ميراث الأنبياء والمرسلين علماً ينتفع به، وفيضاً من الأنوار نستضيء منه:

أبا بكر دعوتك لو أجبنا إلى ما فيه رشدك لو عقلنا
إلى علم تكون به إماماً مطاعاً إن أمرت وإن نهينا
لئن جلس الغني على الحشايا فأنت على الكواكب قد جلستا
لئن رفع الغني لواء مال فأنت لواء علمك قد رفعتا

وأفضل العلوم ما يتصل بهذه المعرفة بالله العلي العظيم، وأولها علم التوحيد، وبعده سائر علوم الشريعة، لكن لا يستطيع المتعلم والعالم فهم هذه الفنون إلا بعلوم العربية، فعلم اللسان هي آلة البيان، والموصل إلى الواجب فهو واجب، لذا كانت العلوم العربية مفتاحاً للعلوم الشرعية فصارت من هذا الباب علومًا دينية، الأخذ بها واجب العلماء، قبل الشروع في فهم الأحكام، ومعرفة الحلال والحرام.

وانظر إلى علماء الأمة إلى يوم الناس هذا فإنك تجد العلوم اللسانية في مقدمة العلوم الشرعية لأن علم اللسان مفتاح الأحكام، وقرأ عن الإمام الأعظم أبي حنيفة، والشافعي، ومالك، وأحمد، ترى علم اللسان قبل تدبر القرآن واستخراج الأحكام، ومن لم يكن على هذا المنوال فقد ضلّ السبيل، وصارت أحكامه بلا بيان.

وأول علم في ميدان العربية: النحو لضبط أواخر الكلمات في نظم العبارات، ثم الصرف لبناء الكلمات في التصاريف المتفرعة، ثم اللغة لضبط الحركات والسكنات قبل النهايات، ثم يأتي علم البلاغة لإخراج الأسرار من علاقات الكلم في نظم المعاني ببديع العبارات.

وبهذا التحديد نلاحظ أن هذا الفن (البلاغة) يجمع سائر الفنون العربية، ويزيد عليها بالوقوف أمام النظم لاستخراج بديع الأسرار، والتقاط جواهر المعاني من خلال علاقات المباني في هذه البحار، ولعمري لقد أنفق العلماء أعمارهم في هذا الميدان، وقرأ كتب المفسرين وطالع شروح المحدثين، وانظر آثار الناصحين والمرشدين، فإنك ترى فيضاً من علوم البيان، فهذا العلم يملأ النفس ببديع الأسرار، ويحرك الأذهان بجميل الأفكار، ويدعو المشاعر للتجوال آناء الليل وأطراف النهار.

وبعد...

فهذا أخونا وابننا الأستاذ الشيخ / أيمن أمين عبد الغني يدلوه بدلوه في علوم العربية؛ نحوًا، وصرفًا، وضبطًا، وبلاغة، ليكون له أثره في هذا السبيل، فينتفع الناس بفقهِ العربية في هذه الحياة، وله ولهم الثواب الجزيل من الله الجليل ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

وقد قدّم أعماله بلسان عربي مستقيم، وله بيانه الرائق الصافي في هذا السبيل، وقد جمع من هذه العلوم ما استطاع ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فجزاه الله من فضله على ما قدّم، وهدى به الأمة في هذا الزمان الذي عمت فيه الفتن، وبعُد الناس فيه عن دينهم، ولغتهم، وآدابها في حياتهم، وكفانا - سبحانه - ما أهمنا وغمنا، ونصرنا بديننا، وأيدنا بأدب رسولنا ﷺ ورضي عنا في الدنيا والآخرة، إنه نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم الدكتور الشيخ ياسر برهامي

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا.

من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِّل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ
مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ
رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [يُضْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا] [الأحزاب: ٧٠، ٧١].
(أما بعد...

فقد اطلعت على الجزء الماتع الذي كتبه الأخ الفاضل / أيمن أمين عبد الغني
إلى المجاز في القرآن واللغة، وكتابته (الكافي في البلاغة) وهي مسألة مهمة
وحساسة.

وما وصل إليه فيها من وقوع المجاز في القرآن، كما هو واقع في اللغة، هو ما
أراه صواباً.

وإن كنت أرى الخلاف بين الجمهور وبين شيخ الإسلام ابن تيمية فيها هو خلاف لفظي عند التأمل؛ خاصة أن شيخ الإسلام ابن تيمية في الرسالة المدنية قد أثبت صحة استعمال الكلمة في المعنى المؤول، وهو في الحقيقة المعنى المجازي بشروط أربعة... ذكرها، فقد أقرّ إذن صحّة المجاز بشروط منتفية في باب الصفات الذي حاول منه أهل البدع نفي الصفات.

جزى الله خيرًا مؤلف هذا الكتاب، ونفع به قارئه وناشره، وأسأل الله أن يتقبله منه... آمين.



الباب الأول تمهيد

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تمهيد

ليست البلاغة قواعد جامدة كالجثة الهامدة، لا حس فيها ولا حركة، ولا روح ولا حياة، وليست كما يظنُّها بعضنا عبارات مصنوعة جامدة وضعت في قوالب ثابتة، لا يجوز مخالفتها.

البلاغة في اللغة:

تفيد البلاغة معنى البلوغ والوصول والانتهاء، فعندما نقول: بلغ الغلام، أي: أدرك ووصل سن البلوغ والرشد.

ويقال: بلغت المنزل، أي: وصلت إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا﴾ [النور: ٥٩].

أي: وصلوا إلى سن البلوغ.

ومنه قوله: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ [الطلاق: ٢].

أي: قاربتهن وصلن إليه.

إذن: فالبلاغة عند أهل اللغة هي حسن الكلام مع فصاحته وأدائه لغاية المعنى المراد.

والرجل البليغ هو من كان فصيحاً، حسن الكلام، يبلغ بعبارة لسانه غاية المعاني التي في نفسه، مما يريد التعبير عنه وتوصيله لمن يريد إبلاغه ما في نفسه.

وأصل مادة الكلمة في اللغة تدور حول وصول الشيء إلى غايته ونهايته، أو إيصال الشيء إلى غايته ونهايته.

تقول لغة: بلغ الشيء يُبْلَغُ بُلُوعًا وبلاغًا، إذا وَصَلَ وانتهى إلى غايته.
وتقول: أبلغت الشيء إبلاغًا وبلاغًا، وبلغته تبليغًا، إذا أَوْصَلْتَهُ إلى غايته
ونهايته.

وَبَلَغَ الْغُلَامُ وَبَلَغَتِ الْجَارِيَةُ، إذا وَصَلَا إلى انتهاء مرحلة ما دون التكليف،
ودخلا في مرحلة التكليف، ويكون ذلك باحتلام الغلام وحيض الجارية، ويُقال:
ذَكَرَ بَالِغٌ، وَأُنْثَى بَالِغٌ وبالغة.

والأمر البالغ، هو الأمر الذي وَصَلَ إلى غايته فكان نافعًا.
والبلاغة تكون وَصْفًا للكلام، ووصفًا للمتكلم.

بلاغة الكلام في الاصطلاح:

هي مطابقة الكلام لمقتضى حال من يُخاطَبُ به مع فصاحة مُفْرَدَاتِهِ وَجُمْلِهِ.
فيشترط في الكلام البليغ شرطان:

١- أن يكون فصيح المُفْرَدَاتِ والجمل.

٢- أن يكون مطابقًا لمقتضى حال من يُخاطَبُ به.

ولما كانت أحوال المخاطبين مختلفة، وكانت كل حالة منها تحتاج طريقة من
الكلام تُلائمها، كانت البلاغة في الكلام تَسْتَدْعِي انتقاء الطَّريقةِ الْمُلائِمَةِ لحالة
المخاطب به، لبُلُوغِ الكلامِ مِنْ نَفْسِهِ مَبْلَغَ التَّأْثِيرِ الْأَمْثَلِ المرجو.

الأحوال التي تستدعى اختلافًا في طرائق الكلام وأساليبه:

١- ما يستدعى من الكلام إيجازًا.

٢- ما يستدعى من الكلام بَسْطًا متوسِّطًا.

٣- ما يستدعى من الكلام بَسْطًا مُطَوَّلًا.

البلاغة في الاصطلاح:

البلاغة هي أن يبلغ المتكلم مراده من المعاني من خلال الكلام.

أو هي الإيجاز من غير خلل، أو التفصيل من غير ملل.

أو هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

ومن مجموع هذه التعريفات للبلاغة نفهم أن البلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر جذاب، مع تناسب كل كلام للموقف الذي يقال فيه، والأشخاص الذين مخاطبون.

أو هي ملكة وموهبة في نفس هذا المتكلم يستطيع هذا المتكلم أن يعبر عن المعنى الموجود في نفسه مع مراعاة حال المخاطب من حيث الذكاء والغباء والتوسط، ومن حيث تصديق المخاطب بما يقال أو شكه فيه أو جحوده وإنكاره له.

ومن هنا يتضح لنا أن المتكلم البليغ يختلف كلامه على حسب المخاطب، سواء أكان المخاطب منكراً جاحداً، وسواء أكان مخاطباً شاكاً، أم مُصدّقاً.

ولذلك فقد استدلل البلاغيون بتلك الرواية التي تروى عن أبي عباس المبرّد النحوي، حيث روى الكندي (الفيلسوف) جاء يوماً يقول: «إني أجد في كلام العرب حشواً»، يقولون:

- عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ.

- إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ.

- إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَقَائِمٌ.

والمعنى واحد.

فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: بَلِ الْمَعَانِي مُخْتَلِفَةٌ، فَ(عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ) إخبار عن قيامه، و(إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ) جواب عن سؤال سائل، و(إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَقَائِمٌ) جواب عن إنكار مُنْكَرٍ.

ملاحظات:

فَإِذَا كَانَ الْمُخَاطَبُ جَاحِداً مُنْكَرًا فَيَجِبُ أَنْ تَكَلِّمَهُ بِأَكْثَرِ مِنْ مُؤَكِّدٍ؛ لِأَنَّ التَّوَكِيدَ هُوَ الْمُنَاسِبُ لَهُ، حَيْثُ تَقُولُ لَهُ: وَاللَّهِ إِنَّ الْبَلَاغَةَ لَمُفِيدَةٌ، وَإِذَا كَانَ الْمُخَاطَبُ مُتَرَدِّداً أَوْ شَاكًا فَيَكْفِي مُؤَكِّدٌ وَاحِدٌ، حَيْثُ تَقُولُ لَهُ: إِنَّ الْبَلَاغَةَ مُفِيدَةٌ، وَإِذَا كَانَ الْمُخَاطَبُ مُصَدِّقًا مُسَلِّمًا فَلَا دَاعِيَ لِلتَّوَكِيدِ، حَيْثُ تَقُولُ لَهُ: الْبَلَاغَةُ مُفِيدَةٌ.

وَإِذَا كَانَ الْمُخَاطَبُ ذَكِيًّا فَيَفْضَلُ أَنْ تَكَلِّمَهُ بِ (الِإيجاز) أَي: الْإِخْتِصَارِ فِي الْكَلَامِ؛ لِأَنَّ الذَّكِيَّ يَفْهَمُ بِالْإِشَارَةِ وَالتَّلْمِيحِ.

بَيْنَمَا الْمُخَاطَبُ الْغَبِيُّ يُفْضَلُ أَنْ تَكَلِّمَهُ بِ (الِإِطْنَابِ) أَي: التَّفْصِيلِ وَالْإِكْثَارِ مِنَ الْكَلَامِ؛ لِأَنَّ الْغَبِيَّ يَفْهَمُ بِالتَّكْرَارِ وَالتَّصْرِيحِ، إِذْ إِنَّهُ بَلِيدٌ فِي الْإِحْسَاسِ.

وَإِذَا كَانَ الْمُخَاطَبُ مُتَوَسِّطًا بَيْنَ الذِّكَاةِ وَالْغَبَاةِ فَيَفْضَلُ أَنْ تَكَلِّمَهُ بِ (بِالتَّوَسُّطِ) وَالمِزَاجَةِ وَالمِساوَةِ) أَي: الْجَمْعَ بَيْنَ الْإِيجَازِ وَالتَّفْصِيلِ.

وَلِهَذَا كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَعْلَى طَبَقَاتِ الْبَلَاغَةِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِأَحْوَالِ الْبَشَرِ كُلِّهَا ظَاهِرَهَا وَخَفِيَّهَا.

أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَبَّ تَخْتَلِفُ مُعَامَلَتُهُ مَعَ ابْنِهِ الصَّغِيرِ عَنْ مُعَامَلَتِهِ لَابْنِهِ الْكَبِيرِ عِنْدَ مُحَاوَلَتِهِ إِِرْضَاءَ كُلِّ مِنْهُمَا؟!

أَلَا تَرَى - أَيُّهَا الْقَارِئُ - أَنَّ مُعَامَلَتَكَ لَوَالِدِكَ أَوْ لِأَسْتَاذِكَ أَوْ لِرَبِّكَ فِي الْعَمَلِ تَخْتَلِفُ عَنْ مُعَامَلَتِكَ لَصَدِيقِكَ أَوْ مَنْ هُوَ أَقْلُ مِنْكَ؟!

كيف يمتلك الإنسان البلاغة؟

لا سبيل إلى امتلاك البلاغة إلا بِمُداوِمَةِ النَّظَرِ فِي كِتَابِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وأحاديثِ الرسولِ ﷺ والاطلاع على روائعِ الكلامِ العربيِّ شِعْرًا وَنَثْرًا، وخاصةً بعد وجودِ مَوْهَبَةٍ، يَمُنُّ اللَّهُ تعالى بها على من يشاء من عباده، وعندئذٍ يستطيعُ المتكلمُ أن يستخدمَ البلاغةَ في أيِّ مَوْقِفٍ من المواقِفِ، وفي أيِّ فنٍّ مِنْ فُنُونِهِ كَالْمَدْحِ، وَالذَّمِّ، وَالْفَخْرِ، وَالرِّثَاءِ، حيثُ يستخدمُ ذلك كُلَّهُ متى شَاءَ دُونَ عَنَاءٍ، وَيَكُونُ أسلوبُهُ واضحَ المعنى، رائعَ التعبيرِ، مكتملَ الفصاحةِ، قويَّ التأثيرِ.

وللتدريبِ والتمرينِ دَوْرٌ كبيرٌ في تَكْوِينِ الذَّوْقِ الفَنِيِّ، وتنشيطِ الموهبةِ الفاترة، ولا بدَّ للطالبِ - إلى جانب ذلك - من قراءة طرائفِ الأدبِ، ونقدِ الآثارِ الأدبيةِ والمقارنةِ بينها، وأن يكونَ له من الثقةِ بنفسه ما يدفعه إلى الحكمِ بحسن ما يراه حسنًا وبقبح ما يعُده قبيحًا.

وليسَ هناك من فَرْقٍ بينَ البليغِ والرَّسَامِ إِلَّا أَنَّ البليغَ يَتَنَاوَلُ المسموعَ من الكلامِ، بينما الرَّسَامُ يجمع بين المرئيِّ من الألوانِ والأشكالِ.

فالرَّسَامُ إذا همَّ بِرِسْمِ صورةٍ فَكَّرَ في الألوانِ الملائمةَ لها، ثم في تَنَاسُقِ هذه الألوانِ بحيث تجذبُ الأبصارَ وتثير الوجدانَ.

والبليغُ إذا أرادَ أن يُنشِئَ قصيدةً أو مقالةً أو خطبةً فَكَّرَ في أجزائها، ثم دعا إليه من الألفاظِ والأساليبِ أَخفَّهَا على السَّمْعِ، وأكثرَها اتصالًا بموضوعه، ثم أقواها أثرًا في نفوسِ سَامِعِيهِ وأزوعَها جمالًا.

فوائد دراسة البلاغة:

١ - تَذَوُّقُ اللُّغَةِ، وَالتَّمَتُّعُ بِهَا، وَفَهْمُهَا فَهْمًا دَقِيقًا.

٢ - تُسَاعِدُ الأعاجِمَ في الوصولِ إلى المعنى المقصودِ مِنَ النَّصِّ.

٣- تُسَاعِدُ الْمُتَلَقَّى فِي التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ.

٤- تَبَيَّنَ مَوَاطِنَ الْجَمَالِ، وَتَكْشِفُ أَسْرَارَ الْكَلَامِ.

٥- تُعْطَى مِيزَانًا لِلدَّارِسِ يَسْتَطِيعُ مِنْ خِلَالِ هَذَا الْمِيزَانِ مَعْرِفَةَ مَا هُوَ جَيِّدٌ، وَمَا هُوَ غَثٌّ، كَمَا يُمْكِنُهُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ الْمَاءِ الْمَالِحِ، وَالْمَاءِ الْعَذْبِ، وَكَذَلِكَ الطَّعَامِ السَّائِغِ وَالطَّعَامِ الْعَلَقَمِ.

٦- حَصُولُ الْمَتْعَةِ وَالسَّعَادَةِ لِلدَّارِسِ عِنْدَمَا يَقْرَأُ أُسَالِيبَ الْعَرَبِ وَيَحَاكِهَا.

٧- وَسِيلَةٌ مُبَاشِرَةٌ لِفَهْمِ كِتَابِ اللَّهِ وَهَدْيِ رَسُولِهِ ﷺ.

وظائف:

- وَظِيفَةُ عِلْمِ الصَّرْفِ: النَّظَرُ فِي أُبْنِيَةِ الْأَلْفَاظِ وَاسْتِقَاقِهَا.

- وَظِيفَةُ عِلْمِ النُّحُو: النَّظَرُ فِي إِعْرَابِ الْأَلْفَاظِ وَضَبِطِ آخِرِهَا.

- وَظِيفَةُ عِلْمِ الْمَعَانِي: يَسَاعِدُ فِي تَوْصِيلِ الْمَعْنَى بِطَرِيقَةٍ صَحِيحَةٍ مِنْ نَفْسِ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى ذِهْنِ السَّامِعِ.

- وَظِيفَةُ عِلْمِ الْبَيَانِ: يَجْعَلُ الْكَلَامَ وَاضِحًا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ.

- وَظِيفَةُ عِلْمِ الْبَدِيعِ: يَسَاعِدُ فِي تَحْسِينِ الْكَلَامِ تَحْسِينًا لَفْظِيًّا ظَاهِرًا.

وَالْكَلَامُ مِنْ حَيْثُ الْمَعَانِي وَالْبَيَانُ يَقَالُ إِنَّهُ:

فَصِيحٌ: مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ؛ لِأَنَّ الْفَصَاحَةَ تَنْظُرُ إِلَى اللَّفْظِ دُونَ الْمَعْنَى.

بَلِيجٌ: مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى جَمِيعًا؛ لِأَنَّ الْبَلَاغَةَ تَنْظُرُ إِلَى اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى.

وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ السَّبِغَاءَ يُسَمَّى فَصِيحًا وَلَا يُسَمَّى بَلِيجًا؛ لِأَنَّهُ يَقِيمُ حُرُوفًا،

وَلَيْسَ لَهُ قَصْدٌ إِلَى الْمَعْنَى.

وَيَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى الْكَلَامُ الْوَاحِدُ فَصِيحًا بَلِيجًا إِذَا كَانَ سَهْلَ اللَّفْظِ، وَاضِحًا.

وبعض العلماء يرون أن الفصاحة والبلاغة بمعنى واحد، ويدلان على شيء واحد، كعبد القاهر الجرجاني وأبي هلال العسكري والرازي والجوهري رحمهم الله.

الغرض من دراسة علوم البلاغة والأدب:

البلاغة بفنونها الثلاثة (البيان - البديع - المعاني) وسائر الفنون الأدبية التي نبه عليها العلماء، ليست إلا بحوثاً وتتبعات لاكتشاف عناصر الجمال الأدبي في الكلام، ومحاولات لتحديد معالمها، ووضع بعض قواعدها، دون أن تستطيع كل هذه البحوث والدراسات جمع كل عناصر الجمال الأدبي في الكلام، أو استقصاءها، واكتشاف كل وجوهها.

فالجمال كثيراً ما يتذوقه الحس الظاهر والشعور الباطن، دون أن يستطيع الفكر تحديد كل العناصر التي امتلكت استحسانه وإعجابه، وإن عرف منها الشيء الكثير، واستطاع أن يفرزه ويحدد معالمه.

إن آفاق الجمال أوسع من أن تُحدد أو تُحصَر، ولكن يُمكن اكتشاف بعض عناصر الجمال، وكلياته العامة، وطائفة من ملامحه.

والغرض من عرض فنون البلاغة وعلومها، وللمذاهب الأدبية المختلفة، وللأمثلة الأدبية الراقية المقرونة بالتحليل الأدبي والبلاغي، تربية القدرة على الإحساس بعناصر الجمال الأدبي في الكلام الأدبي الرفيع، وتربية القدرة على فهم النصوص الجميلة الراقية، والقدرة على محاكاة بعضها في إنشاء الكلام، والقدرة على الإبداع والابتكار لدى الذين يملكون في فطرتهم الاستعداد لشيء من ذلك.

وليس الغرض من دراسة هذه الفنون والعلوم والمذاهب والنصوص،

الجمودَ في قوالبِ ما اسْتُخْرِجَ مِنَ العنَاصِرِ الجَمَالِيَةِ، وما وُضِعَ مِنْ قَوَاعِدَ، دونَ اكتسابِ الإحساسِ المُرْهَفِ بِمِوَاطِنِ الجَمَالِ، لِتَقْدِيمِ الأفكارِ، وصياغةِ الكلامِ صياغةً أدبيّةً بليغةً.

فَمَعَ ضُرُورَةُ التَّسْلُحِ بِهذهِ الدِّرَاسَةِ، والاطِّلاعِ الواسِعِ عَلَى النُّصُوصِ الأدبيّةِ الجميلةِ الرَاقِيَةِ، وَدِرَاسَتِهَا دِرَاسَةً تَحْلِيلِيَّةً تَكْشِفُ عَنْ جِوَانِبِ الجَمَالِ والإِبْدَاعِ فِيهَا عَلَى قَدْرِ الاستِطَاعَةِ، لَا يَصِحُّ بِحَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ الجُمُودُ عِنْدَهَا دُونَ مَحَاوِلَاتِ الابتكارِ والإبداعِ والتجديدِ، بِشَرَطِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الابتكارُ قَادِرًا عَلَى انتزاعِ إعجابِ ذَوِي الإحساسِ المُرْهَفِ، وَالذَّوْقِ الرَّفِيعِ فِي إدراكِ الكلامِ الأدبيِّ الجميلِ البليغِ.

هذه الحقيقةُ لا بُدَّ مِنْ مَلاحَظَتِهَا دَوْمًا لَدَى آيَةِ دِرَاسَةِ بلاغيّةٍ وأدبيّةٍ، وَلَدَى إنْشاءِ أَيِّ نَصٍّ أدبيٍّ جَدِيدٍ.

وَمِنْ الخَيْرِ دَوْمًا لِلإنْسَانِ أَنْ يَضَعَ الصُّورَةَ الأدبيّةَ الَّتِي دَرَسَهَا بلاغيًّا أَوْ أدبيًّا، وَيُنْشِئَ كَلَامَهُ عَلَى قَالِبِهَا، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ أَحْسَنَ كَلَامَهُ.

إِنَّ تَرْبِيَةَ الذَّوْقِ وَالْمَلَكَةَ البَيَانِيَّةَ، مَعَ تَلْقَائِيَّةِ الأداءِ التَّعْبِيرِيِّ لَدَى إنْشاءِ الكلامِ كِتَابَةً أَوْ ارْتِجَالًا، عِنْدَ مَنْ يَمْلِكُ الاستعدادَ لِأَنْ يَكُونَ أدبيًّا بليغًا، هِيَ الكَفِيلَةُ بِتَفْجِيرِ الإبداعِ المَطْلُوبِ فِي الأدبِ، بِشَرَطِ عَدَمِ الخُرُوجِ عَنْ ضَوَابِطِ قَوَاعِدِ اللُّغَةِ وَأَصُولِ البَيَانِ.

وَمِنْ جَيِّدِ مَا قَرَأْتُ فِي التَّعْرِيفِ بِخَيْرِ الكلامِ، قَوْلَ «خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ» وَهُوَ مِنْ فَصَحَاءِ العَرَبِ المَشْهُورِينَ، كَانَ يَجَالِسُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العَزِيزِ، وَهَشَامَ بْنَ عَبْدِ المَلِكِ، ثَوَقِي نَحْوَ (١٣٣ هَجْرِيَّةً): (خَيْرُ الكلامِ مَا طُرِفَتْ مَعَانِيهِ، وَشُرِفَتْ مَبَانِيهِ، وَالتَّدَهُ آذَانُ سَامِعِيهِ).



الفصاحة

الفصاحة في اللغة:

الإفصاح والوضوح والبيان والظهور.

يقال: فَصَحَ الرَّجُلُ فَصَاحَةً فَهُوَ فَصِيحٌ، إِذَا كَانَ فِي كَلَامِهِ قَادِرًا عَلَى أَنْ يُبَيِّنَ مُرَادَهُ بِوُضُوحٍ دُونَ عَجْزٍ، وَلَا تَلَكُّوْ، أَوْ تَعَثُّرٍ، فِي نُطْقِ الْأَلْفَاظِ، أَوْ فِي اخْتِيَارِ الْكَلِمَاتِ الدَّلَالَتِ عَلَى مَا يُرِيدُ إِيضَاحَهُ مِنَ الْمَعَانِي لِلْمُتَلَقِّينَ.

وَيُجْمَعُ (فَصِيح) عَلَى فَصَحَاءَ، وَفِصَاحٍ، وَفُصُحٍ. وَالْأُنْثَى فَصِيحَةٌ، وَتُجْمَعُ عَلَى: فَصَائِحٍ.

ويقال: كَلَامٌ فَصِيحٌ، إِذَا كَانَ الْمُرَادُ مِنْهُ وَاضِحًا.

ويقال: لِسَانٌ فَصِيحٌ، إِذَا كَانَ طَلْقًا فِي نُطْقِ الْكَلَامِ مُبَيِّنًا لَا يَتَعَثَّرُ.

والرجلُ الفصيح هو المنطلق اللسان في القول، الذي يَعْرِفُ جَيِّدَ الْكَلَامِ مِنْ رَدِيئِهِ.

قال تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [النقص: ٣٤].

أي: أَوْضَحُ مِنِّي كَلَامًا، وَأَبَيِّنُ نُطْقًا، وَأَظْهَرُ قَوْلًا.

ويقال: أَفْصَحَ الصَّبِيُّ فِي كَلَامِهِ، أَي بَانَ كَلَامُهُ وَظَهَرَ وَوَضَحَ.

ويقال: أَفْصَحَ الْفَجْرُ، أَي: أَضَاءَ وَبَانَ وَظَهَرَ.

ويقال: أَفْصَحَ الْأَعْجَمِيُّ، أَي: أَبَانَ كَلَامُهُ وَظَهَرَ.

ويقال: أَفْصَحَ الصُّبْحُ، أى: ظَهَرَ.
وَأَفْصَحَ الْمُتَحَدِّثُ عَنْ مُرَادِهِ إِذَا بَيَّنَّهُ.
وَفْصَحَ اللَّبَنُ إِذَا أُزِيلَتِ الرَّغْوَةُ مِنْ سَطْحِهِ فَبَانَ وَظَهَرَ.

الفصاحة عند علماء البلاغة:

ذَكَرَ عُلَمَاءُ الْبَلَاغَةِ أَنَّ الْفَصَاحَةَ تَأْتِي وَصْفًا لِلْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ، وَوَصْفًا لِلْكَلامِ، وَوَصْفًا لِلْمُتَكَلِّمِ، فيقال: كَلِمَةٌ فَصِيحَةٌ، وَكَلَامٌ فَصِيحٌ، وَمُتَكَلِّمٌ فَصِيحٌ.
فَقَدْ تَجِدُ طَالِبَ عِلْمٍ صَغِيرًا، غَيْرَ أَنَّ لُغَتَهُ بَلِيغَةٌ عَظِيمَةٌ، وَقَدْ تَجِدُ عَالِمًا كَبِيرًا، غَيْرَ أَنَّ لُغَتَهُ ضَعِيفَةٌ، وَأَيْضًا تَجِدُ بَعْضَ النَّاسِ يَكُونُ فَصِيحًا فِي الْكِتَابَةِ، لَكِنَّهُ غَيْرُ فَصِيحٍ فِي الْخَطَابَةِ.

فَلْتَنْظُرْ إِلَى كَلَامِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ الْوَاعِظِ الْمَشْهُورِ، وَإِلَى كَلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ، تَجِدُ بَيْنَهُمَا فَرْقًا كَبِيرًا مِنْ حَيْثُ التَّأْثِيرُ وَالْأَدَاءُ اللَّغَوِيُّ، وَلَا أَقْصِدُ الْقُوَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ وَالْاِسْتِدْلَالَ وَالْأَدِلَّةَ.

فَابْنُ الْجَوْزِيِّ كَانَ يَخْضُرُ لَهُ عَشْرَاتُ الْأَلْفِ، يَسْمَعُونَ خُطْبَتَهُ، وَيَتَأَثَّرُونَ بِهَا، بَيْنَمَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ.

وَالْكَلَامُ الْفَصِيحُ مَا كَانَ وَاضِحَ الْمَعْنَى، سَهْلَ اللَّفْظِ، جَيِّدَ السَّبْكِ، وَتَكُونُ أَلْفَاظُهُ بَيِّنَةً فِي مَعْنَاهَا، مَفْهُومَةٌ عَذْبَةٌ سَلِسَةٌ. وَإِنَّمَا تَكُونُ الْكَلِمَةُ كَذَلِكَ إِذَا كَانَتْ مَأْلُوفَةً الْاِسْتِعْمَالِ بَيْنَ النَّاهِبِينَ مِنَ الْكِتَابِ وَالشَّعْرَاءِ.

وَالذَّوْقُ السَّلِيمُ هُوَ الْعُمْدَةُ فِي مَعْرِفَةِ حُسْنِ الْكَلِمَاتِ وَسَلَاةِهَا، وَتَمَيِّزُ مَا فِيهَا مِنْ وُجُوهِ الْبَشَاعَةِ وَمَظَاهِيرِ الْاِسْتِكْرَاهِ؛ لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ أَصْوَاتٌ، فَالَّذِي يُطْرَبُ لَصَوْتِ الْبُلْبُلِ، وَيَنْفِرُ مِنْ أَصْوَاتِ الْبُومِ وَالْغُرْبَانِ، يَنْبُو سَمْعُهُ عَنِ الْكَلِمَةِ إِذَا كَانَتْ غَرِيبَةً مُتَنَافِرَةً الْحُرُوفِ.

ألا ترى أن كلمتي (المُزَنَة - الدَّيْمَة) للسَّحابة المُمَطِّرة، كلتاها سهلة عذبة يسكن إليها السَّمْعُ، بخلاف كلمة (البُعَاق) التي في معناهما؛ فإنها قبيحة تَصُكُّ الأذَان. وأمثال ذلك كثير في مُفردات اللغة تستطيع أن تُدركه بذوقك.

شروط الكلام الفصيح:

لكي يكون الكلام فصيحاً يجب أن يسلم من:

١- الغرابة.

٢- تنافر الحروف.

٣- مخالفة القياس النحوي أو الصرفي.

٤- كراهية السمع لها.

أولاً: الغرابة:

والغرابة في الكلمة كونها قليلة الوضوح، غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال، عند فصحاء العرب، وبلغائهم، في شعرهم ونثرهم، لا عند المولدين ومن بعدهم، فأكثر الكلام العربي الفصيح غريب عند غير فصحاء العرب وبلغائهم.

والغرابة إما أن تكون بسبب ندرة استعمال الكلمة عند العرب، وإما أن تكون بسبب أن التوصل إلى المراد منها في الكلام يحتاج إلى تخريج مُتَكَلِّفٍ بعيد، ومثلوا للغريب النادر بما يلي:

كلمة (مُسَحْنِفَرَة) بمعنى (متسعة). و(بُعَاق) بمعنى (مطر).

و(جَرَدَحْل) بمعنى (الوادي). و(جَحْمَرِش) للمرأة العجوز.

و(اطْلَخَم) بمعنى: اشتد. و(تَكَأْكُتُمْ) بمعنى: اجتمعتم.

فهذه الكلمات غير فصيحة لغرابتها.

ثانيًا: تنافر الحروف:

أي كون الكلمة ثقيلة على السمع، وصعبة في أداء اللسان، مثل:
(مُسْتَشْرِزَات) بمعنى: مرتفعات. و(الهُعْخَعُ): اسم نبات.

وقد تكون الكلمات فصيحةً غير أن اجتماعها مع بعضها يحدث تنافرًا وثقلًا،
مثل قول الجاحظ:

وَقَبْرٌ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٌ وَلَيْسَ قُرْبٌ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ

رُفِعَ لَفْظُ (قَفْرٍ) مع أنه نعتٌ للفظ (مكان) لضرورة الشعر، وخرّجوه على أنه
من قبيل الصفة المقطوعة عن موصوفها.

وقد جاء الثقل من تكرار الراء والباء في البيت.

قيل: إن هذا البيت لا يتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث مرات متواليات دون أن
يتننّع؛ لأن اجتماع كلماته وقرب مخارج حروفها، يحدثان ثقلًا ظاهرًا، مع أن كل
كلمة منه لو أخذت وحدها كانت غير مستكرهة ولا ثقيلة.

وتنافر حروف الكلمة صفة فيها تجعلها ثقيلة على اللسان، يصعب النطق بها.
وهذا التنافر منه ما هو شديد غاية في الثقل، ومنه ما هو دون ذلك، ويحس به
الدّوق السليم، ومن علامات التنافر في حروف الكلمة أن يصعب على معظم
اللسنة الناطقين بالعربية النطق بها.

ومن أمثلة ما هو شديد التنافر ما يلي:

كلمة (صَهْصَلِق) يقال لغة: رجلٌ صَهْصَلِقُ الصَّوْتِ، إذا كان ذا صوتٍ
شديد، ويقال: امرأةٌ صَهْصَلِقُ وصَهْصَلِقُ، أي: شديدة الصوت صخابة.

وكلمة (طَسَاسِيح) جمع (طَسُوج) اسم للناحية، واسمٌ لمقدار من الوزن يعدل

رُبْعَ دَانِقٍ، فَالْدَانِقُ أَرْبَعَةُ طَسَاسِيَجٍ، وَهُوَ سُدُسُ الدَّرْهَمِ.

وكلمة (اَطْرَعَشَّ) يقال: اطرعشَّ المريضُ، إِذَا شُفِيَ مِنْ مَرَضِهِ، وَإِذَا قَامَ وَتَحَرَّكَ وَمَشَى.

ومن أمثلة ما هو غير شديد التنافر ما يلي:

كلمة (النَّقَاخُ) يقال لغة: مَاءٌ نَقَاخٌ، إِذَا كَانَ مَاءً عَذْبًا.

وكلمة (مُسْتَشْزَرَاتٍ) بمعنى منفتلات ومرتفعات، قال امرئ القيس:

عَدَائِرُهُ مُسْتَشْزَرَاتٌ إِلَى الْعُلَا تَضِلُّ الْمَدَارِي فِي مُثْنَى وَمُرْسَلٍ

ثالثًا: مخالفة القياس النحوي أو الصرفي:

أَيُّ كَوْنِ الْكَلِمَةِ شَاذَةً خَارِجِيَّةً مُخَالَفَةً لِقَوَاعِدِ النُّحُوِّ أَوْ الصَّرْفِ، وَمِنْ أَمْثَلِهِ مَا هُوَ مُخَالَفٌ لِلْقِيَاسِ مِنَ الْكَلِمَةِ فَكُ الْحَرْفِ الْمَضْعُوفِ فِي الْكَلِمَةِ الَّتِي يَقْتَضِي الْقِيَاسُ فِيهَا إِدْغَامَهُمَا بِحَرْفٍ مُشَدَّدٍ، نَحْوُ: كَلِمَةِ (الْأَجَلِّ) وَالْقِيَاسُ أَنَّ يُقَالَ فِيهَا (الْأَجَلَّ) بِإِدْغَامِ اللَّامِ، وَلَا مَسْمُوعَ لِفَكِّهِ.

ومنه قول أبي النجم بن قدامة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ لَأَنْتَ مَلِكُ النَّاسِ رَبًّا فَاقْبَلِ

وكقول المتنبي:

إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيِّفًا لِدَوْلَةٍ فَفِي النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا طُبُولُ

والقياس: (أبواق) وليس بوقات، وهذا مخالف للقياس الصرفي.

وكقول الفرزدق:

وَعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسَحَّتًا أَوْ مُجَلَّفُ

فسأل عبدُ اللَّهِ بنُ أبي إسحاقَ الفرزدقَ: لِمَاذَا رَفَعْتَ (مجلف) وحققها
النصب؛ لأنها معطوفة؟ فقال: عَلَى مَا يَسُوؤُكَ، عَلَى أَنْ أَقُولَ وَعَلَيْكَ أَنْ تُؤَوَّلَ، ثم
هَجَّاهُ قَائِلًا:

وَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَى هَجَوْتُهُ وَلَكِنَّ عَبْدَ اللَّهِ مَوْلَى مَوَالِيَا

فقال: والله لا أدري أخطأته في البيت أشد أو هجاؤه لي؟ إنما هو مولى موالٍ.
ومما هو مخالف للقياس استعمال هَمْزَةِ الْقَطْع بدلَ همزة الوصل، واستعمال
همزة الوصل بدلَ همزة الْقَطْع، ويكثرُ مثْلُ هَذَا فِي الشَّعْرِ لِمُرَاعَاةِ الْوِزْنِ، ومنه قول
جميل:

أَلَا أَرَى «إِثْنَيْنِ» أَحْسَنَ شِيمَةً عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مِنِّي وَمِنْ جُمْلٍ

فقطعت همزة (اثنين) مع أنها همزة وصل، وحدثان الدهر نوائبه، وأراد بِكَلِمَةٍ
(جُمْلٍ) فَرَسَهُ أَوْ جَمَلَهُ.

رابعاً: كراهية السمع لها:

كون الكلمة مكروهة في السمع أي: كونها خشنة وحشيّة، تأنف منها الطُّبَاعُ،
ومثلوا لهذا العيب، بنفور السَّمْعِ عن كلمة (الْجِرْشَى) بِمَعْنَى (النفس) فعابوا
على أبي الطَّيِّبِ المُنْتَبِي استعمالها في قَوْلِهِ يمدحُ سيف الدولة:

مُبَارَكُ الْأَسْمِ أَغْرُ اللَّقَبِ كَرِيمُ الْجِرْشَى شَرِيفُ النَّسَبِ

كَرِيمُ الْجِرْشَى: أي: كريم النفس.

ملاحظة:

هناك فصاحة للكلمة، وفصاحة للمتكلم.

فصاحة المتكلم: هي ملكة يستطيع بها المتكلم أن يُعَبِّرَ عَنِ الْمَقْصُودِ بِكَلَامٍ
فَصِيحٍ فِي أَيِّ غَرَضٍ كَانَ.

وفصاحة المتكلم نوعان:

١ - غريزة: يَمُنُّ اللَّهُ بِهَا عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فيجعله فصيحًا قوياً الكلام، شديداً الحُجَّةِ وَالْإِقْنَاعِ.

٢ - مُكْتَسَبَةٌ: وذلك بالتَّمَرُّنِ عَلَى الخطابة، والتَّدْرِيبِ عَلَى الفصاحة، ودراسة فنون العربية من نحو وصرف وبلاغة، إلى غير ذلك.

فَقَدْ تَحَدَّ طَالِبَ عِلْمٍ صَغِيرًا، غَيْرَ أَنَّ لُغَتَهُ بَلِيغَةٌ عَظِيمَةٌ، وَقَدْ تَحَدَّ عَالِمًا كَبِيرًا، غَيْرَ أَنَّ لُغَتَهُ ضَعِيفَةٌ، وَأَيْضًا تَحَدَّ بَعْضُ النَّاسِ يَكُونُ فَصِيحًا فِي الْكِتَابَةِ، لَكِنَّهُ غَيْرُ فَصِيحٍ فِي الْخُطَابَةِ.

فَلْتَنْظُرْ إِلَى كَلَامِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ الْوَاعِظِ الْمَشْهُورِ، وَإِلَى كَلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ، تَجِدُ بَيْنَهُمَا فَرْقًا كَبِيرًا مِنْ حَيْثُ التَّأثيرُ وَالْأَدَاءُ اللَّغَوِيُّ، وَلَا أَقْصَدُ الْقُوَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ وَالْاِسْتِدْلَالَ وَالْأَدِلَّةَ.

فَابْنُ الْجَوْزِيِّ كَانَ يَحْضُرُ لَهُ عَشْرَاتُ الْأَلْفِ، يَسْمَعُونَ خُطْبَتَهُ، وَيَتَأَثَّرُونَ بِهَا، بَيْنَمَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ.

أقوال مأثورة اشتملت على مفردات غير فصيحة لعيب ما فيها:

١ - كتب بعض أمراء بغداد رُقْعَةً طَرَحَهَا فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ حِينَ مَرَضَتْ أُمُّهُ، جَاءَ فِيهَا: (صِبْنَ امْرُؤٌ وَرُعِي، دَعَا لِامْرَأَةٍ انْقَحَلَةٍ مُقْسِنَةٍ، فَقَدْ مُنِنَتْ بِأَكْلِ الطُّرْمُوخِ، فَأَصَابَهَا مِنْ أَجْلِهِ الْاِسْتِمْصَالُ، أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ عَلَيْهَا بِالْاِطْرَغْشَاشِ وَالْاِبْرَغْشَاشِ).

انْقَحَلَةٍ: أَي: مُسِنَّةٌ هَرِمَةٌ يَبَسَ جِلْدُهَا وَسَاءَ حَالُهَا.

مُقْسِنَةٍ: أَي: كَبِيرَةُ السِّنِّ، لَيْسَ لَهَا قُدْرَةٌ عَلَى الْحَرَكَةِ.

الطُّرْمُوخُ: الْخُفَّاشُ.

الاستِمَصَال: إسهال الطبيعة.

الاطرغشاش والابرغشاش: كلاهما بمعنى البرء من المرض.

٢- جاء في خُطْبَةِ لَابْنِ نُبَاتَةَ، يَذْكُرُ فِيهَا أَهْوَالَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَوْلُهُ: (اقْمَطَرَّ وَبَاهُا، وَاشْمَخَرَّ نَكَاهُا، فَمَا سَاغَتْ وَلَا طَابَتْ).

اقْمَطَرَّ وَبَاهُا: أي: اشتدَّ وعَظُمَ ثِقَلُهَا.

وَاشْمَخَرَّ نَكَاهُا: أي: اشتدَّ وارتفعَ وعَظُمَ عِقَابُهَا.

فَمَا سَاغَتْ وَلَا طَابَتْ: أي: فَمَا سَهَلَتْ وَلَا كَانَتْ طَيِّبَةً.

٣- قال امرؤ القيس حين أدركته المنيَّة، وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ يَسْتَنْجِدُهُ عَلَى قَتْلِهِ أَبِيهِ: (رُبَّ جَفْنَةٍ مُثْعَنَجِرَةٍ، وَطَعْنَةٍ مُسْحَنَفِرَةٍ، وَخُطْبَةٍ مُسْتَحْضِرَةٍ، وَقَصِيدَةٍ مُحْبَرَةٍ، تَبْقَى غَدًا بِأَنْقِرَةٍ).

رُبَّ جَفْنَةٍ مُثْعَنَجِرَةٍ: أي: رَبِّ قَصْعَةٍ طَعَامٍ مَلَأَى.

وَطَعْنَةٍ مُثْعَنَجِرَةٍ: أي: وَرُبَّ طَعْنَةٍ بَرُمَحٍ فِي الْقِتَالِ وَاسِعَةٍ.

٤- رُوِيَ أَنَّ أُمَّ الْهَيْثَمِ الْأَعْرَابِيَّةَ قَالَتْ لِأَبِي عُبَيْدَةَ الرَّائِيَّةِ، حِينَ عَادَهَا فِي عِلَّةٍ أَصَابَتْهَا: (كُنْتُ وَحْمَى سِدْكَ، وَشَهِدْتُ مَادْبَةً، فَأَكَلْتُ جُبْجَبَةً مِنْ صَفِيفٍ هِلَّعَةٍ، فَأَعَرَّتْنِي رُلَّةٌ).

فَقِيلَ لَهَا: أَيَّ شَيْءٍ تُقُولِينَ؟

فَقَالَتْ: (أَوَلِلنَّاسِ كَلَامَانِ؟ وَاللَّهِ مَا كَلَّمْتُكُمْ إِلَّا بِالْعَرَبِيِّ الْفَصِيحِ).

كُنْتُ وَحْمَى سِدْكَ: وَحْمَتِ الْحُبْلَى، إِذَا اشْتَهَتْ شَيْئًا عَلَى حَبْلِهَا، فَهِيَ وَحْمَى.

سِدْكَ: أي: مُوَلَعَةٌ بِنَوْعِ طَعَامٍ لَوْحِهَا.

وَشَهِدْتُ مَادْبَةً: الْمَادْبَةُ: الطَّعَامُ الَّذِي يُصْنَعُ لِدَعْوَةٍ.

جُبْجُبَةً: الْجُبْجُبَةُ: الْكَرْشُ يُجْعَلُ فِيهَا اللَّحْمُ الْمَقَطَّعُ، وَيُغْلَى ثُمَّ يُقَدَّدُ.
 مِنْ صَفِيفٍ هِلَّةً: الصَّفِيفُ: رِقَائِقُ اللَّحْمِ تُشْوَى.
 وَالْهَلَّةُ: الْأُنْثَى مِنْ أَوْلَادِ الْمَعَزِ وَالْغَنَمِ.
 فَاعْتَرَنِي زُلْحَةً: الزُّلْحَةُ: دَاءٌ يَأْخُذُ فِي الظَّهْرِ وَالْجَنْبِ.



كراهة التّعير في الكلام والتشذُّق

يُكرهُ التّعيرُ في الكلام، والتشذُّق فيه وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللُّغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم، ومما ورد من ذلك:

١ - عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآله، قال: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا. رواه مسلم.

الْمُتَنَطِّعُونَ: الْمُبَالِغُونَ فِي الْأُمُورِ.

٢ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله قال: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْبَلِيعَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقْرَةُ» رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن.

٣ - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله، قال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَفَيِّهُونَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

الْثَّرَثَارُونَ: مفردا ثرثار، وهو كثير الأكل والكلام.

الْمُتَشَدِّقُونَ: مفردا مُتَشَدِّقٌ، وهو المتوسعُّ في الكلام مِنْ غَيْرِ احتِيَاظٍ، وقيل المستهزئُ بالنَّاسِ.

الْمُتَفَيِّهُونَ: مفردا مُتَفَيِّهٌ، وهو المتوسعُّ في الكلام الْمُتَنَطِّعُ.



البَابُ الثَّانِي

عِلْمُ الْبَيَانِ

- التشبيه .
- الاستعارة .
- الكناية .
- المجاز المرسل .

رَفَعُ
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

:

الفصل الأول التشبيه

الفصل الأول

التشبيه

علم البيان:

البيان هو الكشف والإيضاح، وعلم البيان يشمل: (التشبيه - الاستعارة - الكناية - المجاز) ويعرف علم البيان بـ «الصورة البيانية» أو «الألوان البيانية» أو «الصور البيانية» أو «اللون الخيالي».

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا أَوْ إِنَّ بَعْضَ الْبَيَانِ لِسِحْرٌ» رواه البخاري.

أي أَنَّ بَعْضَ الْبَيَانِ سِحْرٌ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُ يَوْضَحُ الْمَشْكِلَ، وَيَكْشِفُ عَنْ حَقِيقَتِهِ بَلْغَتِهِ وَبَيَانِهِ، فَيَسْتَمِيلُ الْقُلُوبَ كَمَا تُسْتَمَالُ بِالسَّحْرِ.

وقال بعضهم: ما يَجْذِبُ السَّمْعَ بِالسَّحَرِ الْحَقِيقِيِّ، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ السَّحَرُ الْحَلَالُ.

فالبيانُ مثلُ السَّحْرِ لَا سِتْمَالَتَهُ قُلُوبَ السَّامِعِينَ بِتَحْسِينِهِ وَتَنْمِيقِهِ كَمَا يُمِيلُهَا السَّحْرُ، قِيلَ: الْقَصْدُ بِهَذَا الْكَلَامِ الذَّمُّ؛ لِأَنَّ الْبَيَانَ يَفْعَلُ فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْإِمَالَةِ وَالتَّخْرِيكِ مَا يَفْعَلُهُ السَّحْرُ، وَقِيلَ الْقَصْدُ بِهِ الْمَدْحُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمْتَنَ عَلَى عِبَادِهِ بِالْبَيَانِ، فَقَالَ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۖ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۖ﴾ [الرحمن: ٣، ٤].

المراد بالإنسان: جِنْسُهُ، والمراد بالبيان: الْفَهْمُ وَالنُّطْقُ وَالْإِفْصَاحُ عَمَّا يَرِيدُ الْإِفْصَاحَ عَنْهُ بِالْكَلَامِ الَّذِي أَدَاتُهُ اللِّسَانُ.

وقد اهتم علماء البلاغة بشرح وتفصيل «علم البيان» إذ تبرز في هذه الطرق مهارات المتكلمين في الإبانة عما يريدون التعبير عنه، مَقْرُونَةٌ هذه الإبانة بصُورٍ جمالية ذات تأثير في النفوس، وإمتاع للأذهان، ورياضة بديعة للأفكار.

البيان في اللغة: الوضوح والظهور، يقال لغة: بَانَ الشَّيْءُ بَيَانًا إِذَا اتَّضَحَ وَظَهَرَ.

واضع هذا العلم:

ذكروا أنَّ أَوَّلَ مَنْ دَوَّنَ مسائلَ علمِ البيانِ أبو عبيدة (مَعْمَرُ بنُ المثنَّى) في كتابه: (مجاز القرآن)، وتبعه (الجاحظ)، ثم (ابن المعتز)، ثم (قُدَامَةُ بنُ جعفر)، ثم (أبو هلال العسكري)، ثم جاء الشيخ (عبد القاهر الجرجاني)، فأَحْكَمَ أساسه، وأَكْمَلَ في بنيانه.

أولاً: التشبيه:

هو تصويرُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ آخَرَ لَوْجُودِ عِلَاقَةٍ بَيْنَهُمَا تُسَمَّى (عِلَاقَةُ الْمُشَابَهَةِ)، مثل: الأُمُّ كَالْجَمَلِ فِي الصَّبْرِ.

تشبيهٌ للأُمِّ بِالْجَمَلِ بِوِاسِطَةِ حَرْفِ التَّشْبِيهِ (الكاف)، وَوَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَهُمَا هُوَ الصَّبْرُ، أَيْ قُوَّةُ التَّحَمُّلِ.

ومثل قول الله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

فَشَبَّهَ قُلُوبَهُمْ بِالْحِجَارَةِ، بِجَامِعِ الْقَسَاوَةِ فِي كُلِّ مِنْهَا، لَكِنَّ قَسَاوَةَ قُلُوبِهِمْ قَسَاوَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ تَجَاهَ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْفَضِيلَةِ، أَمَّا الْحِجَارَةُ فَقَسَاوَتُهَا مَادِّيَّةٌ.

أركان التشبيه:

١ - المُشَبَّه.

٢ - المُشَبَّهُ بِهِ.

٣ - أداة التشبيه.

٤ - وجه الشبه.

ونلاحظ أن أداة التشبيه، تكون حرفاً، أو اسماً، أو فعلاً.

حروف التشبيه:

١ - (الكاف) ويليه المشبه به، مثل: مُحَمَّدٌ كَالْأَسَدِ.

٢ - (كأن) ويليه المشبه، مثل: كَأَنَّ مُحَمَّدًا أَسَدٌ.

قالوا: والتشبيه بكأن أبلغ من التشبيه بالكاف؛ لأنها مُرَكَّبَةٌ من الكافِ وأنَّ.

أسماء التشبيه:

ولها ألفاظ، منها: مثل - مثيل - شبه - شبيه - نظير... ونحوها.

أفعال التشبيه:

ولها ألفاظ، منها: «يُشَبِّه - يُشَابِه - يُمِثِّل - يُنَاطِر - يُحَاكِي - يُضَارِع» ونحوها من كُلِّ ما يدلُّ على تشبيه بشيء.

ما وجه الشبه؟

وَجْهُ الشَّبه، وهو مَا لُوْحِظَ عند التشبيه اشتراك المشبه والمشبه به في الاتِّصاف به، من صفة أو أكثر، ولو لم يتساويا في المقدار، ولو كانت ملاحظة الاشتراك خيالية غير حقيقية، كتشبيه رأسِ إنسانٍ مُتَفَرِّ مُرْعِبٍ بِرَأْسِ الْغُولِ، وتشبيه السَّاحِرَةِ بِأَنَّ وَجْهَهَا كَوَجْهِ شَيْطَانٍ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَصْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»، فَقُلْنَ وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ

نَاقِصَاتٍ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟»، قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا» رواه البخارى.

حيث شبه (شهادة المرأة) بـ (نصف شهادة الرجل).

عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً تَكُونُ مِثْلَ الْمُسْلِمِ وَهِيَ النَّخْلَةُ» رواه البخارى.

حيث شبه (الشجرة) بـ (المسلم).

ومثل قول المعري يخاطب ممدوحه:

أَنْتَ كَالشَّمْسِ فِي الضِّيَاءِ وَإِنْ جَا وَزْتَ كِيَوَانَ فِي عُلوِّ الْمَكَانِ

كيوان: اسمٌ لِكَوْكَبٍ زُحَلٍ أَبْعَدَ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَرْضِ.

فالمشبه: في هذا التشبيه هو ما دلَّ عليه لفظ «أنت».

والمشبه به: ما دلَّ عليه لفظ «الشمس».

وأداة التشبيه: «الكاف» في عبارة «كالشمس».

ووجه الشبه: ما دلَّ عليه عبارة: «في الضياء».

ومثل قول آخر يخاطب ممدوحه:

أَنْتَ كَاللَّيْثِ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ وَالسَّيْفِ فِي قِرَاعِ الْخُطُوبِ

قِرَاعِ الْخُطُوبِ: أَي: مِصَارَعَةِ الشَّدَائِدِ وَالتَّغْلِبِ عَلَيْهَا.

في هذا البيت تشبيهان لمشبه واحد.

فالمشبه: «أنت» .

والمشبه به: «اللَّيْثُ» في التشبيه الأول و«السَّيْفُ» في التشبيه الثاني.

وأداة التشبيه: «الكاف» .

ووجه الشبه: «الشجاعة والإقدام» في التشبيه الأول، و«قِرَاع الخطوب» في التشبيه الثاني.



أنواع التشبيه

١ - التشبيه المَفَصَّلُ:

وهو ما ذُكِرت فيه أركان التشبيه الأربعة.

نحو: مُحَمَّدٌ كَالْبَحْرِ فِي الْجُودِ.

محمد: مشبه.

البحر: مشبه به

أداة التشبيه: هي الكاف.

وجه الشبه: في الجود.

ومثل: زَيْدٌ كَالْأَسَدِ فِي الشَّجَاعَةِ.

زيد: مشبه.

الأسد: مشبه به

أداة التشبيه: هي الكاف.

وجه الشبه: في الشجاعة.

ومثل قول الشاعر:

خُلِقْتَ طَلِيقًا كَطَيْفِ النَّسِيمِ وَحُرًّا كُنُورِ الضُّحَى فِي سَمَاهِ

المشبه هو: (التاء) المتصلة بالفعل (خُلِقْتَ).

المشبه به: هو طيف النسيم.

أداة التشبيه: هي الكاف.

وجه الشبه: الطلاقة والحرية.

مثل قول الشاعر:

الْعُمْرُ مِثْلُ الضَّيْفِ أَوْ كَالطَّيْفِ لَيْسَ لَهُ إِقَامَةٌ

الْعُمْرُ: مُشَبَّه.

مثل: أداة التشبيه.

الضيف، الطيف: مشبَّه به .

لَيْسَ لَهُ إِقَامَةٌ: وجه الشبه.

هذا تشبيه مفصّل.

٢ - التشبيه المُجْمَلُ:

هو الذي يُحَذَفُ منه أحدُ الركنين الآتين (أداة الشبه - وجه الشبه)، فإذا حَذَفْنَا أداة التشبيه فقط، فهو تشبيهٌ مُجْمَلٌ، وإذا حَذَفْنَا وَجْهَ الشَّيْءِ فقط فهو تشبيهٌ مُجْمَلٌ أَيضًا.

إذن: التشبيه المجمل يتكون من ثلاثة أركان هي: المشبه، والمشبّه به، وركن من الركنين الباقيين.

مثل: مُحَمَّدٌ كَالْأَسَدِ.

محمد: مشبه.

الأسد: مشبه به.

أداة التشبيه: هي الكاف.

ومثل: مُحَمَّدٌ أَسَدٌ فِي الشَّجَاعَةِ.

محمد: مشبه.

أسد: مشبه به.

وجه الشبه: في الشجاعة.

ومثل: طَارِقٌ كَالثَّعَلِ.

طارق: مشبه.

الثعلب: مشبه به.

أداة التشبيه: هي الكاف.

ومثل: طَارِقٌ ثَعْلَبٌ فِي الْمَكْرِ.

طارق: مشبه.

ثعلب: مشبه به.

وجه الشبه: في المكر.

ومثل قول البحري يمدحُ أمير المؤمنين المتوكل على الله:

يَا ابْنَ عَمِّ النَّبِيِّ حَقًّا وَيَا أَزْكَ
سَيِّ قُرَيْشٍ نَفْسًا وَدِينًا وَعِرْضًا
بِنْتَ بِالْفَضْلِ وَالْعُلُوِّ فَأُضْبَحْ
سَمَاءً وَأُصْبَحَ النَّاسُ أَرْضًا

المدوح: مُشَبَّه.

سماء: مشبه به.

بالفضل والعُلُو: وَجْهُ الشبه.

وأداة التشبيه غير مذكورة.

هذا التشبيه مُجْمَلٌ ذُكِرَ فِيهِ وَجْهُ الشبه، ولم تُذَكَّرْ فِيهِ أداة التشبيه.

٣ - التشبيه البليغ:

هو الذي يُحَذَفُ مِنْهُ الركنان الآتيان (أداة الشبه - وجه الشبه)، ويبقى الركنان الآخران (المشبه - المشبه به).

مثل: مُحَمَّدٌ أَسَدٌ.

محمد: مشبه.

أسد: مشبه به.

ومثل: طَارِقٌ ثَعْلَبٌ.

طارق: مشبه.

أسد: مشبه به.

ومثل: الْعَالَمُ سِرَاجٌ.

العالم: مشبه.

سراج: مشبه به.

ومثل قول الشاعر:

فَالْأَرْضُ يَا قُوَّةٌ وَالْجَوُّ لَوْلُؤَةٌ وَالنَّبْتُ فَيَرْوِجُ وَالْمَاءُ بَلُورٌ

الأرض: مشبه.

ياقوتة: مشبه به.

الجو: مشبه.

لؤلؤة: مشبه به.

النبت: مشبه.

فيروزج: مشبه به.

الماء: مشبه.

بلور: مشبه به.

ومثل قول المرقش الأكبر (شاعر جاهلي):

النَّشْرُ مِسْكٌ، وَالْوُجُوهُ دَنَنْبَرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنَمٌ

في هذا البيت ثلاثة تشبيهات، هي من التشبيه البليغ، إذ لم يذكر فيها أداة التشبيه ولا وجه الشبه.

النشر: الرائحة الطيبة.

العنم: نبات أملس له أزهار قرمزية، يُتخذ خضاباً.

التشبيه الأول: النَّشْرُ مِسْكٌ.

التشبيه الثاني: وَالْوُجُوهُ دَنَنْبَرٌ.

التشبيه الثالث: وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنَمٌ.

ويرى البيانون أن التشبيه البليغ يعتمد على المبالغة والإغراق في ادعاء أن المشبه هو المشبه به نفسه، لذلك لا تُذكر فيه أداة التشبيه، ولا وجه الشبه.

وبأتي التشبيه البليغ على الصور التالية:

- المبتدأ والخبر، نحو: مُحَمَّدٌ أَسَدٌ - الْجَمَلُ سَفِينَةُ الصَّحَرَاءِ.
 - الحال وصاحبها، نحو: هَجَمَ الْجُنْدِيُّ عَلَى الْعَدُوِّ أَسَدًا.
 - حيث شبه الجندي بالأسد، و(أسداً) هنا حال، وصاحب الحال هو الجندي.
 - المفعول المطلق، نحو: أَسْرَعَ الْحِصَانُ إِسْرَاعَ الطَّائِرَةِ.
 - حيث شبه الحصان بالطائرة.
 - إضافة المشبه به، مثل: ظَهَرَ مِصْبَاحُ الْحَضَارَةِ فِي مِصْرَ.
- نلاحظ هنا أن المشبه به مضاف وهو(مصباح)، والمشبه مضاف إليه وهو (الحضارة)، والأصل في القول: الْحَضَارَةُ مِصْبَاحٌ.

ومثل: نُورُ الْعِلْمِ.

نلاحظ هنا أن المشبه به مضاف وهو (نور)، والمشبه مضاف إليه وهو (العلم)، والأصل في القول: العلم نور.

شواهد على التشبيه من القرآن:

(١) قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ ١٢ ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ ١٣ ﴿[إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

﴿أَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾: تشبيه بليغ، إذ هي كالهواء في الخلو من الإدراك لشدّة الهول، والهواء في كلام العرب: الخلاء.

(٢) قوله عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ ﴿[الأنعام: ١٤٥].

﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾: تشبيه بليغ، شبه الأوثان بالرجس أنها رجس معنوي في النفوس بمنزلة تعلق الخبث بالأجساد فإطلاق الرجس عليها تشبيه بليغ. والرجس: حقيقته الخبث والقذارة.

(٣) قوله عز وجل: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ﴿[الفرقان: ٢٣].

﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً﴾: تشبيه بليغ، وهو تشبيه لأعمالهم بالهباء في عدم الانتفاع بها.

الهباء: كائنات جسمية دقيقة لا تُرى إلا في أشعة الشمس، تلوح كأنها سابحة في الهواء، وهي أدق من الغبار، أي فجعلناه كهباءٍ منثور.

(٤) قوله عز وجل: ﴿لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣].

﴿لَعَلَّكَ بَخِيعٌ﴾: تشبيه بليغ، شبه الله رسوله بمهلك نفسه أو قاتلها؛ حسرة على الكافرين الذين لا يؤمنون.

والباع: قاتل نفسه، يقال: بَخَعَ الشاة، أى ذَبَحَهَا، كذا فسرّه ابن عباس ومجاهد والسدي وابن جبر. وفسرّه البخاري بمهلك. وتفسيره يرجع إلى أبي عبيدة، وهو عِرْقٌ مُسْتَبْطِنٌ في القفا، فإذا بلغ الذابحُ البخاعَ فذلك أعمق الذبح، فالبخع: أصله أن يُلْغَ الذابحُ بالذَّبْحِ إلى القفا، ثم أطلق على القتل المشوب بغیظ.

(٥) قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾: تشبيه بليغ، أي وهي مثل الدخان، وقيل: أراد بالدخان هنا شيئاً مظلماً، ومعنى ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ أن أصل السماء هو ذلك الكائن المشبه بالدخان، أي أن السماء كَوُنتْ مِنْ ذَلِكَ الدُّخَانِ.

(٦) قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤].

﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾: تشبيه بليغ، حيث شبه السماء بالبناء، وجعل لكم السماء بمنزلة القبة المبنية المضروبة فوق رؤوسكم، فأنتم ترونها بأعينكم مرفوعة فوقكم بغير عمدٍ.

قال الألوسي: قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ قبة، ومنه أبنية العرب لقبابهم التي تضرب (تُبْنَى)، وإطلاق ذلك على السماء على سبيل التشبيه، وهو تشبيه بليغ.

٣ - التشبيه التمثيلي:

هو ما كان وجه الشبه فيه منتزعا من عدة أمور، مثل قول الله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ
وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىهَا
أْتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْرَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ [يونس: ٢٤].

شبه الله حال الدنيا في سرعة زوالها، وانقراض نعيمها بعد إقبالها، واغترار الناس بها، وركوبهم إليها بحال نبات الأرض ذهبته نضرته فجأة، فجف وصار حطامًا بعد ما زها، والتفت وتكاثف وزين الأرض بخضرته، وعم نفعه الإنسان والحيوان، واطمأن الناس إلى دئو ثمره، وظنوا أنه قد سلم من الهلاك. ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من سرعة الزوال وانقراض النعيم بعد الإقبال وعموم النفع واغترار الناس به واعتمادهم عليه.

ومثل قول الله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

فالمشبه: هم الذين حملوا التوراة ولم يعقلوا ما بها.
والمشبه به: (الحمار) الذي يحمل الكتب النافعة، دون استفادته منها.
وأداة التشبيه: الكاف.

ووجه الشبه: الهيئة الحاصلة من التعب في حمل النافع دون فائدة.
فهذه الآية تشبه اليهود الذين نزلت عليهم (التوراة) فعلموا ما بها من شرائع وأحكام، وحفظوا ما فيها، ثم لم ينفذوها، ولم يعملوا بها، شبهتهم بالحمار الذي يحمل فوق ظهره أثقالاً من الكتب والأسفار النافعة.

ووجه الشبه: هو شقاء كل باستصحاب ما يتضمن المنافع العظيمة والفوائد

الشريفة من غير أن يَحْصَلَ على شيء من تلك المنافع أو يعود عليه بعض تلك الفوائد.

ومثل قول الشاعر:

مِنْ دُونِهَا لِلْحَادِثَاتِ مَصَائِدُ نَهَايَةُ أَهْوَاءِ الْقُلُوبِ بَعِيدَةٌ
وَدُونِ الَّذِي يَبْغِيهِ فَخٌّ وَصَائِدُ فَنَحْنُ كَطَيْرٍ يَبْتَغِي الْحَبَّ مُسْرِعًا

شَبَّهَ الشَّاعِرُ حَالَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا بِمَجْدُونٍ وَيَجْتَهِدُونَ فِي الْوَصُولِ إِلَى آمَالِهِمْ وَأَمَانِيَّتِهِمْ، فَتَقِفُ الْخُطُوبُ وَالْأَحْدَاثُ فِي طَرِيقِهِمْ، وَتَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا بِحَالِ الطَّيْرِ تُسْرِعُ إِلَى التَّقَاطِطِ الْحَبِّ فَيَقِفُ الْفَخُّ وَالصَّائِدُ فِي طَرِيقِهَا وَيَحُولَانِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحَبِّ.

ووجهُ الشبه: هو الطَّمَعُ فِي الْوَصُولِ إِلَى شَيْءٍ مَحْبُوبٍ مَعَ وَجُودِ الْعَوَاقِقِ الَّتِي تَمْنَعُ مِنَ الْوَصُولِ إِلَيْهِ.

ومثل قول الله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

فَقَدْ شَبَّهَتِ الْآيَةُ الْمَالَ الَّذِي يُنْفَقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَتَضَاعَفُ وَيَتَزَايَدُ ثَوَابُهُ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، يُشَبُّهُ حَبَّةُ الْقَمْحِ الَّتِي زُرِعَتْ فَأَخْرَجَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ.

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» رواه مسلم.

حَيْثُ شَبَّهَ الْحَدِيثُ حَالَةَ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ، كَحَالَةِ عَضْوٍ مِنْ

أَعْضَاءُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْ تَعَبٍ وَأَلَمٍ، فَيَشْكُو بَاقِيَ الْأَعْضَاءِ مِنَ التَّعَبِ وَالْأَلَمِ.
وبهذا يَتَضَحُّ أَنَّ التَّشْبِيهَ التَّمثِيلِيَّ يُشَبِّهُ حَالَةَ بِحَالَةٍ أُخْرَى.

ومثل: (فَاطِمَةُ حَوْهَا صَدِيقَاتُهَا كَالْقَمَرِ حَوْلَهُ النُّجُومُ - زَيْدٌ يُوَاصِلُ
الْمُذَاكِرَةَ وَالْاجْتِهَادَ كَالْقَائِدِ الَّذِي يَهْدِي نَفْسَهُ وَجُنُودَهُ لِلْفَوْزِ فِي الْمَعْرَكَةِ -
الشَّمْسُ وَقَدْ عَطَّاهَا السَّحَابُ فَتَاءً حَسَنَاءً مُتَتَبِعَةً).

٤ - التشبيه الضمني:

هو ما لم يُصَرِّحْ فيه بأركان التشبيه (المشبه - المشبه به) على الطريقة المعلومة؛
بل يُفْهَمُ مِنْ مَضْمُونِ الْكَلَامِ وَسِيَاقِ الْحَدِيثِ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ بِالتَّشْبِيهِ الضَّمْنِيِّ،
مثل قول أبي الطيب المتنبي:

وَمَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ وَمَا الْجُرْحُ بِمَيِّتٍ إِلَّا مَلَامٌ

أي أن الذي اعتاد الهوان، يسهل عليه تحمله، ولا يتألم له، وليس هذا الادعاء
باطلاً؛ لأن الميت إذا جرح لا يتألم، وفي ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة،
وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة.

فالشرط الثاني تشبيه ضمني، جاء ليدل على صحة المعنى في الشرط الأول؛
حيث إننا قد عرفنا من البيت أن الشاعر يُشَبِّهُ الشَّخْصَ الَّذِي يَقْبَلُ الدَّلَّ
وَالْهَوَانَ، وَلَا يَغَارُ لِكِرَامَتِهِ بِمَثَلِ الْمَيِّتِ الَّذِي يُجْرَجُ جَسَدُهُ فَلَا يَشْعُرُ بِأَيِّ أَلَمٍ.

ومثل قول الله: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَتُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ
مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

هذا تشبيه ضمني لما يناله الْمُغْتَابُ الظالم من عِزْضِ الْمُغْتَابِ الْمَظْلُومِ عَلَى
أَفْحَشِ وَجْهِهِ، وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى تَمَثِيلِ الْإِغْتِيَابِ بِأَكْلِ لَحْمِ الْإِنْسَانِ، بِجَعْلِهِ أَخًا
لِلْأَكْلِ، وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى أَكْلِ لَحْمِ الْآخَرِ حَتَّى جَعَلَهُ مَيْتًا.

وعن قتادة: كما تكره إن وجدت جيفةً مَدَوْدَةً أن تأكل منها، كذلك فأكْرَهُ لَحْمَ أَخِيكَ.

شَبَّهَ الاغْتِيَابَ من حيثُ اشْتِمَالِهِ على تَنَاوُلِ عِرْضِ الْمُعْتَابِ بِأَكْلِ لَحْمِ الْإِنْسَانِ مِيتًا تَشْبِيهًا تَمَثِيلِيًّا، وَعَبَّرَ بِالحَالَةِ الْمُشَبَّهِ بِهَا عَنِ الحَالَةِ الْمُشَبَّهَةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الحَالَةَ الْمُشَبَّهَ بِهَا أَفْحَشُ وَأَقْبَحُ، فَيَكُونُ التَّمَثِيلُ الْمَذْكُورُ تَصْوِيرًا لِلَاغْتِيَابِ بِأَقْبَحِ الصُّوَرِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَأَلَّمُ قَلْبُهُ مِنْ سَبِّ عِرْضِهِ، كَمَا يَتَأَلَّمُ جِسْمُهُ مِنْ قَطْعِ لَحْمِهِ؛ بَلْ عِرْضُهُ أَشْرَفُ مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ، فَإِذَا امْتَنَعَ الْعَاقِلُ عَنِ أَكْلِ لَحْمِ النَّاسِ امْتَنَعَ كَذَلِكَ عَنِ سَبِّ عِرْضِهِمْ.

ومثل قول المتنبي يمدح الحسين بن علي الهمداني ويمدح أبا:

وَأَصْبَحَ شِعْرِي مِنْهُمَا فِي مَكَانِهِ وَفِي عُنُقِ الْحَسَنَاءِ يُسْتَحْسَنُ الْعِقْدُ

جاء في الشطر الثاني تشبيهٌ ضمنيٌّ، وهو أن شِعْرَهُ في ممدوحِهِ يُشْبِهُ الْعِقْدَ النَّفِيسَ فِي عُنُقِ الْمَرْأَةِ الْحَسَنَاءِ.

ومثل قول البحري يمدح «محمَّد بن علي القمي»:

ضَحُوكُ إِلَى الْأَبْطَالِ وَهُوَ يَرُوعُهُمْ وَلِلسَّيْفِ حَدٌّ حِينَ يَسْطُو وَرَوْنُقُ

يُفْهَمُ مِنَ الشَّطْرِ الثَّانِي ضَمْنًا تَشْبِيهًا، وَهُوَ أَنَّ مَمْدُوحَ الشَّاعِرِ كَالسَّيْفِ لَهُ صِفَتَانِ، يَسُرُّ الْأَبْطَالَ بِإِشْرَاقِهِ وَبَسَاتِهِ، وَيَرُوعُهُمْ بِسَطْوَةِ سُلْطَانِهِ.

ومثل قول أبي العتاهية:

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

الشطر الثاني تَضَمَّنَ تَشْبِيهًا، وَلَمْ يَأْتِ مِثْلُ التَّشْبِيهِ الْمَعْهُودِ مِنْ ذِكْرِ الْمُشَبَّهِ وَالْمُشَبَّهِ بِهِ.

وإيضاح هذا التشبيه الضمني هو أنّ مَنْ لم يسْأَلْكَ النَّجَاةَ تكون حالُهُ
مثل حالِ السَّفِينَةِ الْبَحْرِيَّةِ إِذَا وُضِعَتْ فِي الْبَرِّ عَلَى الْيَابَسَةِ، فَإِنَّهَا لَا تَجْرِي.

ومثل قول أبي تمام:

أَصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الْحَسِّ — وَدِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ
النَّارُ تَأْكُلُ بَعْضَهَا إِنَّ لَمْ تَحْجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

البيت الثاني اشتمل على تشبيهٍ ضمني واضح الدلالة.

ومثل قول أبي تمام في رثاء طفلَيْنِ لعبد الله بن طاهر:

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الشَّوَاهِدِ مِنْهَا لَوْ أُمِهَلْتُ حَتَّى تَكُونَ شَيْئًا
إِنَّ الْهِلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُموَّهُ أَتَقَنَّتْ أَنْ سَيَصِيرُ بَذْرًا كَامِلًا

البيت الثاني اشتمل على تشبيهٍ ضمنيٍّ واضح الدلالة.

ونلاحظ من هذا التشبيه ما يلي:

- طرفا التشبيه «المشبه - المشبه به» لا يفهمان بسهولة ، وإنما يفهمان بتأمل معنى الأبيات ومضمونها.
- التشبيه الضمني لا تذكر فيه أداة للتشبيه إطلاقاً.
- الطرف الثاني «المشبه به» يأتي على هيئة حكمة غالباً .

من أمثلة التشبيه الضمني أيضاً قول الشاعر:

هُوَ ذَا الْفَجْرِ فَقُومِي نَنْصَرِفْ عَنْ دِيَارِ مَا لَنَا فِيهَا صَدِيقْ
مَا عَسَى يَرْجُو نَبَاتٌ يَخْتَلِفُ زَهْرُهُ عَنْ كُلِّ وَرْدٍ وَشَقِيقْ؟
وَجَدِيدُ الْقَلْبِ أَنَّى يَأْتِلِفُ مَعَ قُلُوبِ كُلِّ مَا فِيهَا عَتِيقْ؟

فالأبيات تدور حول اختلاف طبيعة الشاعر عن طبيعة مجتمعه؛ ولذا طلب من نفسه الرحيل والانصراف، من أجل هذا فالبيت الثاني يُعدُّ تشبيهًا ضمنيًا للبيت الأول، حيث تستحيل حياة الشاعر وتصعبُ بين أفراد المجتمع، كما يستحيل أن يعيش كلُّ ذي عقلٍ مُفكّرٍ بين أولئك الجامدين الرجعيين من الشيوخ المُسنين.

ومثل قول المتنبي:

وَجَاهِلٌ مَدَّهُ فِي جَهْلِهِ ضَحِكِي حَتَّى آتَتْهُ يَدُ فَرَّاسَةٍ وَفَمٌ
إِذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَتَسَمُّ

يُشَبِّهُ الشَّاعِرُ نَفْسَهُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي بِالْأَسَدِ الَّذِي يُكَشِّرُ عَنْ أَنْيَابِهِ عِنْدَ الْهُجُومِ عَلَى الْفَرِيسَةِ، فَيَظُنُّهُ الْجَاهِلُ مُبْتَسِمًا، وَهَذَا التَّشْبِيهُ يُوضِّحُ مَعْنَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، وَيُؤَكِّدُ صِحَّتَهُ؛ لِذَا فَهُوَ تَشْبِيهٌُ ضَمْنِيٌّ.

ومثل: أَيُّهَا الْمُقَاتِلُ الْمُحْجَمُ، لَا تَخَفْ فَأَعْضَاؤُكَ لَنْ تَنَالَمَ بَعْدَ تَمْزِيقِهَا، وَهَلْ يَضُرُّ الشَّاةَ سَلْخُهَا بَعْدَ ذَبْحِهَا؟

ومثل قول الشاعر:

أَحْرَامٌ عَلَى بِلَابِلِهِ الدَّوْحُ حَلَالٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ

الْفَائِدَةُ الْبَلَاغِيَّةُ لِلتَّشْبِيهِ:

لِلتَّشْبِيهِ أَثَرٌ بَلَاغِيٌّ وَجَمَالِيٌّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُوضِّحُ الْفِكْرَةَ، وَيُقَوِّي الْمَعْنَى مِنْ خِلَالِ التَّشْخِصِ أَوْ التَّجْسِيمِ أَوْ التَّوْضِيحِ.

■ التَّشْخِصُ، نَحْوُ: (هَذَا الْكِتَابُ جَلِيسٌ)، حَيْثُ يُجْعَلُ غَيْرَ الْعَاقِلِ شَخْصًا عَاقِلًا.

- التجسيم، نحو: (العِلْمُ كالنُّورِ - الصَّبْرُ مِفْتَاحُ الْفَرَجِ)، حيث يجعل الأمر المعنوي محسوساً نلَّمَسَهُ أو نَرَاهُ.
- التوضيح: عندما يكون الطرفان محسوسين أو معنويين، نحو: (الْجَمَلُ سَفِينَةٌ الصَّخْرَاءِ - الصَّدِيقُ جَنَّةُ خَضْرَاءٍ).

ملاحظة:

وهناك أيضاً تشبيه مقلوب، وهذا التشبيه مظهر من مظاهر الفن والإبداع، كقوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴿ [البقرة: ٢٧٥]، في مقام أن الربا مثل البيع، عكسوا ذلك لظن أن الربا عندهم أحل من البيع؛ لأن الغرض الربح، وهو أثبت وجوداً في الربا منه في البيع، فيكون أحق بالحل على حد زعمهم.

تنبيهان:

١ - بعض أساليب التشبيه أقوى من بعض في المبالغة، ووضوح الدلالة ولها مراتب ثلاثة:

أ - أعلاها وأبلغها: ما حذف فيها الوجه والأداة، نحو: (محمد أسد)، وذلك سُمِّيَ تشبيهاً بليغاً؛ لأنه يَسْمَحُ لِلْمُتَلَقِّي أَنْ يَصِلَ إِلَى وَجْهِ الشَّيْءِ، فَيَشْتَرِكُ فِي الْأَمْرِ.

ب - المتوسطة: ما تحذف فيها الأداة وحدها، كما تقول: (محمد أسد شجاعاً)، أو يحذف فيها وجه الشبه، فتقول: (محمد كالأسد)، وبيان ذلك أنك بذرك الوجه حصرت التشابه، فلم تدع للخيال مجالاً في الظن بأن التشابه في كثير من الصفات، كما أنك بذكر الأداة أقررت على وجود الاختلاف بين المشبه والمشبه به.

ج - أقلُّها: ما ذكرَ فيها الوجهُ والأداةُ، وحينئذٍ فقدتِ المزيَّتينِ السابقتينِ،
مثل: محمدٌ كالأسدِ في الشجاعةِ.

٢ - قد لا يوفِّقُ المتكلِّمُ إلى وجهِ الشَّبهِ، أو يصلُّ إليه بعد صعوبةٍ، وما أقْبَحَ
مِثْلَ هذا النوعِ، لما فيه من القُبْحِ والشَّناعةِ، حيثُ يَنْفِرُ مِنْهُ الطَّبْعُ السَّليْمُ.



تدريبات

(١) بَيِّنْ أركان التشبيه فيما يأتي:

- ١ - زُرْنَا حَدِيقَةً كَأَنَّهَا الْفِرْدَوْسُ فِي الْجَمَالِ وَالْبَهَاءِ.
- ٢ - الْعَالَمُ سِرَاجٌ أُمَّتِهِ فِي الْهُدَايَةِ وَتَبْدِيدِ الظَّلَامِ.
- ٣ - أَنْتَ كَالرَّيْحِ فِي الْعَطَاءِ وَالْإِنْفَاقِ.
- ٤ - الْعُمُرُ مِثْلُ الصَّيْفِ لَيْسَ لَهُ إِقَامَةٌ.
- ٥ - كَلَامُ الشَّيْخِ كَالشَّهْدِ فِي الْحَلَاوَةِ.
- ٦ - النَّاسُ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ فِي الْإِسْتِوَاءِ.
- ٧ - أَقْوَالُ الْمَلُوكِ كَالسُّيُوفِ الْقَاضِيَةِ فِي الْقَطْعِ وَالْفَصْلِ.
- ٨ - قَلْبُ الْكَافِرِ كَالْحِجَارَةِ قَسْوَةً وَصَلَابَةً.
- ٩ - جَبِينُ فُلَانٍ كَصَفْحَةِ الْمِرْآةِ صَفَاءً وَتَلَأُلُؤًا.
- ١٠ - قول الله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِعَبْثًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنَكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [العنكبوت: ٤١].

(٢) ضع مكان النقط مشبهاً به:

- ١ - اللاعب مثل في السرعة.
- ٢ - العلماء يشبهون نوراً وهدى.
- ٣ - كَأَنَّ الْقَطْ افتراساً وقوة.

٤ - الأُم ك..... في الصبر والجلد.

٥ - المعلم ك..... يَحْرِقُ نَفْسَهُ؛ لِيُضِيَءَ لِغَيْرِهِ .

(٣) ضع مكان النقط مشبهاً:

١ - مثل الفيل في الضخامة.

٢ - كالساعة في الانضباط.

٣ - يشبه الأب في الشكل.

٤ - في الكلام كالملح في الطعام.

٥ - كالنخلة تلقى بالحجر فتزل الثمر.

(٤) اجعل كل واحدٍ مما يأتي مُشَبَّهاً به:

(بَحْر - أَسَد - رِيح شَدِيد - مِرْأَة صَافِيَة - فَاكِهَة).

(٥) بَيِّنْ كُلَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ التَّشْبِيهِ فِيمَا يَأْتِي:

١ - خالد ثعلب في المكر.

٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ

بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيَهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ» رواه البخارى.

٣ - قول النابغة الذبياني:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يدمنهن كواكب

٤ - القناعة كنز لا يفنى .

٥ - قول الشاعر:

أحلامنا تزن الجبال رزانةً وتخالنا جنا إذا ما نجهل

٦ - قول الله: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ

فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴿١٧٦﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

٧ - قول الشاعر:

تَحِدُ الْكُتُبَ عَلَى النُّقْدِ كَمَا تَحِدُ الْإِخْوَانَ صِدْقًا وَكِذَابًا

٨ - قول الأعشى:

كَأَنَّ مَشْيَئَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَل

٩ - المدرس يشبه البحر الفياض .

١٠ - مصر أمنا ، ونحن بدونها كالغرباء .

١١ - قول الشاعر:

وَمَنْ يَهْنُ يَسْهُلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ وَمَا الْجُرْحُ بِمَيِّتٍ إِيلَام

١٢ - قال علي رضي الله عنه: «مثل الذي يعلم العلم ولا يعمل به مثل السراج

الذي يضيئ للناس ويحرق نفسه» .

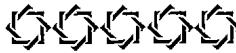
١٣ - قال صاحب كلیلة ودمنة: «الدنيا كالماء المالح كلما ازدادت منه شرباً

ازدادت عطشاً» .

١٤ - الكتاب خير جليس .

١٥ - الكلب يُشْبِهُ الذُّئْبَ .

- ١٦ - هادم الأخلاق كناشر الفساد .
- ١٧ - وجهُ الطائع القائم كالبدْرِ .
- ١٨ - طبعُ فريدٍ كالنسيمِ رقةً .
- ١٩ - يدُ أبي كالبحرِ جودًا .
- ٢٠ - كلامُ الشيخ كالدرّ حسنًا، وألفاظُهُ كالعسلِ حلاوةً .
- (٦) - اجعلْ كلَّ تشبيهٍ مما يلي مفصّلًا ثم بليغًا:
- ١ - وجه مريم كالقمر .
- ٢ - ظفر الطفل مثل المخلب .
- ٣ - صوت الإمام يشبه البلبل .
- ٤ - المؤمن كالنحلة .
- (٧) اجعل التشبيه التالي تشبيهًا تمثيليًا مع تغيير ما يلزم:
- ١ - أبي معروف كالشمس .
- ٢ - الكتب مثل الأصدقاء .
- ٣ - زيد وسعيد وعلي يشبهون الزهور .



الفصل الثاني

الاستعارة

الفصل الثاني

الاستعارة

الاستعارة:

أو هو طَلَبُ الإعارة، مثل: (اِسْتَعَارَ الطَّالِبُ كِتَابًا مِنَ الْأُسْتَاذِ).

الطالب: مُسْتَعِير.

الأستاذ: مُسْتَعَار منه.

الكتاب: مُسْتَعَار.

وهذه العملية تُسَمَّى اسْتِعَارَةً.

الاستعارة في اللغة:

هي طَلَبُ شَيْءٍ ما للانتفاع به، زَمَنًا ما دُونَ مُقَابِلٍ، على أن يَرُدَّهُ الْمُسْتَعِيرُ إِلَى الْمُسْتَعَار منه، عند انتهاء الْمُدَّةِ الْمَمْنُونَةِ له، أو عند الطلب.

الاستعارة عند البيانين:

هي استعمالُ لَفْظٍ ما، في غير ما وُضِعَ له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة عن إرادة المعنى الموضوع له في اصطلاح به التخاطب.

فمثلا عندما تقول: (تَكَلَّمَ شَيْخٌ شَجَاعٌ فَوْقَ الْمِنْبَرِ) فالمعنى هنا خالٍ من الاستعارة، لكن إذا أردت الاستعارة فإنك تستعمل أو تستعير كلمة أخرى من بيئة أخرى بشرط أن تكون هناك علاقة بين الكلمة المستعارة والمعنى المراد توضيحه، فتقول: (تَكَلَّمَ أَسَدٌ فَوْقَ الْمِنْبَرِ).

فَأَنْتَ هُنَا اسْتَعَرْتَ كَلِمَةً (أَسَد) مِنْ بَيْئَةِ الْحَيَوَانِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى الشَّجَاعَةِ، ثُمَّ اسْتَخْدَمْتَهَا فِي بَيْئَةِ الْإِنْسَانِ، لِتُسْتَفِيدَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ لِعِلَاقَةِ الْمِشَابَهَةِ.

فَالِاسْتِعَارَةُ تَشْبِيهٌُ حُذِفَ وَاحِدٌ مِنْ طَرَفَيْهِ (الْمِشَبَّه - الْمِشَبَّهُ بِهِ)، وَهِيَ أَكْثَرُ بَلَاغَةً مِنَ التَّشْبِيهِ، وَيَتَضَحَّ ذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: (خَالِدٌ كَالْأَسَدِ فِي الشَّجَاعَةِ) فَهَذَا تَشْبِيهٌُ مُفَصَّلٌ.

فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُبَالِغَ أَكْثَرَ قُلْتَ: (خَالِدٌ كَالْأَسَدِ - خَالِدٌ أَسَدٌ شَجَاعَةً).
فَكُلَا الْمَثَالَيْنِ تَشْبِيهٌُ مُجْمَلٌ.

فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُبَالِغَ أَكْثَرَ قُلْتَ: (خَالِدٌ أَسَدٌ) فَهَذَا تَشْبِيهٌُ بَلِيغٌ، وَهَذِهِ نَهَايَةُ الْمَبَالِغَةِ فِي التَّشْبِيهِ.

انظر إلى هذه الأمثلة:

١ - خَالِدٌ كَالْأَسَدِ فِي الشَّجَاعَةِ.

٢ - خَالِدٌ كَالْأَسَدِ.

٣ - خَالِدٌ أَسَدٌ.

نَجِدُ أَنَّ الْمِشَبَّهَ (خَالِدَ)، وَالْمِشَبَّهَ بِهِ (أَسَدَ) هُمَا رَكْنَانِ أُسَاسِيَانِ لِلتَّشْبِيهِ، لَا يُحْذَفَانِ فِي التَّشْبِيهِ الْمَفْصَّلِ، وَلَا الْمَجْمَلِ، وَلَا الْبَلِيغِ. بَيْنَمَا الرُّكْنَانِ الْآخَرَانِ لِلتَّشْبِيهِ (أَدَاةُ التَّشْبِيهِ - وَجْهُ الشَّبهِ) قَدْ يُحْذَفَانِ.

إِذْنًا: عِنْدَنَا رَكْنَانِ أُسَاسِيَانِ لَا يُحْذَفَانِ، وَهُمَا (الْمِشَبَّه - الْمِشَبَّهُ بِهِ).

وَرَكْنَانِ غَيْرِ أُسَاسِيَيْنِ، هُمَا: (أَدَاةُ التَّشْبِيهِ - وَجْهُ الشَّبهِ) وَقَدْ يُحْذَفَانِ عَلَى حَسَبِ رَغْبَةِ الْمُتَكَلِّمِ.

فإذا أردت أن تبالغ أكثر، وحذفت أحد الركنين الأساسيين للتشبيه، أى (المشبه - المشبه به) تكون بذلك قد انتقلت من التشبيه إلى الاستعارة، وهذا معنى الاستعارة عند بعض البلاغيين، حيث يقولون: الاستعارة عبارة عن تشبيه حُذِفَ منه أحد طرفيه أو رُكْنَيْهِ.

وهي من قبيل المجاز في الاستعمال اللغوي للكلام، وأصلها تشبيه حُذِفَ منه المشبه وأداة التشبه ووجه الشبه، ولم يبق منه إلا ما يدل على المشبه به، بأسلوب استعارة اللفظ الدال على المشبه به، أو استعارة بعض مشتقاته، أو بعض لوازمه، واستعمالها في الكلام بدلاً عن ذكر لفظ المشبه، مُلاحَظًا في هذا الاستعمال ادعاء أن المشبه داخل في جنس أو نوع أو صنف المشبه به، بسبب مشاركته له في الصفة التي هي وجه الشبه بينهما، في رؤية صاحب التعبير.



أنواع الاستعارة

أولاً: الاستعارة التصريحية:

وهي التي يُصَرَّحُ فيها بالمشبه به ويُحذفُ المشبه.

مثل: (تَكَلَّمَ أَسَدٌ فَوْقَ الْمِنْبَرِ)، حيث شبه الشيخ بالأسد.

الشيخ: مشبه.

الأسد: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الأسد)، والمحذوف، هو المشبه (الشيخ)؛ لذا

فهى استعارة تصريحية.

ومثل قول الله تعالى: ﴿الرَّ كَتَبْتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١٩٩﴾ [إبراهيم: ١].

شَبَّهَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - الْكُفْرَ بِالظُّلُمَاتِ.

الكفر: مشبه.

الظلمات: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الظلمات)، والمحذوف، هو المشبه (الكفر)، لذا

فهى استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

كما شَبَّهَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - الْإِسْلَامَ بِالنُّورِ.

الإسلام: مشبه.

النور: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (النور)، والمحذوف، هو المشبه (الإسلام)، لذا

فهى استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به، فهنا استعارتان تصرّيحيتان .

ومثل: (رَأَيْتُ أَسَدًا عَلَى فَرَسِهِ)، شَبَّهَ الرجل الشجاع بالأسد.

الرجل الشجاع: مشبه.

الأسد: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الأسد)، والمحذوف، هو المشبه (الرجل

الشجاع)؛ لذا فهى استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

ففى لفظة (أسد) فى هذا المثال، استعارة تصريحية كما سبق، فإنه أراد تشبيه

الرجل الشجاع بالأسد لعلاقة الشجاعة، فحذف المشبه الذى هو الرجل

الشجاع، وصرّح بالمشبه به الذى هو الأسد، على سبيل الاستعارة التصريحية.

ومثل قوله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

شَبَّهَ اللَّهَ - سبحانه وتعالى - الدِّينَ بالنُّورِ.

الدين: مشبه.

نور: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (النور)، والمحذوف، هو المشبه (الدين)، لذا

فهى استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

ومثل قوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

شَبَّهَ اللَّهَ - سبحانه وتعالى - الدِّينَ بِالْحَبْلِ.

الدين: مشبه.

الحبل: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الحبل)، والمحذوف، هو المشبه (الدين)، لذا فهي استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

ومثل قول الحُطَيْيَّةِ مُسْتَعْطِفًا الخليفةَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ:

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرَخٍ حُمِرِ الْحَوَاصِلِ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرٌ
أَلْقَيْتَ كَاسِيَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلَمَةٍ فَاغْفِرْ، عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عُمَرُ

الأولاد: مشبه.

الأفراخ: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الأفراخ)، والمحذوف، هو المشبه (الأولاد)؛ لذا فهي استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

فقد شبه الشاعر أولاده بالأفراخ الصغيرة، وحذف المشبه (الأولاد) وصرح بالمشبه به (الأفراخ)؛ لذا فهي استعارة تصريحية.

ومثل: (حَرَّرَ أَسْوَدَنَا مِصْرَ مَنْ ظَلَمَ الْفَاسِدِينَ) حيث شبه الشباب بالأسود، وحذف المشبه (الشباب)، وصرَّح بالمشبه به (الأسود)؛ لذا فهي استعارة تصريحية.

وكذلك قولك: (أَبْصَرْتُ قَمَرًا يُنَظِّفُ الْبَيْتَ).

شَبَّهَ الْمُتَكَلِّمُ الْبِنْتَ الْجَمِيلَةَ بِالْقَمَرِ.

البنت: مشبه.

القمر: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (القمر)، والمحذوف، هو المشبه (البنت)، لذا فهي استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

ومثل قوله تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦].

شَبَّهَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - الدِّينَ بالطَّرِيقِ، أى: الصِّرَاطَ.

الدين: مشبه.

الصراط: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الصراط)، والمحذوف، هو المشبه (الدين)، لذا فهي استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

ومثل قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ [الإسراء: ١٣].

شَبَّهَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - عَمَلَ الْإِنْسَانِ بالطَّائِرِ.

العمل: مشبه.

الطائر: مشبه به.

والمذكور هنا المشبه به، وهو (الطائر)، والمحذوف، هو المشبه (العمل)، لذا فهي استعارة تصريحية؛ لأنه صرح بالمشبه به.

والمراد بطائره: عَمَلُهُ الصَّادِرُ عَنْهُ بِاخْتِيَارِهِ وَكَسْبِهِ، حَسْبَمَا قَدَّرَهُ اللَّهُ - تعالى - عليه من خَيْرٍ وَشَرٍّ.

أى: وَأَلْزَمْنَا كُلَّ إِنْسَانٍ مُكَلَّفٍ عَمَلَهُ النَّاتِجَ عَنْهُ، إلزامًا، لَا فِكَاكَ لَهُ مِنْهُ، وَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى مُفَارَقَتِهِ.

وعَبَّرَ - سبحانه - عَنْ عَمَلِ الْإِنْسَانِ بِطَائِرِهِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا - كما يقول الألوسى - يَتَفَاءَلُونَ بِالطَّيْرِ، فَإِذَا سَافَرُوا وَمَرَّ بِهِمُ الطَّيْرُ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ إِلَى الْيَمِينِ - تَيَمَّنُوا وَتَفَاءَلُوا، وَإِنْ مَرَّ مِنْ جِهَةِ الْيَمِينِ إِلَى الشَّامِ تَشَاءَمُوا، فَلَمَّا نَسَبُوا

الْخَيْرَ وَالشَّرَّ إِلَى الطَّائِرِ، استعير استعارة تصرّحية، لما يشبههما من قدر الله - تعالى - وعمل العبد؛ لأنه سببٌ للخير والشر.

وقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿ فِي عُنُقِهِ ﴾ تصوير لشدة اللزوم وكمال الارتباط بين الإنسان وعمله.

وَحَصَّ - سبحانه - العُنُقَ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَعْضَاءِ؛ لِأَنَّ اللَّزُومَ فِيهِ أَشَدُّ، ولأنه العضو الذي تارة يكون عليه ما يُزَيِّنُهُ كَالْقِلَادَةِ وما يُشَبِّهُهَا، وتارة يكون فيه ما يَشِينُهُ كَالْغُلِّ وَالْقَيْدِ وما يُشَبِّهُهَا.

قال الإمامُ ابْنُ كَثِيرٍ: ﴿ طَيْرُهُ ﴾: هو ما طارَ عنه مِنْ عَمَلِهِ، كما قال ابْنُ عَبَّاسٍ وَجَاهِدٌ، وغير واحد - من خير أو شر، يلزم به ويجازى عليه

وقوله - سبحانه -: ﴿ وَخُجِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾ بيان لحاله في الآخرة بعد بَيَانِ حَالِهِ فِي الدُّنْيَا.

والمراد بالكتابِ هنا صَحَائِفُ أَعْمَالِهِ الَّتِي سُجِّلَتْ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا.

أى: أَلْزَمْنَا كُلَّ إِنْسَانٍ مُكَلَّفٍ عَمَلَهُ الصَّادِرَ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا، وجعلناه مسئولا عنه دُونَ غَيْرِهِ. أَمَا فِي الْآخِرَةِ فَسَنُخْرِجُ لَهُ مَا عَمَلَهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ (في كتاب يلقاه منشورا) أى: مفتوحا بحيث يستطيع قراءته، ومكشوفاً بحيث لا يملك إخفاء شَيْءٍ مِنْهُ، أَوْ تَجَاهُلُهُ، أَوْ الْمُغَالَطَةَ فِيهِ.

كتابٌ ظَهَرَتْ فِيهِ الْخَبَايَا وَالْأَسْرَارُ ظُهُورًا يَغْنَى عَنِ الشُّهُودِ وَالْجِدَالِ.

كتاب مشتمل على كل صغيرة وكبيرة من أعمال الإنسان.

اتبه!

الاستعارة كما قلنا: هى تشبيه حُذِفَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ.

مثل: (مَرِيْمٌ كَالْقَمَرِ فِي الْجَمَالِ) هذا تشبيهٌ مُفَصَّلٌ.

أَحْذِفْ وَجْهَ الشَّبَّهِ، تقول: (مَرِيْمٌ كَالْقَمَرِ).

ثم أَحْذِفْ الأَدَاةَ، تقول: (مَرِيْمٌ قَمَرٌ).

ثم أَحْذِفْ أَحَدَ الطرفين، تقول: (رَأَيْتُ قَمَرًا يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ)، الآن لم يبق لنا من أركان التشبيه إلا طرف واحد، وهو المشبه به.

وعلى هذا فإذا أردت أن تذكر استعارة اذكر تشبيهاً تاماً أولاً، ثم احذف منه، هكذا:

١ - أَحْذِفْ وَجْهَ الشَّبَّهِ.

٢ - أَحْذِفْ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ.

٣ - أَحْذِفْ الْمُشَبَّهَ.

٤ - ثُمَّ كَوِّنْ جُمْلَةً يَتِمُّ بِهَا الْكَلَامُ.

وإذا أردت أن تمدح يوسف بالكرم، تقول: (يُوسُفُ كَالْبَحْرِ فِي الْكَرَمِ) هذا تشبيهٌ مُفَصَّلٌ.

أَحْذِفْ وَجْهَ الشَّبَّهِ، تقول: (يُوسُفُ كَالْبَحْرِ).

ثم أَحْذِفِ الأَدَاةَ، تقول: (يُوسُفُ بَحْرٌ).

ثم أَحْذِفْ أَحَدَ الطرفين، تقول: (جَاءَنَا بَحْرٌ يُنْفِقُ وَلَا يَخَافُ الْفَقْرَ)، الآن لم يبق لنا من أركان التشبيه إلا طرف واحد، وهو المشبه به.

وإذا أردت أن تمدح إبراهيم بالشجاعة، تقول: (إِبْرَاهِيمُ كَالْأَسَدِ فِي الشَّجَاعَةِ) هذا تشبيهٌ مُفَصَّلٌ.

احذف وجه الشبه، تقول: (إِبْرَاهِيمُ كَالْأَسَدِ).

ثم احذف الأداة، تقول: (إِبْرَاهِيمُ أَسَدٌ).

ثم احذف أحد الطرفين، تقول: (تَكَلَّمَ أَسَدٌ فَوْقَ الْمِنْبَرِ)، الآن لم يَبْقَ لنا من أركان التشبيه إلا طرف واحد، وهو المشبه به.

وهذا معنى أَنَّ الاستعارة هي عبارةٌ عن تشبيهٍ حُذِفَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ.

وإذا أردت أن تمدح الوزير بالمكر، تقول: (الْوَزِيرُ كَالثُعْلَبِ فِي الْمَكْرِ) هذا تشبيهٌ مُفَصَّلٌ.

احذف وجه الشبه، تقول: (الْوَزِيرُ كَالثُعْلَبِ).

ثم احذف الأداة، تقول: (الْوَزِيرُ ثُعْلَبٌ).

ثم احذف أحد الطرفين، تقول: (تَوَلَّى ثُعْلَبٌ الْوِزَارَةَ)، الآن لم يَبْقَ لنا من أركان التشبيه إلا طرف واحد، وهو المشبه به.

ثانياً: الاستعارة المكنية:

هي ما حُذِفَ فيها المشبَّه به ورُمِزَ له بشيءٍ من لوازمه، مع ذكرِ المُشَبَّهِ، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

شَبَّهَ اللَّهُ - سبحانه - الذَّلَّ بطَائِرٍ لَهُ جَنَاحٌ.

الذل: مشبه.

الطائر: مشبه به.

والمذكورُ هُنَا المُشَبَّه، وَهُوَ (الذل)، وَحَذَفَ المُشَبَّه به (الطائر)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (الْجَنَاحُ)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ المُشَبَّهَ وَحَذَفَ المُشَبَّه به.

ومثل حديث ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى

خَمْسٍ شَهَادَةٍ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ
وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ» رواه البخارى.

شَبَّهَ الرَّسُولُ ﷺ الْإِسْلَامَ بِالْبَيْتِ.

الإسلام: مشبه.

البيت: مشبه به.

وَالْمَذْكُورُ هُنَا الْمُشَبَّه، وَهُوَ (الإسلام)، وَحَذَفَ الْمُشَبَّهُ بِهِ (البيت)، لَكِنَّهُ
ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (بُنَى)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْمُشَبَّهَ
وَحَذَفَ الْمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل: (بَكَتِ السَّمَاءُ عَلَى الشَّهِيدِ) شَبَّهَ السَّمَاءَ بِإِنْسَانٍ يَبْكِي.

السماء: مشبه.

الإنسان: مشبه به.

وَالْمَذْكُورُ هُنَا الْمُشَبَّه، وَهُوَ (السماء)، وَحَذَفَ الْمُشَبَّهُ بِهِ (الإنسان)، لَكِنَّهُ
ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (يَبْكِي)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْمُشَبَّهَ
وَحَذَفَ الْمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ
بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ
وُظُنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِيرُونَ عَلَيَّهَا أَتَيْنَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ
تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ ﴾ [يونس: ٢٤].

شَبَّهَ اللَّهُ - سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى - الْأَرْضَ بِالْمَرْأَةِ الَّتِي تَتَزَيَّنُّ.

الأرض: مشبه.

المرأة: مشبه به.

والمذكور هنا المُشَبَّه، وهو (الأرض)، وحذف المُشَبَّه به (المرأة)، لكنه ذكر شيئاً يدلُّ عليه، وهو (أزيت)، لذا فهي استعارة مكنية؛ لأنه ذكر المُشَبَّه وحذف المُشَبَّه به.

والزخرف: اسم الذهب، وأطلق على ما يُتَزَيَّن به مما فيه ذهب وتلوين من الثياب والحلي، وشبَّهت الأرض بالمرأة حين تريد التزيّن، فتَحْضِرُ أَحْسَنَ ثِيَابَهَا من حليّ وألوان.

وذكر ﴿وَأَزَيْتَ﴾ بعد ﴿زُخِرْفَهَا﴾؛ لأن المرأة تأخذ زخرفها للتزيّن. وأصل (أزيت): تَزَيَّنْتَ، فَقَلِبْتَ التاء زايًا؛ لتدغم في الزاي فَسُكِّنَتْ وَأُدْغِمَتْ واجتلبت همزة الوصل لأجل النطق بالساكن.

ومثل قول تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿٢١٤﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ [الشعراء: ٢١٤، ٢١٥]، شَبَّهَ اللَّهُ - تَعَالَى - الرَّسُولَ ﷺ بِالطَّائِرِ الَّذِي لَهُ جَنَاحٌ.

الرسول: مشبه.

الطائر: مشبه به.

والمذكور هنا المُشَبَّه، وهو (الرسول) الذي خُوطِبَ بِهِ الآيات، وحذف المُشَبَّه به (الطائر)، لكنه ذكر شيئاً يدلُّ عليه، وهو (جناحك)، لذا فهي استعارة مكنية؛ لأنه ذكر المُشَبَّه وحذف المُشَبَّه به.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وَخَفَضَ الْجَنَاحَ تَمَثِيلٌ للرفق والتواضع بحال الطائر إذا أراد أن يَنْحَطَّ للوقوع خَفَضَ جَنَاحَهُ يُرِيدُ الدُّنُو، وكذلك يَفْعَلُ إذا لَاعَبَ أَثْنَاهُ، حيث يَمِيلُ إِلَى الْمُسَالَمَةِ والرفق، أو الذي يَتَهَيَّأُ لاحتِضَانِ فِرَاحِهِ.

وقد انتشر أمرُ الجناح حتى صار كالمثل في التواضع واللين في المعاملة. وضد ذلك رفع الجناح تمثيلٌ للجفاء والقسوة والشدة.

ومثل قوله تعالى حكايةً عن فرعون: ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٤٠].

شَبَّهَ اللَّهُ - سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى - فرعونَ وَجُنُودَهُ بِحَصِيَّاتٍ أَوْ حِجَارَةٍ أَخَذَهُنَّ فِي كَفِّهِ فَأَلْقَاهُنَّ فِي الْبَحْرِ.

فرعونُ وَجُنُودُهُ: مشبه.

حَصِيَّاتٍ: مشبه به.

والمذكورُ هنا المُشَبَّه، وَهُوَ (فرعونُ وَجُنُودُهُ)، وَحَذَفَ المُشَبَّهُ بِهِ (حَصِيَّاتٍ أَوْ حِجَارَةٍ)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (فنبذناهم)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ المُشَبَّهَ وَحَذَفَ المُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل قوله تعالى: ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَى مَا قَرَّبْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴾ [الزمر: ٥٦] شَبَّهَ اللَّهُ - تَعَالَى - الْحَسْرَةَ بِالْعَاقِلِ الَّذِي يُنَادِي لِيُقْبَلَ.

الحسرة: مشبه.

العاقل: مشبه به.

والمذكورُ هنا المُشَبَّه، وَهُوَ (الحسرة)، وَحَذَفَ المُشَبَّهُ بِهِ (العاقل)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ النداء (يا)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ المُشَبَّهَ وَحَذَفَ المُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ۚ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [القلم: ٥١، ٥٢].

عَرَفَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ بَعْضَ مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ نُفُوسُ الْمُشْرِكِينَ تَجَاهِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْحَقْدِ وَالْغَيْظِ وَإِضْهَارِ الشَّرِّ عِنْدَمَا يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ.

لِيُزْلِقُونَكَ: أَيِ يُسْقِطُونَكَ وَيَصْرَعُونَكَ وَيُهْلِكُونَكَ. وقال القرطبي: يقال: زَلَقَ السَّهْمُ وَزَهَقَ، إِذَا نَقَذَ.

شَبَّهَ اللَّهُ - سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى - الْأَبْصَارَ بِالسَّهَامِ الَّتِي يُضْرَبُ بِهَا.

الْأَبْصَارَ: مُشَبَّه.

السَّهَامَ: مُشَبَّه بِهِ.

وَالْمَذْكُورُ هُنَا الْمُشَبَّه، وَهُوَ (الْأَبْصَارُ)، وَحَذَفَ الْمُشَبَّهَ بِهِ (السَّهَامَ)، لِكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (يُزْلِقُونَكَ)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل: (جُنُودُنَا يَفْتَرِسُونَ الْأَعْدَاءَ) شَبَّهَ الْجُنُودَ بِأَسُودٍ يَفْتَرِسُونَ الْأَعْدَاءَ.

الجنود: مُشَبَّه.

الأسود: مُشَبَّه بِهِ.

وَالْمَذْكُورُ هُنَا الْمُشَبَّه، وَهُوَ (الجنود)، وَحَذَفَ الْمُشَبَّهَ بِهِ (الأسود)، لِكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (يَفْتَرِسُونَ)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل: (لِلْحُرِّيَّةِ بَابٌ) شَبَّهَ الْحُرِّيَّةَ بِمَنْزِلٍ لَهُ بَابٌ.

الحرية: مُشَبَّه.

منزل: مُشَبَّه بِهِ.

وَالْمَذْكُورُ هُنَا الْمُشَبَّه، وَهُوَ (الحرية)، وَحَذَفَ الْمُشَبَّهَ بِهِ (منزل)، لِكِنَّهُ

ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (باب)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل قول الشاعر:

نَسِيَ الطِّينَ سَاعَةً أَنَّهُ طِيءٌ مِنْ حَقِيرٍ فَصَالَ تَيْهًا وَعَرَبَدَ

شَبَّهَ الشاعر الطين بإنسان ينسى.

الطين: مشبه.

إنسان: مشبه به.

والمذكورُ هُنَا الْمُشَبَّه، وَهُوَ (الطين)، وَحَذَفَ الْمُشَبَّهَ بِهِ (إنسان)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (ينسى)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْمُشَبَّهَ بِهِ.

ومثل: (القائدُ يَزَارُ فِي حَدِيثِهِ) شَبَّهَ المتكلمُ القائدَ بِأَسَدٍ يَزَارُ.

القائد: مشبه.

أسد: مشبه به.

والمذكورُ هُنَا الْمُشَبَّه، وَهُوَ (القائد)، وَحَذَفَ الْمُشَبَّهَ بِهِ (أسد)، لَكِنَّهُ ذَكَرَ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ (يزار)، لِذَا فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْمُشَبَّهَ وَحَذَفَ الْمُشَبَّهَ بِهِ.

إِذْنِ الاستعارة المكنية: يَتِمُّ حَذْفُ الْمُشَبَّهِ بِهِ، وَإِبْقَاءُ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ، أَوْ لَازِمَةٍ مِنْ لَوَازِمِهِ، مِثْلُ: (الْأَزْهَارُ تَبَتَّسُمُ) حَيْثُ شَبَّهَ الْأَزْهَارَ (المشبه) بِالْإِنْسَانِ (المشبه به) وَحَذَفَ الْمُشَبَّهَ بِهِ، وَهُوَ الْإِنْسَانُ، وَأَبْقَى عَلَى شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ، وَهُوَ الْابْتِسَامُ، عَلَى سَبِيلِ الاستعارة المكنية.

ثالثاً: الاستعارة التمثيلية:

وهي أن تَسْتَعِيرَ مثلاً مِنَ الْأَمْثَالِ مَنْ قِصَّتِهِ الْأَصْلِيَّةُ، وَتَطْلُقَهُ عَلَى مَوْقِفٍ جَدِيدٍ يُشَبِّهُ الْمَوْقِفَ الْأَصْلِيَّ، ومنها: (وَمَنْ يَبْذُرِ الشُّوكَ يَجْنِ الْجِرَاحَ).

وهذا المثل يُقَالُ فِي آيَةٍ قِصَّةٍ حَاضِرَةٍ مُشَابِهَةٍ لِهَذِهِ الْقِصَّةِ الْقَدِيمَةِ؛ لَكِنْ يُحَافِظُ عَلَى لَفْظِهِ وَشَكْلِهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِعَارَةِ التَّمْثِيلِيَّةِ، وَهَكَذَا بَاقِيَ الْأَمْثَالِ.

والاستعارة التمثيلية كانت في الأصل تشبيهاً تمثيلاً حذف منه المشبه، أي القصة الحاضرة، وذكر فيها المشبه به أي: القصة القديمة مع الحفاظ على كلمات المثل وشكله، ومن هذه الأمثال:

١ - قول الرسول ﷺ: «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ» رواه البخاري ومسلم.

هذه العبارة النبوية تُسْتَعْمَلُ عَلَى سَبِيلِ (الاستعارة التمثيلية) للتحذير من تَكَرُّرِ الْعَمَلِ الَّذِي سَبَّبَ مُشْكَلَةً، وَقَالَ لِمَنْ نَالَ أَذًى وَيَحْشَى تَكَرُّرَ ذَلِكَ الْأَذَى.

٢ - إذا رأى الناسُ اجْتِمَاعَ جُمْهُورٍ كَثِيرٍ عَلَى عَالَمٍ، أَوْ وَاِعْظُ، أَوْ زَعِيمٍ، أَوْ كَثْرَةِ إِقْبَالِهِمْ عَلَى سَوْقٍ مِنْ أَسْوَاقِ التِّجَارَةِ، تَمَثَّلَ قَائِلُهُمْ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَالْمَوْرِدُ الْعَازِبُ كَثِيرُ الزَّخَامِ

هذا القول يُسْتَعْمَلُ عَلَى سَبِيلِ (الاستعارة التمثيلية) مراداً به غير معناه الأصلي الذي قاله الشاعر للدلالة به عليه.

٣ - وَيُقَالُ لِمَنْ يُنْصَحُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَسَائِلِ الْقُوَّةِ مَا يَصْلُحُ لِتَحْقِيقِ تَغْلِبِهِ عَلَى الصَّعَابِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي تَوَاجَهُ: (إِنَّ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ يُفْلَحُ).

٤ - وَيَقَالُ لِمَنْ يَعْمَلُ جَاهِداً فِي إِقَامَةِ الْفُرُوعِ قَبْلَ الْعَمَلِ بِتَأْسِيسِ الْأَصُولِ: (مَنْ بَنَى عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَبَنَاؤُهُ مُنْهَارٌ).

أو (قَبْلَ أَنْ تَرْفَعَ بِنَاءَكَ أَرْسِ أُسُسَهُ وَدَعَائِمَهُ).

٥ - ويقال لمن يترك العمل زاعماً أن التوكل على الله يكفي، ما قال الرسول ﷺ للأعرابي حين سأل: أأَعْقِلُ نَافَتِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ أَتَوَكَّلُ؟ قال: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ».

٦ - ومثل (سَبَقَ السَّيْفُ الْعَزَلَ) يُقَالُ لِمَنْ ضَاعَتْ مِنْهُ الْفُرْصَةُ الَّتِي كَانَ يَرْجُو تَحْقِيقَهَا.

٧ - ومثل (كَيْفَ أَعَاوِدُكَ وَهَذَا أَثَرُ فَأْسِكَ؟) يقال لِمَنْ أَخْلَفَ وَعْدَهُ مَرَّةً وَيَخْشَى تَكَرُّرَ ذَلِكَ الْأَذَى حَيْثُ وَرَدَ فِي قِصَّةٍ خَيَالِيَّةٍ أَنَّ حَيَّةً لَدَغَتْ شَخْصًا، فَخَافَتْ أَنْ يَقْتُلَهَا أَخُو هَذَا الشَّخْصِ بِالثَّأْرِ، فَعَقَدَتْ مَعَهُ صُلْحًا عَلَى الْأَلَا يُضَرَّهَا بِشَرْطٍ أَنْ تَتْرُكَهُ يَرْعَى فِي أَرْضِهَا.

وفي يومٍ وَجَدَهَا عِنْدَ بَابِ جُحْرِهَا، فَتَذَكَّرَ أَنَّهَا قَاتِلَةُ أَخِيهِ فَثَارَتْ نَفْسُهُ، فَضَرَبَهَا بِالْفَأْسِ، فَلَمْ يَقْتُلْهَا، وَهَرَبَتْ مِنْهُ، وَقَدْ تَرَكْتَ الْفَأْسَ أَثَرًا عَلَى بَابِهَا، فَخَافَ مِنْهَا وَطَلَبَ إِلَيْهَا أَنْ تَجِدَ الْعَهْدَ السَّابِقَ مَعَهَا، فَقَالَتْ: كَيْفَ أَعَاوِدُكَ وَهَذَا أَثَرُ فَأْسِكَ؟

٨ - ومثل (قَطَعْتَ جَهِيْزَةَ قَوْلٍ كُلِّ خَطِيْبٍ) يُقَالُ لِمَنْ جَاءَ بِالْحَلِّ الْفَاصِلِ عِنْدَ الْاِخْتِلَافِ .

وهذا النوع من الاستعارة يستعملها الناس في مخاطباتهم وأمثالهم الدارجة، في فصيح الكلام العربي، وفي اللسان العامي الذي يتخاطب عامة الناس به، ويُستعمل أيضًا في غير العربية من اللغات الإنسانية الأخرى.

فمن العامي قول الناس إِذَا رَأَوْا صَاحِبَ صَنْعَةٍ أَوْ مَهْنَةٍ يُهْمِلُ أَشْيَاءَهُ الْخَاصَّةَ الَّتِي يَصْنَعُ مِثْلَهَا لِغَيْرِهِ بِإِتْقَانٍ: (بَابُ النَّجَّارِ مَخْلَعٌ) أَوْ (السَّكَانِي حَافِي وَالْحَايِكُ عُرْيَانٌ).

تنبيه:

حين تجري العبارة مجرى الأمثال، وتُصْبِحُ مثلاً، فإنَّها تُسْتَعَار بلفظها
دُونَ تَغْيِيرٍ، فيخاطَبُ بها المفرد والمذكر وفروعهما: (المؤنث - المثنى - الجمع)
وَفَقَّ صِيغَتِهَا التي وَرَدَتْ دُونَ تَبْدِيلٍ وَلَا تَعْدِيلٍ.

ومنها الأمثال التالية:

١ - قولهم: (أَحْشَفًا وَسُوءَ كَيْلَةٍ).

الْحَشَفُ: التمر الردي الذي فَقَدَ خَصَائِصَهُ، الكَيْلَةُ: هَيْئَةُ الْكَيْلِ.

هذا مثل يُقال لمن يُظْلَمُ مِنْ جِهَتَيْنِ.

٢ - قولهم: (الصَّيْفَ صَيَّعَتِ اللَّبَنَ)، مثل يُقال لمن فَرَطَ بِطَلَبِ حَاجَتِهِ عِنْدَ

تَمَكُّنِهِ، ثُمَّ طَلَبَهَا بَعْدَ فَوَاتِ أَوَانِهَا.

وأصل المثل أَنَّ امْرَأَةً طَلَبَتْ الطَّلَاقَ مِنْ زَوْجِهَا الْغَنِيِّ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي زَمَنِ
الصَّيْفِ، فَطَلَّقَهَا، فَتَزَوَّجَتْ ابْنَ عَمَّهَا، وَكَانَ شَابًّا مُعْدَمًا، فَمَرَّتْ فِي الشَّتَاءِ
بَارِضِهَا، إِبِلُ زَوْجِهَا السَّابِقِ، فَأَرْسَلَتْ خَادِمَهَا إِلَيْهِ تَطْلُبُ مِنْهُ لَبَنًا، فَقَالَ:
«الصَّيْفَ صَيَّعَتِ اللَّبَنَ» فَسَارَتْ عِبَارَتُهُ مِثْلًا.

ملاحظة:

والحقائق السَّامِيَّةُ فِي مَعَانِيهَا وَأَهْدَافِهَا تَأْخُذُ صَوْرَتَهَا الرَّائِعَةَ إِذَا صِيغَتْ فِي
قَالِبٍ حِسِّيٍّ يُقَرِّبُهَا إِلَى الْأَفْهَامِ بِقِيَاسِهَا عَلَى الْمَعْلُومِ الْيَقِينِيِّ، وَالتَّمْثِيلِ هُوَ الْقَالِبُ
الَّذِي يُبْرِزُ الْمَعْنَى فِي صُورَةٍ حَيَّةٍ تُسْتَقَرُّ فِي الْأَذْهَانِ، بِتَشْبِيهِ الْغَائِبِ بِالْحَاضِرِ،
وَالْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ. وَقِيَاسُ النَّظِيرِ عَلَى النَّظِيرِ، وَكَمْ مِنْ مَعْنَى جَمِيلٍ أَكْسَبَهُ
التَّمْثِيلُ رُوعَةً وَجَمَالًا، فَكَانَ ذَلِكَ أَدْعَى لِتَقْبُلِ النَّفْسِ لَهُ، وَاقْتِنَاعِ الْعَقْلِ بِهِ، وَهُوَ
مِنْ أَسَالِيْبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي ضُرُوبِ بَيَانِهِ وَنَوَاحِي إِعْجَازِهِ.

ومن العلماء من أفرد الأمثال في القرآن بالتأليف، ومنهم من عقَد لها بابًا في كتاب من كتبه، فأفرد بها بالتأليف أبو الحسن الماوردي، وعَقَد لها السيوطي بابًا في الإِتقان، وابن القيم في كتاب أعلام الموقعين. حيث تتبع أمثال القرآن التي تَصَمَّنَتْ تَشْبِيهَ الشَّيْءِ بِنظِيرِهِ، والتسوية بينهما في الحكم - فبلغت بضعة وأربعين مثلاً.

وَذَكَرَ اللهُ في كتابه العزيز أنه يضرب الأمثال، مثل:

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧].

وعن عليٍّ عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ أَمْرًا وَزَاجِرًا، وَسُنَّةً خَالِيَةً، وَمَثَلًا مَضْرُوبًا».

الفائدة البلاغية للاستعارة:

للاستعارة فوائد بلاغية وجمالية، ذلك أنها توضح الفكرة، وتقوي المعنى من خلال التشخيص، أو التجسيم، أو التوضيح.

التشخيص، نحو: (بَكَتِ السَّمَاءُ عَلَى الشَّهِيدِ) استعارة مكنية، حيث شبه السماء بإنسان يبكي، سر جمالها التشخيص.

التجسيم، نحو: (لِلْحُرِّيَّةِ بَابٌ) استعارة مكنية، حيث شبه الحرية بمنزل له باب، سِرَّ جَمَاهَا التجسيم، أي تجسيم معنوي.

التوضيح، نحو: (عَبَّرَ أُسُودُنَا الْقَنَاطَةَ) استعارة تصريحية، حيث شبه الجنود بالأسود، وسِرَّ جَمَاهَا التوضيح؛ لأنَّ كلاً من الْمُسَبَّهِ وَالْمُشَبَّهِ بِهِ حَسِّيَّانِ .



تدريبات

(١) عين الاستعارة التصريحية والمكنية مما يلي:

١ - قول الله: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

٢ - قول تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿٢١٤﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ [الشعراء: ٢١٤، ٢١٥].

٣ - قول الرسول ﷺ: «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ» رواه البخاري ومسلم.

٤ - قول الشاعر:

سَيْرَانَا الدَّهْرُ نَمْضِي خَلْفَهَا وَخُدَّةٌ مَشْبُوبَةٌ بِاللَّهَبِ

٥ - قول الشاعر:

فَهَيَّا نَنْزِعَ الشَّرًّا وَهَيَّا نَحْطِمُ الطُّغْيَانَ
وَتَبْحَثْ فِي ثَنَائِكَ عَنِ الْخَيْرِ عَنِ الْإِيمَانِ

٦ - قول الشاعر:

نَسِيَ الطِّينُ سَاعَةً أَنَّهُ طِينٌ حَقِيرٌ فَصَالَ تَيْهًا وَعَرَبَدَ

٧ - قول الله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ [الفاتحة: ٦].

٨ - قول الشاعر:

يَحْطُوبٍ رَجَاءٍ بَسَّامٍ وَطَنِي وَصَبَايَ وَأَحْلَامِي
هَتَفَ التَّارِيخُ بِهِ فَصَحَا وَمَضَى وَثَبًا وَمَشَى مَرْحًا

٩ - قول الشاعر:

أَحْرَامٌ عَلَى بِلَابِلِهِ الدُّوْحُ حَلَالٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ

١٠ - لا تَعْجَبْ يَا أَخِي مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى .

١١ - الْفَاسِدُونَ قَوْمٌ يَصُومُونَ عَنِ الْمَعْرُوفِ، وَيُفْطَرُونَ عَلَى الْفَحْشَاءِ .

١٢ - الْجَاهِلُ سَمِينُ الْمَالِ مَهْزُولُ الْمَعْرُوفِ .

١٣ - وقال البحري:

فَمَا قَاتَلْتُ عَنْهُ الْمَنَايَا جُنُودَهُ وَلَا دَافَعْتُ أَمْلَاكُهُ وَذَخَائِرَهُ

١٤ - قال الشاعر:

وَإِذَا السَّعَادَةُ لَاحْظَتَكَ عُيُونُهَا نَمَّ فَالْمَخَافُ كُلُّهُنَّ أَمَانُ

١٥ - قال أبو العتاهية:

أَتَيْتُهُ الْخِلَافَةَ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرَّرُ أَذْيَاهَا

١٦ - قول الشاعر:

نَبُتُ بِهَا رُوحَ الْحَيَاةِ قَوِيَّةً وَنَقُتُلُ فِيهَا الضَّنْكَ وَالذَّلَّ وَالْفَقْرَا
سَلَامًا شَبَابَ النَّيْلِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ عَلَى الدَّهْرِ يَجْنِي الْمَجْدَ أَوْ يَجْلِبُ الْفَخْرَا
تَعَالَوْا نَقْلُ لِلصَّعْبِ أَهْلًا فَإِنَّا شَبَابُ أَلْفِنَا الصَّعْبَ وَالْمَطْلَبَ الْوَعْرَا

١٧ - قول الشاعر:

وَطَنِي الْكَبِيرُ أَسَامِعُ أَمْ يَا تَرَى صُمْتُ بِكَ الْأَذَانُ لَا تَتَأَثَّرُ
عَرَبِيَّةٌ أَرْضًا .. سَمَاءً .. مُحْتَدًا عُمَرًا .. وَتَارِيحًا يُضِيءُ وَيُزْهِرُ
عَرَبِيَّةٌ عَلَّمْتِنَا أَنَّ الْفِدَا دَرَبٌ إِلَى الْحَقِّ السَّلِيلِ وَمَعْبَرُ

١٨ - قول الشاعر:

حينما قيل اعبروا فاندفعوا يصنعون الفجر والنصر المبينا
يا بناة النصر صناع السلام يا حماة الحق من بغى اللئام
من سنا نيرانكم قد أشرقت عزة العرب الميامين الكرام

١٩ - كيف أعاودُك وهذا أثرُ فأسك ؟

٢٠ - رأيت ثعلبا يجيد قيادة الجيش .

٢١ - قول الشاعر:

والعلم إن لم تكتنفه شمائل تعلية كان مطية الإخفاق
لا تحسبن العلم ينفع وحده ما لم يتوج به بخلاق

٢٢ - قول الشاعر:

أعد الله للشعراء مني صواعق يخضعون لها الرقابا

٢٣ - قول الشاعر:

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي فجودا فقد أوي نظيركما عندي
توخى حمام الموت أوسط صبيتي فلله كيف أختار واسطة العقد ؟!

٢٤ - قول أبي العلاء المعري:

سر إن استطعت في الهواء رويدا لا اختيالاً على رفات العباد
رب لحد قد صار لحدًا مرارًا ضاحك من تزاحم الأضداد

٢٥ - احذر سيفاً بين فكيك .

٢٦ - حضر مطر يعطي الدراهم والدنانير.

٢٧ - قول الشاعر:

يا سماء الشرق طوفي بالضياء وانشري شمسك في كل سماء

(٢) اجعل التشبيهات التالية استعارة تصريحية أو مكنية:

١ - اللسان كالسيف في الإيذاء.

٢ - في البحر سفن كالجبال.

٣ - الكتاب صديق مخلص.

٤ - محمد كالغيث في العطاء.

٥ - دعاء مثل البدر في الحسن والبهاء.

(٣) استعمل هذه الكلمات بحيث تكون استعارة تصريحية مرة ومكنية أخرى:

(قمر - الظلام - الصباح - الربيع).

(٤) اختر الإجابة الصحيحة مما بين كل قوسين فيما يلي:

١ - ابتسم الزمان لنا (تصريحية - مكنية - تشبيه).

٢ - طلع البدر علينا قادمًا من مكة (تشبيه - تصريحية - مكنية).

٣ - قطعت جهيزة قول كل خطيب (مكنية - تصريحية - مكنية).

٤ - أذاك الربيع مختلفًا (مكنية - تشبيه - استعارة).

٥ - المعلم بحر فياض في العلم (تصريحية - مكنية - تشبيه).



الفصل الثالث

الكناية

الفصل الثالث الكناية

الكناية في اللغة:

هي أَنْ تَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ وَتُرِيدُ غَيْرَهُ، يُقَالُ لُغَةً: كَنَى عَنِ الْأَمْرِ بغيره يَكْنِي كِنَايَةً، أي: تكلّم بغيره ممّا يُسْتَدَلُّ به عليه.

وَيُقَالُ: تَكْنَى إِذَا تَسَتَّرَ، مِنْ كَنَى عَنْهُ إِذَا وَرَى.

فأصل الكناية تركُّ التصريح بالشيء، وستره بحجابٍ ما، مع إرادة التعريف به بصورة فيها إخفاء ما بحجابٍ غير ساترٍ سترًا كاملاً.

الكناية في الاصطلاح:

هي إخفاء المعنى مع ذكر الدليل والإشارة عليه، مثل: الرَّفَثُ وَالْغَائِطُ.
أو اللفظ الذي استترَ معناه واختفى، ولا يفهم إلاّ بقرينة.

مثال: (زَيْدٌ أَنْفَهُ فِي السَّمَاءِ) فَإِنَّ ذَلِكَ كِنَايَةٌ عَنِ (الْكِبَرِ)، فَإِنَّهُ هُنَا قَدْ أَخْفَى الْمَعْنَى، وَذَكَرَ الدَّلِيلَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: (زَيْدٌ مُتَكَبِّرٌ)؛ بَلْ قَالَ: «أَنْفَهُ فِي السَّمَاءِ»؛ دَلِيلًا عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي أَخْفَاهُ، أَيْ الْكِبَرِ.

مثال: (يَوْمَ ظُهُورِ النَّبِيَّةِ يَعِضُّ الرَّاسِبُ عَلَى أُنَامِلِهِ قَائِلًا يَا لَيْتَنِي اجْتَهَدْتُ فِي دَرَايَتِي) فَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ كِنَايَةٌ عَنِ (النَّدَمِ)، فَإِنَّهُ هُنَا قَدْ أَخْفَى الْمَعْنَى، وَذَكَرَ الدَّلِيلَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: (الرَّاسِبُ نَادِمٌ)؛ بَلْ قَالَ: (يَعِضُّ الرَّاسِبُ عَلَى أُنَامِلِهِ)؛ دَلِيلًا عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي أَخْفَاهُ، أَيْ النَّدَمِ.

ومثل: كِنَايَاتِ الطَّلَاقِ، وَهِيَ الْأَلْفَاظُ الَّتِي لَا تَدُلُّ بِلَفْظِهَا عَلَى الطَّلَاقِ،

كقول الرجل لزوجته: (أمرُكِ بيدكِ)، أو (الحَقِّي بأهلكِ)، أو: (أنتِ عليَّ حرامٌ)، أو (أذهبِي فتزوَّجِي مَنْ شِئْتِ)، أو: (خَلَّيْتُ سَبِيلَكَ)، أو: (انتهَى مَا بَيْنَنَا)، أو غير ذلك من الألفاظِ مما هو ليس بصريحٍ في الطلاقِ.

حكمها:

لا يترتبُ على الكناية أثرٌ بمجردِ اللَّفْظِ حتَّى يقترنَ بالنيةِ.
فلو قال رجلٌ لزوجته: (خَلَّيْتُ سَبِيلَكَ) لم يدلَّ بنفسه على الطلاقِ حتَّى يقترنَ بنيةً، وله أن يقول: (لم أقصِدِ الطلاقَ)، فيُصدَّقَ بدعواه.

أقسام الكناية:

أ - كناية عن صفة:

وهي إخفاءُ الصِّفَةِ مَعَ ذِكْرِ الدَّلِيلِ عَلَيْهَا.
مثل: اصْفَرَ وَجْهُ الطَّالِبِ عِنْدَ الامْتِحَانِ. (كناية عن الخوفِ).
حيث يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (اصْفِرَارِ الْوَجْهِ) كِنَايَةً عَنِ الْخَوْفِ الشَّدِيدِ.
اِحْمَرَّ وَجْهُ الْفَتَاةِ عِنْدَمَا رَأَتْ رَجُلًا. (كناية عن الحياءِ).
حيث يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (اِحْمِرَارِ الْوَجْهِ) كِنَايَةً عَنِ الْحَيَاءِ وَالْخَجَلِ.
مُحَمَّدٌ بَيْتُهُ مَفْتُوحٌ. (كناية عن الكرمِ).
حيث يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (بَيْتُهُ مَفْتُوحٌ) كِنَايَةً عَنِ الْكَرَمِ وَالسَّخَاءِ.
طَارِقٌ نَظِيفُ الْيَدِ. (كناية عن العِفَّةِ وَالْأَمَانَةِ).
حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (نَظَافَةَ الْيَدِ) كِنَايَةً عَنِ الطَّهَارَةِ وَالْعِفَّةِ وَالْأَمَانَةِ.
الْوَزِيرُ بَطْنُهُ كَبِيرٌ. (كناية عن الجَشَعِ وَالطَّمَعِ).

حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ كِبَرَ الْبَطْنِ كِنَايَةً عَنِ الْجَشَعِ وَالطَّمَعِ وَظَلَمِ النَّاسِ
بِأَكْلِ أَمْوَالِهِمْ بِالْبَاطِلِ.

والأصل في هذه الكناية أَنَّ الشَّرْهَيْنِ فِي الطَّعَامِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ كَثِيرًا تَكَبُّرُ
بُطُونُهُمْ، وَالشَّرُّ فِي الطَّعَامِ كَثِيرًا مَا يُصَاحِبُهُ شَرُّهُ مُشَابَهُ فِي جَمْعِ الْمَالِ وَكَنْزِهِ، وَهَذَا
يُدْفَعُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَى كَسْبِ الْمَالِ بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ
خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۝﴾ [الكهف: ٤٢].

حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ) كِنَايَةً عَنِ الْكِرَمِ وَالسَّخَاءِ.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ
فَتَقْعَدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ۝﴾ [الإسراء: ٢٩].

حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (يَدَكَ مَغْلُولَةً) كِنَايَةً عَنِ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ، كَمَا يَسْتَعْمِلُ
النَّاسُ (تَبْسُطُهَا كُلَّ الْبَسْطِ) كِنَايَةً عَنِ التَّبَذِيرِ وَالْإِسْرَافِ.

ب - كناية عن موصوف:

وَهِيَ إِخْفَاءُ الْمَوْصُوفِ مَعَ ذِكْرِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ.

مثل: ضَرَبَتْهُ فِي مَوْطِنِ الْأَسْرَارِ. (كناية عن القلب).

حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (مَوْطِنِ الْأَسْرَارِ) كِنَايَةً عَنِ مَوْصُوفٍ، وَهُوَ الْقَلْبُ.

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ. (كناية عن ذات، وهو الله سبحانه).

حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ) كِنَايَةً ذَاتٍ، وَهُوَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

نَحْنُ أَبْنَاءُ النَّيْلِ. (كناية عن مَوْصُوفٍ، وَهُوَ الْوَطْنُ مِصْرَ).

حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (أَبْنَاءَ النَّيْلِ) كِنَايَةً مَوْصُوفٍ، وَهُوَ الْوَطَنُ مِصْرُ.
 وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَا حِ وَدُسْرِ (كِنَايَةً عَنْ مَوْصُوفٍ، وَهُوَ السَّفِينَةُ).
 حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (أَلْوَا حِ وَدُسْرِ) كِنَايَةً عَنْ مَوْصُوفٍ، السَّفِينَةُ.
 جَاءَ قَابِضُ يَدِهِ. (كِنَايَةً عَنْ مَوْصُوفٍ، أَي: جَاءَ الْبَخِيلُ).
 حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (قَابِضُ يَدِهِ) كِنَايَةً عَنْ مَوْصُوفٍ، الْبَخِيلُ.
 وَكَمَا يُقَالُ: (الصَّدِيقُ) كِنَايَةً عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
 وَكَذَلِكَ (الْفَارُوقُ) كِنَايَةً عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
 وَأَيْضًا (أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ)، كِنَايَةً عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
 وَكَذَلِكَ (سَيْفُ اللَّهِ الْمَسْلُوكِ)، كِنَايَةً عَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
 كَمَا تَقُولُ: (النَّاطِقِينَ بِالضَّادِ) كِنَايَةً عَنِ الْعَرَبِ.
 وَأَيْضًا تَقُولُ: (أَرْضُ الْكِنَانَةِ)، كِنَايَةً عَنْ مِصْرَ.
 وَأَيْضًا (دَارُ السَّلَامِ) كِنَايَةً عَنْ بَغْدَادَ.
 وَ(طَبِئَةُ) كِنَايَةً عَنِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ.
 وَ(أَبُو الْأَنْبِيَاءِ) كِنَايَةً عَنْ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.
 وَ(خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ) كِنَايَةً عَنِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.
 وَ(كَلِيمُ اللَّهِ) كِنَايَةً عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.
 وَ(رُوحُ اللَّهِ) كِنَايَةً عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ج - كناية عن نسبة لموصوف:

وهي أن تذكر الصِّفَةَ وَالْمَوْصُوفَ، وَتَذْكُرُ الدَّلِيلَ عَلَى اخْتِصَاصِ الصِّفَةِ

بالمَوْصُوفِ. مثل:

سَارَ الْكَرْمُ خَلْفَ عَثْمَانَ. (كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الْكَرْمِ لِعُثْمَانَ).

الْعَدْلُ فِي رِكَابِ عُمَرَ. (كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الْعَدْلِ لِعُمَرَ).

مَشَى الْعِلْمُ خَلْفَ ابْنِ عَبَّاسٍ. (كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الْعِلْمِ لَابْنِ عَبَّاسٍ).

تَتَبَعَ الْحَيَاءُ خُطَوَاتِ مَرْيَمَ. (كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الْحَيَاءِ لِمَرْيَمَ).

الصِّدْقُ فِي لِسَانِهِ. (كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الصِّدْقِ لِلْسَّانِهِ).

الْأَدَبُ حَوْلَ الطَّالِبِ. (كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الْأَدَبِ لِلطَّالِبِ).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ۚ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: ٤١].

كناية عن نسبة إمداده لها بالبقاء في الوجود، كالكهرباء لبقاء النور في المصباح الكهربائي إذا انقطع إمداده انعدم النور منه، ولله المثل الأعلى.

ملاحظات:

١ - يجوز أن يجتمع لونا ن بيانان في مثال واحد.

مثل: (الذين يدافعون عن أوطانهم مثل الأرز) حيث يصلح هذا المثال أن يكون كناية عن الكثرة، كما يصلح أن يكون تشبيهاً مجملاً.

ومثل قول الشاعر:

أَصْبَرًا عَلَى مَسِّ الْهَوَانِ وَأَنْتُمْ عَدِيدُ الْحَصَى؟ إِيَّيَّ إِلَى اللَّهِ رَاجِعُ

حيث يصلح أن يكون هذا التعبير كناية عن الكثرة، ويكون تشبيهاً بليغاً.

٢ - كل كناية عن نسبة تعدد استعارة مكنية وليس العكس.

مثل: (سَارَ الْكَرْمُ خَلْفَ عُثْمَانَ) فهذا التعبيرُ كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الْكَرْمِ لِعُثْمَانَ كما تقدم، وَيَصْلُحُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ اسْتِعَارَةً مَكْنِيَّةً، حَيْثُ شَبَّهَ الْكَرْمَ بِإِنْسَانٍ يَسِيرُ، وَسُرَّ جَمَالِ الاسْتِعَارَةِ هُنَا التَّشْخِصُ.

٣ - نُفَرِّقُ بَيْنَ الاسْتِعَارَةِ وَالْكِنَايَةِ، أَنَّ الاسْتِعَارَةَ لَا يُقْصَدُ مَعْنَاهَا الْحَقِيقِي لِوُجُودِ الْمَانِعِ، غَيْرَ أَنَّ الْكِنَايَةَ لَا مَانِعَ فِيهَا مِنَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِي لِعَدَمِ وُجُودِ الْمَانِعِ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ مِنَ الْمِثَالِ التَّالِي:

حِينَ تَصِفُ إِنْسَانًا بِأَنَّهُ لِحْصٌ، فَإِنَّكَ تَقُولُ: (فُلَانٌ يَدُهُ طَوِيلَةٌ) فَإِذَا رَأَيْتَ أَنَّ قَوْلَكَ هَذَا يُسَبِّبُ لَكَ مُشْكِلَةً اسْتَطَعْتَ أَنْ تَقُولَ: إِنِّي أُرِيدُ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّ، وَهُوَ أَنَّهُ طَوِيلُ الْيَدِ فَعَلًّا مُقَارَنَةً بِيَدِي.

وَمِمَّا تَقَدَّمَ نَحْدُ أَنَّ الْكِنَايَةَ قَدْ يُرَادُ مِنْهَا الْمَعْنَى الْحَقِيقِي أَوْ الْمَعْنَى الَّذِي أَرَدْنَا أَنْ نَكْنِي بِهِ. أَمَّا الاسْتِعَارَةُ فَلَا يُقْصَدُ بِهَا مَعْنَاهَا الْحَقِيقِي أَبَدًا لِوُجُودِ مَانِعٍ، مِثْلُ قَوْلِكَ: (تَكَلَّمَ أَسَدٌ فِي الْفَضْلِ) فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ أَسَدًا يَتَكَلَّمُ.

٤ - الْكِنَايَةُ تَعْبِيرٌ وَجَدَانِيٌّ يَخْتَلِفُ مِنْ بَيِّنَةٍ إِلَى أُخْرَى، فَمَثَلًا كَانَ الْعَرَبُ يَكُونُونَ عَنْ طُولِ اللَّيْلِ يَقُولُهُمْ (لَيْلٌ بَطِيٌّ الْكَوَاكِبِ)، وَالْيَوْمَ نَقُولُ: (إِنَّ عَقَارِبَ السَّاعَةِ لَا تَتَحَرَّكُ).

الفائدة البلاغية للكناية:

لِلْكِنَايَةِ فَوَائِدُ بَلَاغِيَّةٌ وَجَمَالِيَّةٌ، وَذَلِكَ أَنَّهَا تَأْتِي بِالْمَعْنَى مَصْحُوبًا بِالدَّلِيلِ فِي إِيجَازٍ وَتَجْسِيمٍ، وَفِيهِ إِقْنَاعٌ وَإِمْتِنَاعٌ.

أسلوب الكناية:

الكناية أسلوبٌ ذكِيٌّ مِنْ أَسَالِيبِ التَّعْبِيرِ عَنِ الْمَرَادِ غَيْرِ مُبَاشَرَةٍ، وَهِيَ مِنْ أَوَّلِ وَأَجْمَلِ فُنُونِ الْأَدَبِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ تَصْيُّدُ الْجَمِيلِ النَّادِرِ مِنْهَا، وَوَضْعُهُ فِي

الْمَوْضِعِ الْمَلَائِمِ لِمَقْتَضَى الْحَالِ إِلَّا أَذْكِيَاءَ الْبُلْعَاءِ وَفُطَنَاءُ هُمْ، وَمُتَمَارِسُو التَّعْبِيرِ عَمَّا يَرِيدُونَ التَّعْبِيرَ عَنْهُ بِطَرُقٍ جَمِيلَةٍ بَدِيعَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ.

إِنَّ الدَّكْيَّ اللَّحَاحَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَحَدَّثَ عَنْ شَيْءٍ مَا، صِفَةً كَانَ، أَوْ مَوْصُوفًا، أَوْ نَسَبَةً حَكَمِيَّةً، جَالَ ذَهْنُهُ لِيَدُلَّ عَلَى مَا يُرِيدُ التَّعْبِيرَ عَنْهُ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ، وَطَافَ فِي مُحِيطِ ذَلِكَ الشَّيْءِ لِيَنْتَقِيَ مِمَّا يَلَاظُ مَا يُدَلُّ بِهِ عَلَيْهِ، فَيُبْعِدُ حِينَئِذٍ، وَيَقْرُبُ حِينَئِذٍ، وَيَتَوَسَّطُ حِينَئِذٍ آخَرَ، وَيَسْتَبْعِدُ مَا لَا يَرَاهُ حَسَنًا جَمِيلًا، وَمَا لَا يَرَى دَلَالَتَهُ مُنَاسِبَةً لِمَقْتَضَى الْحَالِ.

إِنَّهُ يُرِيدُ مَثَلًا أَنْ يَتَحَدَّثَ عَنِ السَّاحِرَاتِ، فَيَرَى مِنْ خَصَائِصِهِنَّ أَنَّهُنَّ يَعْقِدْنَ فِي الْخُيُوطِ، وَتَتَحَرَّكُ أَلْسِنَتُهُنَّ بِهَمَمَاتٍ وَغَمَمَاتٍ، وَيَنْقُشْنَ فِي الْعُقَدِ، فَيَدُلُّ عَلَيْهِنَّ بِعِبَارَةٍ: (النَّقَاطَاتُ فِي الْعُقَدِ) عَلَى سَبِيلِ الْكِنَايَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ بِطَرِيقٍ غَيْرِ مُبَاشِرٍ.

وَيُرِيدُ مَثَلًا أَنْ يَتَحَدَّثَ عَنِ الْبَخِيلِ، وَلَكِنْ لَا يَسْتَحْسِنُ اسْتِعْمَالَ لَفْظَةِ (الْبَخِيلِ) فِي كَلَامِهِ؛ لِأَنَّ دَلَالَتَهَا دَلَالَةٌ مُبَاشِرَةٌ، وَلَيْسَ فِيهَا إِبْدَاعٌ فِكْرِيٌّ، فَيَلَاظُ أَنَّ مِنْ سِمَاتِ الْبَخِيلِ قَبْضُ يَدَيْهِ عَنِ الْعَطَاءِ، فَيَكْنَى عَنِ الْبُخْلِ بِعِبَارَةٍ (قَبْضُ الْيَدَيْنِ)، أَوْ (قَبْضُ الْيَدِ) أَوْ (قَبْضُ الْيَدِ) أَدَقُّ؛ لِأَنَّ الْعَطَاءَ يَكُونُ بِيَدِ وَاحِدَةٍ فِي النَّاسِ.

وَيُرِيدُ أَنْ يَتَحَدَّثَ عَنِ شَدِيدِ الْبُخْلِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ بِعَطَاءٍ، فَيَكْنَى بِعِبَارَةٍ: (مَغْلُولُ الْيَدِ إِلَى الْعُنُقِ)؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَتْ يَدُهُ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِهِ كَانَ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى أَنْ يَبْسُطَهَا لَوْ أَرَادَ بَسْطَهَا وَيُعْطِيَ بِهَا أَوْ يَأْخُذَ، وَكَذَلِكَ الشَّحِيحُ الَّذِي يَكُونُ بُخْلُهُ شَدِيدًا، تَكُونُ حَالَةُ يَدِهِ الَّتِي يُعْطِي بِهَا عَادَةً مَعَ شَحِّ نَفْسِهِ، كَحَالَةِ مَنْ غُلَّتْ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ.

هَذَا التَّعْبِيرُ اشْتَمَلَ عَلَى مَزْجِ الْكِنَايَةِ بِتَشْبِيهِ ضَمْنِيٍّ، وَتَقْدِيمِ ذَلِكَ بِعِبَارَةٍ جَمِيلَةٍ بَدِيعَةٍ تَدُلُّ عَلَى الْمَقْصُودِ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ.

وفي مقابل هذه الكناية تأتي بسط اليد للدلالة بها على الجود. وتأتي كناية الإفراط في البسط للدلالة بها على الإسراف.

هنا نذكر الإبداع والجمال في التعبير القرآني الذي قال الله - عز وجل - فيه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۖ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۚ كُلَّمَا أَوقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۖ﴾ [المائدة: ٦٤].

ولعامة الناس في تعبيراتهم الدارجات كنايةات كثيرة، فبذلك أن يقول قائلهم: «أنا أكبر من فلان سنًا» يأتي في تعبيراتهم: لما كنت مُدرِّسًا كان في المرحلة الابتدائية - كنت أحمله وهو ابن ستين - وتقول المرأة: هو ابني من الرضاعة.

ويقول قائل عن أسرة غنيّة: كانوا يستجدون صدقات الناس قبل الحرب، أي: هم أثرياء حرب - كانوا فقراء قبل أن يُعين وليّهم مُديرًا للمالية.

وقال من يريد إخفاء مهنة أبيه: أنا ابن من خضعت له الرؤوس، أي: ابن حلاق. إلى غير ذلك من تعبيرات لا تُحصى.

فوائد الكناية:

تُستخدم الكناية لأغراض بلاغية كثيرة، منها الأغراض التالية:

١ - إثارة الأسلوب غير المباشر في الكلام، إذا كان مُقتضى الحال يستدعي ذلك، فمن المعلوم أن الأسلوب غير المباشر أكثر تأثيرًا فيمن يُقصد توجيه الكلام له غالبًا.

٢ - كَوْنُ التَّعْيِيرِ الْمَكْنَى بِهِ يَنْبَغِي عَلَى مَعْنَى لَا يُؤَدِّيهِ اللَّفْظُ الصَّرِيحُ الْمَكْنَى عَنْهُ.
 فلو خَاطَبَ اللَّهُ النَّاسَ فقال: هو الذي خَلَقَكُمْ مِنْ آدَمَ، لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا التَّعْيِيرِ
 التَّنْبِيهُ عَلَى عَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَبَالِغِ حِكْمَتِهِ الْجَلِيلَةِ فِي قَضَائِهِ وَقُدْرِهِ، وَوَاسِعِ عِلْمِهِ،
 مِثْلُ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ
 مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ
 كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

إِنَّ عِبَارَةَ: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ جَاءَتْ كِنَايَةً عَنْ آدَمَ، لَكِنْ نَبَّهَتْ عَلَى أَمْرِ
 جَلِيلٍ لَا تُنْبَهُ عَلَيْهِ عِبَارَةُ: «مِنْ آدَمَ».
 إِنَّهَا تُنْبَهُ عَلَى أَنَّ السَّلَالََةَ الْإِنْسَانِيَّةَ كُلَّهَا مُشْتَقَّةٌ بِتَقْدِيرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ
 الْحَكِيمِ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ.

٣ - كَوْنُ الْمَكْنَى بِهِ أَسْهَلَ فَهَمًّا مِنْ لَفْظِ الْمَكْنَى عَنْهُ.

٤ - كَوْنُ الْمَكْنَى بِهِ أَجْمَلَ عِبَارَةً، وَأَعْدَبَ لَفْظًا مِنَ الْمَكْنَى عَنْهُ، فَمُرَاعَاةُ
 الْجَمَالِ الْفَنِيِّ مِنَ الْأَغْرَاضِ الْمُهَمَّةِ الَّتِي تُقْصَدُ فِي الْكَلَامِ.

٥ - كَوْنُ الْمَكْنَى عَنْهُ مِمَّا يَحْسُنُ سِرُّهُ، وَيَقْبَحُ فِي الْأَدَبِ الرَّفِيعِ الصَّرِيحُ بِهِ، إِذْ
 هُوَ مِنَ الْعَوْرَاتِ، أَوْ مِنَ الْمُسْتَقْبَذَاتِ، أَوْ مِنَ الْمُسْتَقْبَحَاتِ.

٦ - إِرَادَةُ التَّعْمِيمِ وَالْإِلْغَازِ، وَيَكُونُ هَذَا فِي الْكِنَايَاتِ الَّتِي يَصْعُبُ عَلَى غَيْرِ
 الْأَذْكَاءِ اللَّمَّاحِينَ إِدْرَاكَ الْمَقْصُودِ بِهَا.

٧ - إِرَادَةُ بَيَانِ بَعْضِ صِفَاتِ الْمَكْنَى عَنْهُ مَعَ الْاِخْتِصَارِ، بِالْاِقْتِصَارِ عَلَى مَا
 يُذَكِّرُ مِنْ صِفَاتِهِ لِغَرَضٍ يَتَعَلَّقُ بِذِكْرِهَا.

٨ - إِرَادَةُ مَدْحِ الْمَكْنَى عَنْهُ أَوْ ذَمِّهِ بِذِكْرِ مَا يُمْدَحُّ بِهِ أَوْ يُذَمُّ بِهِ، مَعَ الْاِقْتِصَارِ
 عَلَى ذِكْرِ اللَّفْظِ الْمَكْنَى بِهِ.

وَأَنَّبَهُ هُنَا عَلَى أَنَّهُ لَا تُحْمَدُ الْكِنَايَةُ لِجَرْدِ كَوْنِهَا كِنَايَةً، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ مَلَا حَظَةٍ غَرَضٍ بِلَاغِيٍّ فِيهَا، أَدْنَاهُ كَوْنُهَا أَجْمَلٌ مِنَ التَّعْبِيرِ الصَّرِيحِ فِي أَدْوَاقِ الْأَدْبَاءِ وَالْبُلْغَاءِ.

وَلَا بَدَّ أَيْضًا مِنْ أَنْ تَكُونَ خَالِيَةً مِنَ الْعُيُوبِ الْجَمَالِيَّةِ، وَالْمُسْتَقْبَحَاتِ الْفِكْرِيَّةِ.

أَمْثَلَةُ مِنَ الْكِنَايَةِ:

١ - فِي عَرَضِ قِصَّةِ إِلْقَاءِ أُمِّ مُوسَى وَلَدَهَا الطِّفْلَ «مُوسَى» عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ فِي الْيَمِّ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنْ جُنُودِ فِرْعَوْنَ أَنْ يَذْبَحُوهُ تَنْفِيدًا لِلأَمْرِ الْفِرْعَوْنِيِّ بِقَتْلِ كُلِّ مَوْلُودٍ ذَكَرٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

لَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا أَنْ تَضَعَهُ فِي صُنْدُوقٍ، وَتُلْقِيَهُ فِي الْيَمِّ إِذَا خَافَتْ عَلَيْهِ مِنْ جُنُودِ فِرْعَوْنَ أَنْ يَذْبَحُوهُ، فَفَعَلَتْ، وَجَرَى بِهِ النُّهْرُ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ شَاطِئَ الْقَصْرِ الْفِرْعَوْنِيِّ التَّقَطُّهُ أَلْ فِرْعَوْنَ، وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ لَهُ: قُرِّهِ عَيْنِي لِي وَلَكَ، لَا تَقْتُلُوهُ، عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا، بَعْدَ هَذَا الْعَرَضِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرَعًا ۚ إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠].

لَقَدْ كَانَ فُؤَادُهَا وَهُوَ عُمُقُ قَلْبِهَا الشَّامِلِ لِأَفْكَارِهَا وَعَوَاطِفِهَا مَشْحُونًا بِالْقَلَقِ وَالِاضْطِرَابِ وَالْخَوْفِ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَلْقَتْهُ فِي الْيَمِّ وَعَلِمَتْ بِمَا جَرَى لَهُ، أَزِيحَتْ عَنْ فُؤَادِهَا الْغُمَّةُ، وَأَصْبَحَ فَارَعًا مِنَ الْقَلَقِ وَالِاضْطِرَابِ وَالْخَوْفِ عَلَيْهِ، فَجَاءَتْ عِبَارَةً: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرَعًا﴾ كِنَايَةً عَنْ طُمَأْنِينَتِهَا عَلَى وَلَدِهَا، وَسَكِينَتِهَا، وَاسْتِمْتَاعِهَا بِمَشَاعِرِ السَّعَادَةِ؛ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ فَرَاغِ الْفُؤَادِ مِنَ الْأَفْكَارِ وَالْعَوَاطِفِ الْمُثِيرَةِ لِلْقَلَقِ وَالِاضْطِرَابِ وَالْخَوْفِ أَنْ تُصَاحِبَهُ الطُّمَأْنِينَةُ وَالسَّكِينَةُ وَمَشَاعِرُ السَّعَادَةِ.

٢ - قول الخنساء «تماضر بنت عمرو» تصف أخاها صخرًا:

طَوِيلُ النَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَادِ سَادَ عَشِيرَتُهُ أَمْرَدًا

طَوِيلُ النَّجَادِ. (كِنَايَةٌ عَنِ طُولِ الْقَامَةِ).

رَفِيعُ الْعِمَادِ. (كِنَايَةٌ عَنِ الشَّرَفِ وَالرَّفْعَةِ).

سَادَ عَشِيرَتُهُ أَمْرَدًا. (كِنَايَةٌ عَنِ الْخَوْفِ).

النَّجَاد: حمائل السيف، إذ من المعلوم باللزوم الذهني أَنَّ الرجلَ ذَا الْقَامَةِ القصيرة لَا يَتَّخِذُ حمائل طويلة لسيفه، إِنَّمَا يَتَّخِذُ الْحَمَائِلَ الطويلة مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ طَوِيلَ الْقَامَةِ.

وَكُنْتُ عَنْ كَوْنِ أَخِيهَا ذَا مَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ فِي قَوْمِهِ بقولها: «رفيع العمداء» أي: بيته بين بُيُوتِ الْعَرَبِ ذُو أَعْمَدَةٍ عَالِيَةٍ، إِذْ يُلْزَمُ ذَهْنًا مِنْ ارْتِفَاعِ أَعْمَدَةِ سُكَّانِ الْخِيَامِ فِي الْبَادِيَةِ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْأَعْمَدَةُ لِبُيُوتٍ عَظِيمَةٍ كَبِيرَةٍ، وَجَرَتْ الْعَادَةُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْخِيَامُ الْعَظِيمَةُ لِذَوِي الْمَكَانَةِ الرَّفِيعَةِ فِي أَقْوَامِهِمْ، أَمْ سَائِرُ سُكَّانِ الْبَادِيَةِ فَتَشَابَهُ خِيَامُهُمْ فِي ارْتِفَاعِهَا وَأَحْجَامِهَا وَأَطْوَالَ أَعْمَدَتِهَا.

وَكُنْتُ عَنْ كَوْنِ أَخِيهَا جَوَادًا مِضْيَافًا بقولها: «سَادَ عَشِيرَتُهُ أَمْرَدًا» وقد سبق شرح دلالة هذه الكناية.

٣ - ما جاء في سورة الأعراف بشأن بني إسرائيل الذين اتَّخَذُوا الْعَجَلَ الذَّهَبِيَّ يعبدونه من دون الله، حينما ذَهَبَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ؛ لِأَنَّهُمْ اسْتَبَطُّوا عَوْدَتَهُ إِذْ زَادَ اللَّهُ لَهُ الْمِيعَادَ مِنْ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً إِلَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ لَمَّا رَأَوْهُ مِنْ بَعِيدٍ رَاجِعًا إِلَيْهِمْ وَبِيَدِهِ الْأَلْوِاحُ نَدِمُوا عَلَى مَا فَعَلُوا نَدَمًا شَدِيدًا وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا: ﴿وَلَكَا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩].

جاء في هذه الآية الكناية عن ندمهم وخوفهم من سطوة موسى عليه السلام وعقابه، إذ خالفوا مواعدهم الذي واعدوه إياه أن لا يغيروا ولا يبدلوا في الدين شيئاً بعبارة: ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾.

قال أهل التفسير: أي: ندموا وتحيروا.

قال الزجاج: هو نظم لم يسمع قبل القرآن ولم تعرفه العرب.

فهو كناية عن ندمهم وشدة خوفهم، وأصل هذه الكناية أن المجرم إذا أدركه الجنود أسرعوأ فأسقطوا بعنف في يديه القيد الحديدي حتى لا يفر، فإذا فعلوا به ذلك ارتخت أعصابه، ووهنت عزائمهم، وأيقن أنه مسوق للعقاب.

وهؤلاء الذين اتخذوا العجل الذهبي الذي عبده أحسوا بمثل هذا لما رأوا من بعيد موسى عليه السلام راجعاً إليهم ومعه الألواح، كأنه قد حصل سقوط قيد حديدي في أيديهم، وسيلاقون عقابهم.

هذه الكناية أريد منها لأزمها وهو الشعور بالندم والخوف من العقاب مع العجز عن الفرار، وهي كناية ذات إبداع فني رائع، وهي من الكنايات الخفية مع عدم وجود وسائط بين المكنى به والمكنى عنه.

٤ - قول المتنبي يمدح سيف الدولة:

فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُمْ حَرِيرٌ وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمْ تُرَابٌ
وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خَضَابٌ

بُسْطُهُمْ حَرِيرٌ. (كِنَايَةٌ عَنْ عِزَّتِهِمْ وَغِنَاهُمْ).

بُسْطُهُمْ تُرَابٌ. (كِنَايَةٌ عَنِ الذُّلِّ وَالْمَهَانَةِ).

كنى بعبارة: «وَبُسْطُهُمْ حَرِيرٌ» عن أنهم كانوا في عزّة وسيادة قبل محاربتهم؛ لأن من كان عزيزاً سيّداً كانت بُسْطُهُ غالباً من حرير.

وكنى بعبارة «وَبُسْطُهُمْ تُرَابٌ» عن حالة الدّل والمهانة التي وصلوا إليها بعد أن حاربهم وظفر بهم؛ لأنّ الدليل المهيّن لا يجد غير التراب يفتريشه.

ووصف رجائهم في البيت الثاني بأنهم صاروا من ضعفهم عن مقاومة جيشه كالنساء اللواتي يخضبن أكفهنّ بالحناء، فكنى عن النساء بالوصف الذي يتّصف به نساء عصره، وكنى عن الرجال بالوصف الخاص بهم، وهو القبض على قنوات الرّماح.

٥ - قول البحري:

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ
فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

البيت كله. (كناية عن نسبة المجد والشرف إليهم).

كنى بهذا التعبير عن كون آل طلحة سادة ثمّ أشرافاً أهل مجد، فمن ألقى المجد رحله في داره ولم يتحوّل عنها، فلا بُدّ أن يكون المجد منسوباً إليه لعظيم شرفه ورفيع منزلته.

وفي هذه الكناية إمتاعٌ للأديب بصورة أدبيّة جميلة.

٦ - قول الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩].

﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾: أي: تزوجتموهن.

النكاح في الأصل: الوطء، تناكحت الأشجار: إذا التصق بعضها ببعض، ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله إلا في معنى العقد؛ لأنّه لو استعمل في الوطء لكان تضريراً به.

وَمِنْ آدَابِ الْقُرْآنِ الْكِنَايَةُ بِلَفْظِ الْمُلَامَسَةِ، وَالْقُرْبَانِ، وَالْإِتْيَانِ، تَعْلِيًّا
لِلْأَدَبِ وَالْحَيَاءِ. وَفِي تَخْصِيصِ الْمُؤْمَنَاتِ، مَعَ أَنَّ الْكِتَابِيَّاتِ تُسَاوِي الْمُؤْمَنَاتِ فِي
هَذَا الْحُكْمِ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْأَوَّلَى لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَنْكَحَ الْمُؤْمَنَةَ، تَخْيِيرًا لِلنُّطْفَةِ.

﴿ فَمَتَّعُوهُنَّ ﴾ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَالِ، وَهَذَا فِي الْمَفُوضِ لَهَا قَبْلَ الْفَرْضِ، وَأَمَّا
الْمَفْرُوضُ لَهَا، أَوِ الْمُسَمَّى صَدَاقُهَا، فَتَأْخُذُ نِصْفَ مَهْرِهَا، وَلَا مُتْعَةَ لَهَا عَلَى
الْمَشْهُورِ.

﴿ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ أَي: لَا تُنْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا، وَأَخْرِجُوهُنَّ مِنْ
بُيُوتِكُمْ؛ إِذْ لَا عِدَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ.

قَالَ الْقَشِيرِيُّ: ﴿ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ لَا تَذْكُرُوهُنَّ بَعْدَ الْفِرَاقِ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَلَا
تَسْتَرِدُوا مِنْهُنَّ شَيْئًا، وَلَا تَجْمَعُوا عَلَيْهِنَّ سُوءَ الْحَالِ وَالْإِضْرَارِ مِنْ جِهَةِ الْمَالِ.

٧ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ
اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا أَكْثَرُ مِمَّا أُعْطِيَ
وَهُوَ كَاذِبٌ وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطَعَ بِهَا مَالٌ لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ
وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ
يَدَاكَ» رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ.

لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ: كِنَايَةٌ عَنِ الْغَضَبِ.



التَّعْرِيزُ

التَّعْرِيزُ فِي اللُّغَةِ:

ضِدُّ التصريح، ومعناه أن يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده إلا أن إشعاره بجانب المقصود أتم وأرجح.

أو أن تقول كلاماً لا تُصرِّح فيه بمرادك منه، لكنه قد يشير إليه إشارة خفية، ويُمكنك أن تتهرَّب من التزام ما أشرت به إليه إذا صرت مُحرجاً، يقال: عَرَّضَ لِي فُلَانٌ تَعْرِيزاً: أي: قال فلم يُبيِّن بصرحة اللفظ.

التعريض في الاصطلاح:

هُوَ مَا يَفْهَمُ بِهِ السَّامِعُ مُرَادَ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيحٍ.

كأن يقول الراغب بِخُطْبَةٍ امرأةٍ معينة: (كُلُّ رَجُلٍ رَاغِبٍ فِي الزَّوْاجِ يُحِبُّ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ زَوْجَةً لَهُ)، تَعْرِيزاً بأنه يرغب في الزواج منها.

أَعْرَاضُ الْكَلَامِ وَمَعَارِضُهُ وَمَعَارِضُهُ: كَلَامٌ غَيْرُ ظَاهِرِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْمُرَادِ، وَفِي الْحَدِيثِ: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْمَعَارِضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكُذْبِ».

أي: فيها سعة يتخلَّص بها المتحدث من الكذب إذا لم يرد التصريح.

والتعريض في خطبة المرأة: أن يتكلَّم الخاطب بكلام يشبه خطبتها دون تصريح.

وقد يكون التعريض بضرب الأمثال وذكر الألغاز في جملة المقال.

ويقول الناس بشأن التعريض: إِيَّاكَ أَعْنِي، واسْمَعِي يا جارة.

فما يدور حوله المعنى اللغوي قريب جداً من المعنى الذي ذكره البيانون للتعريض، أو إنَّ المعنى الاصطلاحي مأخوذ من المعنى اللغوي بزيادة شيء من التحليل.

عرفنا في المقدمة أن التعريض طريقة من الكلام أخفى من الكناية فلا يشترط في التعريض لزوم ذهني، ولا مصاحبة، ولا مُلابسة ما بين الكلام وما يُراد الدلالة به عليه، إنما قد تكفي فيه قرائن الحال، وما يفهم ذهنًا بها من توجيه الكلام، وبهذا يظهر الفرق بين الكناية والتعريض.

الشرح التحليلي مع الأمثلة:

قد يتوسَّل الإنسان بالتعريض العملي لدلالة حاله:

فقد يلبسُ الفقير المحتاج ثياباً مقطَّعةً، أو مرقَّعة، دون أن يقول شيئاً، تعريضاً بأنَّه من مُستَحَقِّي الزَّكَاةِ، ويكتفي بدلالة الحالِ عن دلالة المقال، فيراه المتصدِّقون فيبدُّونَ له من زَكَوَاتِ أَمْوَالِهِمْ.

وكان يأتي بعضُ أصحابِ الرسول ﷺ في بعضِ الغَزَوَاتِ، وقد رَبَطَ كُلُّ مِنْهُمْ على بَطْنِهِ حَجَراً، تعريضاً بأن الجوع قد بَلَغَ مِنْهُ مبلغاً شديداً، فيكشفُ الرُّسُولُ ﷺ لهم عن بطنِهِ، فيَرَوْنَ أَنَّهُ قد رَبَطَ حَجَرَيْنِ.

وربَّما حمل العُضْوُ في حِزْبٍ مِنَ الْأَحْزَابِ أو منظمةٍ مِنَ الْمُنْظَمَاتِ شعار الحِزْبِ أو المنظمة، تعريضاً بأنَّه عضوٌ في ذلك الحِزْبِ، أو تلك المنظمة. وَرُبَّمَا خَرَجَ الْبَخِيلُ مِنْ بَيْتِهِ، وَهُوَ يُحَلِّلُ أَسْنَانَهُ، تعريضاً بأنَّه قد أَكَلَ هو وأَهْلُهُ اللَّحْمَ الْكَثِيرَ، وقد يكون الواقعُ بخلاف ذلك.

ونظير هذا التعريض العملي يكونُ التَّعْرِيفُ في الكلام.

فقد يقولُ الشَّابُّ الرَّاعِبُ فِي الزَّوْاجِ لَوَالِدَيْهِ: ابْنَةُ عَمِّي صَارَتْ نَاصِحَةً وَمُنَاسِبَةً لِمَنْ يُخْطَبُهَا، تعريضاً بأنَّه يريدُ أَنْ يَتَزَوَّجَ ولا مانعَ لديه من خِطْبَتِهَا لَهُ.

ويقول من يَرَى نظراتِ كَيْدٍ وعداءٍ مِمَّنْ هُوَ نِدُّ له: جَاءَنِي اليومَ بعضُ المنافسين وتطاوَلَ عَلَيَّ ببعضِ القول، فَسَلَطْتُ عليه بعضَ رجالي، فأَمْطَرُوهُ ضربًا وَلَكُمَّا حتَّى غابَ عن وَعْيِهِ، ولَمَّا عَلِمَ أَهْلُهُ بِأَمْرِه جَاءُوا فَحَمَلُوهُ مَرِيضًا يَتْنُّ مِنَ الأَلَمِ، تَعْرِيضًا لِلْمُخَاطَبِ بِأنَّه إذا أرادَ التطاولَ عليه أنزلَ به مثلَ ذلك، فهو ذو عزوة وأنصار وقُدْرَة.

ويقولُ طالبُ وظيفةٍ ذاتِ راتبٍ في الدولة، بحضور من يَمْلِكُ توظيفَهُ، أو باستِطَاعَتِهِ أَنْ يَتَوَسَّطَ لَهُ لَدَى مَنْ يَمْلِكُ توظيفَهُ: أنا لا عَمَلٌ عِنْدِي أَكْسِبُ مِنْهُ مَالًا، وَعِنْدِي مِنَ الْمُؤَهَّلَاتِ كَذَا، وَعِنْدِي أَسْرَةٌ مِنْ خَمْسَةِ أَشْخَاصٍ أَنَا مَسْئُولٌ عَنْ إِعَالَتِهِمْ، تعريضًا بِأنْ يُوظَّفَهُ أو يَتَوَسَّطَ لَهُ.

فالتعريضُ فنٌّ من فُنُونِ القولِ غيرِ المباشرِ يُعْتَمَدُ فِيهِ غَالِبًا عَلَى قَرَائِنِ الْحَالِ لَا عَلَى قَرَائِنِ الْمَقَالِ، والتعريضُ - كما سبق - أَخْفَى مِنَ الْكِنَايَةِ؛ لِأَنَّ الْكِنَايَةَ لَا تَقْتَصِرُ قَرَائِنُهَا الْحَالِ، بَلْ لَهَا مِنْ قَرَائِنِ الْمَقَالِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْمُرَادِ بِهَا.

الفوائد البلاغية للتعريض:

قد يتحقق باستخدام التعريض أغراض بلاغية تشبه الأغراض البلاغية التي تتحقق باستخدام الكناية، وهي التي سبق بيانها من قبل، دون حصر.

وفي التعريض مزيدٌ إخفاءٍ يجعلُهُ أَكْثَرَ قَوْلًا حينما يكون التصريح مثيرًا لغضبٍ، أو نقدٍ، أو اتِّهامٍ، أو عَدْلٍ وتَلْوِيمٍ، أو يكشف أمرًا يجب سَتْرُهُ عن الرُّقَبَاءِ، فيقوم التعريض مقام الإلغاز والرَّمْزِ الخفيِّ، وما يُسَمَّى في اصطلاح الجيوش «الشفيرة».

أمثلة على التَّعْرِيضِ:

١ - قول الله - عزَّ وجلَّ - خطابًا لرسوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

ومن المعلوم في أصول الدين أَنَّ الرَّسُولَ الَّذِي يَصْطَفِيهِ اللَّهُ لَتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ لِلنَّاسِ، لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ مَعْصُومًا عَنْ أَنْ يَشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، فَقَوْلُ اللَّهِ لِلرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلِكُلِّ رَسُولٍ اصْطَفَاهُ اللَّهُ مِنْ قَبْلِهِ: ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

هو خطابٌ بصريح العبارة للرَّسُولِ ﷺ، وَهُوَ تَعْرِضٌ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ أَنْ يَحْذَرُوا مِنَ الشَّرْكِ لئَلَّا تَحْبَطَ أَعْمَالُهُمْ ويكونوا من الخاسرين.

هذا التعريضُ أبلغُ من مواجهة غير الرسول ﷺ بصريح الخطاب، وذلك لأنَّ الرسول إذا كان لا يملك لنفسه عند ربِّه الحماية من أن يَحْبَطَ عمله ويكون من الخاسرين إذا أشرك، وهو ذو المكانة العالية عند ربِّه والمحظوظ بالاصطفاء، فكيف يكون حال سائر الناس ليس لهم عند ربِّهم مثل ذلك.

وهذا نظيرٌ مَنْ يُهْدَدُ وَلَدَهُ بالعقاب الشديد إذا كَسَرَ له شَيْئًا مِنْ نُحْفِ بَيْتِهِ، أَمَامَ أولاد الآخرين، وكان قد حَذَرَ كُلَّ مَنْ يَكْسِرُ له شَيْئًا مِنْهَا بالعقاب الشديد، وهو قَادِرٌ عَلَى تنفيذ عقوباته.

إِنَّهُمْ يَدْرِكُونَ أَنَّ عقابهم سيكون أَشَدَّ وَأَقْسَى إِذَا فَعَلُوا مَا نَهَى عَنْهُ، وَحَذَرَ مِنَ الْاقْتِرَابِ مِنْهُ.

٢ - ما جاء في القرآن من مثل قول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

و ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩].

و ﴿وَلْيَذْكُرْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

و ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأْوِيلُ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

و ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

و ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

و ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨].

في هذه الآيات تعريض بالكافرين الذين لا ينتفعون من آيات الله في كونه، وآياته في بياناته، بأنهم لا ألباب لهم، وبأنهم لا يتفكرون، وبأنهم لا يفقهون، دون أن تكون هذه المعاني منصوفاً عليها، لكنها تفهم إلماحاً.

٣ - قول الله عز وجل: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١].

إن عبارة: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ لم يقصد منها إعلام المنافقين المخلفين عن رسول الله في غزوة تبوك، بأن نار جهنم أشد حراً من حرارة الفصل الصيفي الذي خرج فيه الرسول والمؤمنون إلى غزوة تبوك، فهذا أمر واضح، لكن المقصود التعريض بأن هؤلاء المنافقين هم من أهل جهنم التي تكويهم بحرّها يوم الدين.

٤ - دعاء موسى عليه السلام عند ماء مدين إذ خرج من مصر خائفاً: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [٢٣] فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إني من خير فقير [٢٤] فجاءته إحدىاهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين [٢٥]﴾ [القصص: ٢٣-٢٥].

نلاحظ في دعاء موسى عليه السلام بقوله: ﴿رَبِّ إني لما أنزلت إني من خير فقير﴾ احتمال التعريض بحاجته إلى المأوى والرزق والزوجة، ورأى أن الله قد ساق له مقدمات ما هو بحاجة إليه، فقال: ﴿رَبِّ إني لما أنزلت﴾ بصيغة الفعل

الماضي، ولم يقل: لما سَتَنَزِل، إذْ شَعَرَ أَنَّ بشائر ما هو مفتقر له قد ظهرت بفرحة المرأتين به لما سَقَى لهما، وَعَلِمَ أَنَّ أباهما شيخٌ كبير يحتاج إلى معين رجل.

لذلك جاء في النص بعد حكاية دُعائه قول الله تعالى: ﴿لَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ فدلّت الفاء العاطفة على الترتيب مع التعقيب، وفي هذا إشعارٌ بأنّ الله استجاب له دُعاء الذي دَعَا به تعريضاً لا تصريحاً.

وتضمّنت القصة بعد ذلك تحقيق ما هو مفتقر إليه، فأوى عند أبيهما الشيخ الكبير، وأصاب رزقاً، وزوجةً سالحة.

٥ - قول الله عزّ وجلّ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا وَلَكِنِ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

ففي قوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ تعريضٌ بارتفاعِ مُحَمَّدٍ خاتم الرُّسُلِ دَرَجَاتٍ على سائر الرُّسُل، ولم يأت هذا البيان بعبارَةٍ صريحةٍ فيها نصٌّ على ارتفاع منزلته فوق سائر الأنبياء والمرسلين تعليةً للمسلمين أن يتأدّبوا مع جميع الرُّسُل ولا يتخذ من أفضليةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ذريعةً للتنافس والتفاخر به على سائر الأمم، فمثل هذا قد يولّد شقاقاً، ويصدُّ أتباع الرُّسُل السابقين عن اتباع مُحَمَّدٍ خاتم المرسلين ﷺ، ولعامّة الناس في تعبيراتهم الدارجات والمُبْتَكِرَات تعبيراتٌ هي من أمثلة التعريض، وهي كثيرة.

الْفَرْقُ بَيْنَ الْكِنَايَةِ وَالتَّعْرِيزِ وَالتَّوْرِيَةِ:

الْكِنَايَةُ: هي إخفاء المَعْنَى مَعَ ذِكْرِ الدَّلِيلِ وَالْإِشَارَةِ عَلَيْهِ.

مثل: ابْتَسَمَ وَجْهُ الْمَيِّتِ عِنْدَ الْاِحْتِضَارِ (كِنَايَةٌ عَنْ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ).

التَّعْرِيضُ: هُوَ تَضْمِينُ الْكَلَامِ دَلَالَةً لَيْسَ فِيهَا ذِكْرٌ، كَقَوْلِ الْمُحْتَاجِ:
(جِئْتُكَ لِأُسَلِّمَ عَلَيْكَ)، فَيَقْصِدَ مِنْ ذَلِكَ طَلَبَ الْحَاجَةِ .

التَّوْرِيَّةُ: وَهِيَ أَنْ تُطْلَقَ لَفْظًا ظَاهِرًا (قَرِيبًا) فِي مَعْنَى، تُرِيدُ بِهِ مَعْنَى آخَرَ
(بَعِيدًا) يَتَنَاوَلُهُ ذَلِكَ اللَّفْظُ، لَكِنَّهُ خِلَافُ ظَاهِرِهِ .

فَائِدَةُ التَّوْرِيَّةِ تُرَادُّ مِنَ اللَّفْظِ، فَهِيَ أَخْصَصُ مِنَ التَّعْرِيضِ، الَّذِي قَدْ يُفْهَمُ
الْمُرَادُّ مِنْهُ مِنَ السِّيَاقِ وَالْقَرَائِنِ، أَوِ اللَّفْظِ، فَهُوَ أَعَمُّ .



تدريبات

(١) عَبَّرَ عَنْ مَعْنَى كُلِّ كِنَايَةٍ فِيمَا يَلِي بِجُمْلَةٍ حَقِيقِيَّةٍ:

- ١ - هِنْدٌ نَاعِمَةٌ الْكَفَّينِ.
- ٢ - أَبِي يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ.
- ٣ - هَذَا الرَّجُلُ لَهُ ظَهْرٌ كَبِيرٌ.
- ٤ - الطَّالِبُ أَظْفَارُهُ نَاعِمَةٌ.
- ٥ - خَالِدٌ لَا يَأْكُلُ الْخُبْزَ النَّاعِمَ.
- ٦ - حَمْزَةٌ يَأْكُلُ الْحَدِيدَ.
- ٧ - نَشَرَبُ مِنْ دِمَاءِ الْأَعْدَاءِ.
- ٨ - مَاتَتْ مِنْ كُنْتُ تُرْزَقُ مِنْ أَجْلِهَا.
- ٩ - أَبِي لَا يَعْرِفُ الْمُسْتَحِيلَ.
- ١٠ - نُحِبُّ فَلَذَةً أَكْبَادِنَا.
- ١١ - أَحِبُّهَا؛ فَهِيَ الَّتِي رَبَّتْنِي.
- ١٢ - الْبَيْتُ مَفْتُوحٌ دَائِمًا.
- ١٣ - هِنْدٌ تَقُولُ لِلْقَمَرِ: انْزِلْ وَأَنَا أَجْلِسُ مَكَانَكَ.
- ١٤ - أَصْفَرَّ وَجْهُ اللَّصِّ عِنْدَمَا دَخَلَ الْمَحْكَمَةَ.
- ١٥ - جَدِّي سَقَطَتْ أَسْنَانُهُ، وَأَبْيَضَ شَعْرُهُ، وَوَهْنَتْ عِظَامُهُ.

(٢) عَيَّنْ كُلَّ كِنَايَةٍ فِيمَا يَلِي:

- ١ - أَصْفَرَّ وَجْهُ الطَّالِبِ عِنْدَ الْامْتِحَانِ.

- ٢ - احْمَرَّ وَجْهُ الْفَتَاةِ عِنْدَمَا رَأَتْ رَجُلًا.
- ٣ - مُحَمَّدٌ بَيْتُهُ مَفْتُوحٌ.
- ٤ - طَارِقٌ نَظِيفُ الْيَدِ.
- ٥ - الْوَزِيرُ بَطْنُهُ كَبِيرٌ.
- ٦ - قوله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ۚ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلْبِثُنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٢].
- ٧ - قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩].
- ٨ - صَرَبَتْهُ فِي مَوْطِنِ الْأَسْرَارِ.
- ٩ - وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ.
- ١٠ - نَحْنُ أَبْنَاءُ النَّيْلِ.
- ١١ - وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُوسِرٍ.
- ١٢ - جَاءَ قَابِضٌ يَدِهِ.
- ١٣ - سَارَ الْكَرْمُ خَلْفَ عُثْمَانَ.
- ١٤ - الْعَدْلُ فِي رِكَابِ عُمَرَ.
- ١٥ - مَشَى الْعِلْمُ خَلْفَ ابْنِ عَبَّاسٍ.
- ١٦ - تَتَّبَعَ الْحَيَاءُ خُطَوَاتِ مَرْيَمَ.
- ١٧ - الصَّدْقُ فِي لِسَانِهِ.
- ١٨ - الْأَدَبُ حَوْلَ الطَّالِبِ.
- ١٩ - مثل: الَّذِينَ يُدَافِعُونَ عَنْ أَوْطَانِهِمْ مِثْلَ الْأُرْزِ.
- ٢٠ - مثل: سَارَ الْكَرْمُ خَلْفَ عُثْمَانَ.

٢١ - فُلَانٌ يَدُهُ طَوِيلَةٌ.

٢٢ - إِنَّ عَقَارِبَ السَّاعَةِ لَا تَتَحَرَّكُ.

٢٣ - قول الخنساء في أخيها صخر:

طَوِيلُ النَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَادِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا

٢٤ - قول الشاعر:

فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُمْ حَرِيرٌ وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمْ ثَرَابٌ
وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابٌ

٢٥ - قول البحري:

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلْ

٢٦ - قول الله: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ

سَبِيلًا ۖ﴾ يُونُسُ ١٠١ لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿١٠٢﴾ [الفرقان: ٢٧، ٢٨].

٢٧ - قول الله: ﴿وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا

يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۖ﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١١٠﴾ [لقمان: ١٨، ١٩].

٢٨ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ: «كُلُّ

عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَامُ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصَّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرُفْتُ وَلَا يَصْحَبُ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ» رواه البخاري.

٢٩ - قول الله: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ

وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۖ﴾ [نوح: ٧].

٣٠ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» رواه مسلم.

٣١ - يقول الشاعر في حرية الإنسان:

كَذَا صَاغَكَ اللَّهُ يَا ابْنَ الْوُجُودِ وَأَلَقْتُكَ فِي الْكُونِ هَذِي الْحَيَاةُ
فَمَا لَكَ تَرْضَى بِذُلِّ الْقُيُودِ وَتَحْنِي لِمَنْ كَبَّلُوكَ الْجَبَاةُ

٣٢ - قول الشاعر:

شَعْبًا الْحُرُّ الَّذِي كَانَ طَعِينًا طَاوِيَ الصَّدْرَ عَلَى الْجُرْحِ سِينًا
عَادَ عَمَلًا قَوِيًّا شَامِخًا عَالِيَ الرَّايَاتِ لَا يَحْنِي الْجَبِينَا

٣٣ - قول الشاعر:

الْجُودُ بَيْنَ ثِيَابِهِ وَالْفَضْلُ حَوْلَ رِكَابِهِ

٣٤ - قول الله: ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ ۖ ﴾ [القمر: ١٣].

٣٥ - عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الْجَعْدِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْخَيْلُ مَعْقُودَةٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» رواه البخارى.

٣٦ - قول الشاعر:

إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

٣٧ - قول الشاعر:

كَلِينِي لَهْمٌ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيٍّ الْكَوَاصِبِ

٣٨ - قول الشاعر في ابنه الفقيد:

أَنْتَ وَإِنْ أَفْرَدْتَ فِي دَارٍ وَخَشَةٍ فَإِنِّي بَدَارِ الْأَنْسِ فِي وَخَشَةِ الْفَرْدِ

٣٩ - قول الشاعر:

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْيِي وَأَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ
الْحَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ

٤٠ - قول الشاعر:

مُتَقَرِّدٌ بِصَبَابَتِي مُتَقَرِّدٌ بِكَأَبَتِي مُتَقَرِّدٌ بِعَنَائِي

٤١ - قول الله عز وجل: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَعْتَوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝﴾ [الأحزاب: ٤٩].

٤٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا أَكْثَرُ مِمَّا أُعْطِيَ وَهُوَ كَاذِبٌ وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ الْيَوْمَ أَمْنَعَكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ» رواه البخاري.

(٣) اختر الإجابة الصحيحة مما بين كل قوسين فيما يلي:

١ - زيدٌ بيته مفتوحٌ. كناية عن: (نسبة - صفة - موصوف).

٢ - أحبه؛ لأنني تربيت على أرضه. كناية عن: (نسبة - صفة - موصوف).

٣ - نحنُ نطلقُ أسرابَ الحمام. (كناية - تشبيه - استعارة).

(٤) ما الفائدة البلاغية للكناية؟



الفصل الرابع المجاز المبرس

الفصل الرابع المجاز المرسل

تمهيد

المَجَازُ مُشْتَقٌّ مِنْ جَاَزَ الشَّيْءَ يَجُوزُهُ إِذَا تَعَدَّاهُ، سَمَّوْا بِهِ اللَّفْظَ الَّذِي نُقِلَ مِنْ مَعْنَاهُ الْأَصْلِي، وَاسْتَعْمِلَ لِيُدَلَّ عَلَى مَعْنَى غَيْرِهِ، مَنَاسِبٌ لَهُ.

وَالْمَجَازُ مِنْ أَحْسَنِ الْوَسَائِلِ الْبَيَانِيَّةِ الَّتِي تَهْدِي إِلَيْهَا الطَّبِيعَةُ؛ لِإِضْاحِ الْمَعْنَى، إِذْ بِهِ يُخْرَجُ الْمَعْنَى مَتَّصِفًا بِصِفَةِ حِسِّيَّةٍ، تَكَادُ تَعْرِضُهُ عَلَى عَيَانِ السَّامِعِ، لِهَذَا شَغَفَتِ الْعَرَبُ بِاسْتِعْمَالِ الْمَجَازِ لِمِيلِهَا إِلَى الْإِتْسَاعِ فِي الْكَلَامِ، وَإِلَى الدَّلَالَةِ عَلَى كَثَرَةِ مَعَانِي الْأَلْفَاظِ، وَلَمَّا فِيهِ مِنَ الدَّقَّةِ فِي التَّعْبِيرِ، فَيَحْصُلُ لِلنَّفْسِ بِهِ سُرُورٌ وَسَعَادَةٌ، وَلَأَمْرٌ مَا كَثَرَ فِي كَلَامِهِمْ، حَتَّى أَتَوْا فِيهِ بِكُلِّ مَعْنَى رَائِقٍ، وَزَيَّنُوا بِهِ خُطْبَهُمْ وَأَشْعَارَهُمْ.

المجاز لغة:

مصدر «جَازَ» يقال لغة: جَازَ الْمُسَافِرُ الطَّرِيقَ، وَجَازَ بِهِ جَوْزًا وَجَوَازًا وَجَجَازًا، إِذَا سَارَ فِيهِ حَتَّى قَطَعَهُ.

وَيُطْلَقُ لَفْظُ (الْمَجَازِ) عَلَى الْمَكَانِ الَّذِي اجْتَاَزَهُ مَنْ سَارَ فِيهِ حَتَّى قَطَعَهُ.

ويقال: جَازَ الْقَوْلُ، إِذَا قُبِلَ وَنَفَذَ. وكذا يقال: جَازَ الْعَقْدُ وَغَيْرُهُ، إِذَا نَفَذَ وَمَضَى عَلَى الصَّحَّةِ.

المَجَازُ اصطلاحًا:

اللفظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ لِعِلَاقَةٍ مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ عَنْ إِرَادَةِ مَا وُضِعَ لَهُ اللفظُ، أَيْ الْمَعْنَى السَّابِقِ.

مثل لفظ (أَسَد) في قولك: (هَذَا أَسَدٌ يَأْكُلُ غَزَالَةً) اسْتُعْمِلَ اللَّفْظُ هُنَا؛ لِيَدُلَّ عَلَى الْحَيَوَانِ الْمُفْتَرَسِ الْمَعْرُوفِ فَهُوَ اسْتِعْمَالُ حَقِيقَتِي، أَيْ أَنَّ اللَّفْظَةَ مُسْتَعْمَلَةٌ فِيهَا وَضِعَتْ لَهَا.

أَمَّا إِذَا اسْتُعْمِلَ لَفْظُ (أَسَد) فِي مِثْلِ قَوْلِكَ: (هَذَا أَسَدٌ يُمَسِّكُ سَيْفًا)؛ لِيَدُلَّ بِهِ عَلَى الرَّجُلِ الشُّجَاعِ فَهُوَ مَجَازٌ، أَيْ أَنَّ اللَّفْظَةَ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي غَيْرِ مَا وَضِعَتْ لَهَا.

وَعِنْدَمَا اسْتُعْمِلَ لَفْظُ (أَسَد) لِيَدُلَّ بِهِ عَلَى الرَّجُلِ لِعِلَاقَةِ الْمُشَابَهَةِ بَيْنَهُمَا فِي الشُّجَاعَةِ، وَالَّذِي يَمْنَعُ مِنْ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ قَرِينَةً، وَهِيَ: (يُمَسِّكُ سَيْفًا) لِأَنَّ الْأَسَدَ لَا يُمَسِّكُ السَّيْفَ، فَصَارَ قَوْلُهُ (يُمَسِّكُ) قَرِينَةً مَانِعَةً مِنْ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ.

فَالْقَرِينَةُ هِيَ الْمَانِعَةُ عَنِ الْحَقِيقَةِ إِلَى الْمَجَازِ، إِذَا اللَّفْظُ لَا يَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى الْمَجَازِيِّ بِنَفْسِهِ دُونَ قَرِينَةٍ.

فَكَمَا أَنَّ لَفْظَ (أَسَد) إِذَا اسْتُعْمِلَ فِي الْمَجَالَاتِ الْمَذْكُورَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْحَيَوَانِ الْمُفْتَرَسِ الْمَعْرُوفِ فَهُوَ حَقِيقَةٌ.

وَإِذَا اسْتُعْمِلَ لِلدَّلَالَةِ بِهِ عَلَى الرَّجُلِ الشُّجَاعِ فَهُوَ مَجَازٌ، وَعِلَاقَتُهُ الْمُشَابَهَةُ.

وَمِثْلُ لَفْظِ (الذَّهَبِ) فِي قَوْلِكَ: (طَارِقٌ يَبِيعُ الذَّهَبَ) اسْتُعْمِلَ اللَّفْظُ هُنَا؛ لِيَدُلَّ عَلَى الْمَعْدَنِ الْمَعْرُوفِ فَهُوَ اسْتِعْمَالُ حَقِيقَتِي، أَيْ أَنَّ اللَّفْظَةَ مُسْتَعْمَلَةٌ فِيهَا وَضِعَتْ لَهَا.

أَمَّا إِذَا اسْتُعْمِلَ لَفْظُ (الذَّهَبِ) فِي مِثْلِ قَوْلِكَ: (طَارِقٌ يَتَكَلَّمُ بِالذَّهَبِ)؛ لِيَدُلَّ بِهِ عَلَى الْكَلَامِ النَّفِيسِ فَهُوَ مَجَازٌ، أَيْ أَنَّ اللَّفْظَةَ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي غَيْرِ مَا وَضِعَتْ لَهَا.

وَعِنْدَمَا اسْتُعْمِلَ لَفْظُ (الذَّهَبِ) لِيَدُلَّ بِهِ عَلَى الْكَلَامِ لِعِلَاقَةِ الْمُشَابَهَةِ بَيْنَهُمَا فِي حُسْنِ هَذَا الْكَلَامِ وَعَظَمَتِهِ، وَالَّذِي يَمْنَعُ مِنْ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ قَرِينَةً،

وَهِيَ: (يَتَكَلَّمُ بِالذَّهَبِ) لِأَنَّ الذَّهَبَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُخْرَجَ مِنَ الْفَمِّ، فَصَارَ قَوْلُهُ: (يَتَكَلَّمُ) قَرِينَةً مَانِعَةً مِنْ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ.

شروط المجاز:

- ١ - اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ.
- ٢ - أَنْ تُوجَدَ عِلَاقَةٌ بَيْنَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ وَالْمَعْنَى الْمَجَازِيَّةِ.
- ٣ - أَنْ تُوجَدَ قَرِينَةٌ مَانِعَةٌ عَنْ إِرَادَةِ الْمَعْنَى السَّابِقِ.

الحقيقة اصطلاحاً:

اللفظ المستعمل فيما وُضِعَ له على المعنى الحقيقي المباشر، وليس بمجازٍ ولا استعارة ولا تشبيه، وهذا أكثر الكلام وأكثر آيات القرآن وشعر العرب.



وَقْفَةُ حَوْلِ الْمَجَازِ

الْمَجَازُ مصطلح معروف عند أهل اللغة، والبلاغة، والتفسير، والأصول وغيرهم.

كما أنه يَرَدُّ كثيرًا في كتب العقائد، خصوصًا في باب الأسماء والصفات؛ ذلك أنَّ كثيرًا من أهل التعطيل اتخذوه وَسِيلَةً لِنَفْيِ صفات الله سبحانه. ولأجل أن تتضح صورة الْمَجَازِ إليك هذا العرض الْمُجْمَلُ الْمُيسَّرُ الذي يبين معالمه، وحقيقة الخلاف فيه.

وقبل الدخول في ثنايا الحديث عن المجاز يحسن الوقوف عند مصطلح (الحقيقة) وذلك؛ لأن المجاز - عند من يقول به - ضِدُّ الْحَقِيقَةِ.

ينقسم الكلام إلى: (حقيقة - مجاز):

أولاً: تعريف الحقيقة:

هي الكلمة الْمُسْتَعْمَلَةُ فيما هي موضوعة له من غَيْرِ تَأْوِيلٍ فِي الْوَضْعِ. أو هي: استعمال اللفظ فيما وُضِعَ لَهُ فِي الْأَصْلِ.

مثل كلمة (أسد) تدل على الحيوان المعروف، وكلمة (الشمس): تدل على الْكَوْكَبِ الْعَظِيمِ المعروف، وكلمة (البحر): تدل على الماء العظيم الملح ..، وهكذا جميع ألفاظ اللغة.

ثانياً: تعريف المجاز:

المجاز في اللغة: اسم مكان كَالْمَطَافِ وَالْمَرَازِ. والألف فيه منقلبة عن واو، وقيل: هو مصدر ميمي.

وفي الاصطلاح: هُوَ اسْتِعْمَالُ الْلفْظِ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ فِي الْأَصْلِ؛ لِعِلَاقَةٍ بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ - الْحَقِيقِيِّ وَالْمَجَازِيِّ - مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ مِنْ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ.

شرح تعريف المجاز:

قوله: (فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ): أَيِ الْمَعْنَى الْوَضْعِي لِلْفِظِ، وَيُسَمَّى الْحَقِيقِيَّ
أَوِ الْأَصْلِي الَّذِي ذَكَرْتُهُ مَعَاجِمُ اللُّغَةِ، كَوَضْعِ كَلِمَةِ الْأَسَدِ لِلْحَيَوَانِ الْمَعْرُوفِ
الْمُفْتَرَسِ، وَكَذَلِكَ الْقَمَرُ.

وقوله: (لِعَلَّاقَةٍ): الْعَلَّاقَةُ هِيَ الشَّيْءُ الَّذِي يَرْبِطُ بَيْنَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيِّ لِلْفِظِ،
وَالْمَعْنَى الْمَجَازِي، كَالشَّجَاعَةِ فِي قَوْلِكَ: (رَأَيْتُ أَسَدًا يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ) فَلِأَسَدٍ
هُنَا لَا يُقْصَدُ بِهِ الْحَيَوَانُ؛ وَإِنَّمَا يُقْصَدُ بِهِ الرَّجُلُ الشُّجَاعُ، إِذَا فَقَدَ انْتَقَلَ مِنْ مَعْنَاهُ
الْحَقِيقِيَّ إِلَى الْمَعْنَى الْمَجَازِي، وَالْعَلَّاقَةُ هِيَ الشَّجَاعَةُ.

قوله: (الْقَرِينَةُ): هِيَ الَّتِي تَمْنَعُ الذَّهْنَ مِنْ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَى الْمَعْنَى الْوَضْعِي
الْأَصْلِيِّ لِلْفِظِ، مِثْلَ قَوْلِكَ: (يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ) فِي قَوْلِكَ: (رَأَيْتُ أَسَدًا يَضْرِبُ
بِسَيْفِهِ) لِأَنَّ الْأَسَدَ لَا يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ، فَعِلِمَ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْفِظِ مَجَازُهُ لَا
حَقِيقَتُهُ؛ لِأَنَّ الْأَسَدَ لَا يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُكَ فِي الرَّجُلِ الْكَرِيمِ: (جَاءَ الْبَحْرُ)، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْثَلَةِ مِمَّا
سَيَأْتِي ذِكْرُهُ.

أمثلة لألفاظ يتبين فيها الحقيقة من المجاز:

١ - الشمس لها دلالتان: إحداها حقيقية، وهي دلالة الكوكب العظيم
المعروف، والأخرى مجازية وهي: الْوَجْهُ الْمَلِيحُ.

٢ - البحر له دلالتان: إحداها حقيقة، وهي دلالة على الماء العظيم الملح .
والأخرى مجازية وهي: دلالة على الرجل الْجَوَادِ الْكَثِيرِ الْعَطَاءِ أَوِ الْعَالِمِ
الْغَزِيرِ الْعِلْمِ.

كيف يُفَرَّق بين الحقيقة والمجاز؟

يُفَرَّقُ بِسِيَاقِ الْكَلَامِ، وقرائن الأحوال. ولا يمكن أن يقال: إن كلا الداليتين - الحقيقية والمجازية - سواء؛ بحيث إذا أطلق اللفظ دل عليها معاً، كأن يقال: إن الشمس حقيقية في دلالتها على الكوكب والوجه الملمح، وأن البحر حقيقة في الماء العظيم المالح والرجل الجواد؛ بل لابد من قرينة تخصص المعنى المراد.

لَمْ سُمِّيَ الْمَجَازُ بِهَذَا الْاسْمِ؟

لأنه مأخوذ من قولهم: جاز هذا الموضع إلى هذا الموضع، إذا تخطاه إليه.

فَالْمَجَازُ - إِذَنْ - اسم للمكان الذي يُجَازُ فيه كَالْمَزَارِ.

وحقيقته: الانتقال من مكان إلى مكان؛ فجعل ذلك لنقل الألفاظ من محل إلى محل، كقولنا: زيد أسد؛ فإن زيدا إنسان، والأسد هو ذاك الحيوان المعروف.

وقد جُزْنَا الإنسانية، أي: تَخَطَّيْنَاهَا وانتقلنا منها وَعَبَرْنَاهَا إِلَى الْأَسَدِيَّةِ؛ لِعَلَاقَةٍ بَيْنَهُمَا، وتلك الوصلة هي صفة الشجاعة؛ فهذا هو سبب تسمية المجاز بهذا الاسم.

أما الحقيقة فهي: مأخوذة من كلمة حَقٌّ وهو الشيء الثابت، ولعلك تشم رائحة التضاد بين هاتين الكلمتين؛ فالحقيقة ثبوت الشيء، وَالْمَجَازُ تَعَدِّيهِ.

هل كل مجاز له حقيقة، وكل حقيقة لها مجاز؟

والجواب: أن كل مجاز له حقيقة؛ لأنه لم يطلق عليه لفظ مجاز إلا لنقله عن حقيقة موضوعه، وليس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها مجاز.

هل الأصل في الكلام الحقيقة أو المجاز؟

والجواب: أن الأصل في الكلام هو الحقيقة، ولا ينصرف الكلام عن حقيقته إلى مجازه إلا بقرينة، كما مرَّ في الأمثلة الماضية.

اختلاف العلماء في أصل وقوع المجاز:

اختلف العلماء في أصل وقوع المَجَاز وثبوته في اللغة والقرآن، على ثلاثة أقوال:

١ - المَجَاز واقع في اللغة والقرآن: وهذا مذهب جماهير العلماء، والمفسرين، والأصوليين، واللغويين، والبلاغيين، وغيرهم؛ بل حكى الإجماع على ذلك يحيى ابن حمزة العلوي في كتابه (الطراز) غير أن في تلك الدعوى توسعاً؛ لوجود المُخَالَفِ الْمُعْتَبَرِ.

٢ - إنكار المجاز مطلقاً في اللغة والقرآن: وقد ذهب إلى ذلك أبو إسحاق الإسفراييني، وتبعه على ذلك شَيْخُ الإسلامِ ابْنُ تيمية وابن القيم.

٣ - المَجَاز واقع في اللغة دون القرآن: وقد ذهب إلى ذلك وارد الظاهري، وابنه محمد، وابن القاصّ الشافعي وابن خويز منداد المالكي، ومنذر بن سعيد البلوطي، ومن المعاصرين الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي.

حُجَّةُ الْقَائِلِينَ بِمَنْعِ الْمَجَازِ:

القائلون بمنع المَجَازِ في اللغة والقرآن، أو في القرآن وحده يَحْتَجُّونَ عَلَى ذلك بِحُجَجٍ منها:

١ - أن كل مَجَازٍ كَذِبٌ يَجُوزُ نَفْيُهُ؛ فيلزم على القول بـ (أنَّ في القرآنِ مَجَازًا) أن في القرآن ما يَجُوزُ نَفْيُهُ، قال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله -: «وأوضح دليل على منعه في القرآن إجماع

القائلين بالمَجَازِ على أن كل مَجَازٍ يَجُوزُ نَفْيُهُ، ويكون نافيُّه صَادِقًا في نفس الأمر؛ فتقول لِمَنْ يقول (رَأَيْتُ أَسَدًا يَنْطِقُ): ليس هو بأسد، وإنما هو رجل شجاع؛ فيلزم على القول بأن في القرآن مَجَازًا أنَّ في القرآن ما يَجُوزُ نَفْيُهُ، ولا شَكَّ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ نَفْيُ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ».

٢ - أن القول بالمَجَاز ذريعة إلى نفي الصفات الإلهية وتأويلها، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - : «وهذا الزوم اليقيني الواقع بين القول بالمَجَاز في القرآن وبين جواز نفي بعض الصفات قد شوهدت في الخارج صحته، وأنه كان ذريعة إلى نفي كثير من صفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن العظيم.

وعن طريق القول بالمَجَاز توَصَّل الْمُعْطَلُونَ لِنَفْيِ ذَلِكَ، فقالوا: لا يَدَّ، وَلَا اسْتِواءَ، وَلَا نُزُولَ، وَنَحْوُ ذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ لَمْ تَرِدْ حَقَائِقُهَا؛ بَلْ هِيَ عِنْدَهُمْ مَجَازَاتٌ؛ فَالْيَدُ مُسْتَعْمَلَةٌ عِنْدَهُمْ فِي النِّعْمَةِ، أَوِ الْقُدْرَةِ، وَالِاسْتِواءَ فِي الْاِسْتِلاءِ، وَالنُّزُولُ نُزُولُ أَمْرِهِ وَنَحْوُ ذَلِكَ؛ فَنفَوْا هَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّابِتَةَ بِالوَحْيِ عَنْ طَرِيقِ الْقَوْلِ الْمَجَازِ.

مع أَنَّ الْحَقَّ - الَّذِي هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ - إِثْبَاتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي أَثْبَتَهَا اللَّهُ - تَعَالَى - لِنَفْسِهِ، وَالْإِيْيَانُ بِهَا مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَشْبِيهِ، وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَمَثِيلٍ».

فهذا السبب - أعني نفي الصفات عن طريق القول بالمجاز - هو من أعظم الأسباب التي دعت القائلين بإنكار المجاز إلى ذلك .

٣ - ادَّعَاءُ أَنَّ الْأَلْفَاظَ كُلَّهَا حَقِيقَةٌ: وَالْجَزْمُ بِأَنَّ تَقْسِيمَهَا إِلَى حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ تَقْسِيمٌ حَادِثٌ لَمْ تَعْرِفْهُ الْعَرَبُ: قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنْ الْمَجَازِ: «إِنَّهُ غَيْرُ مَعْرُوفٍ عَنِ الْعَرَبِ، وَلَمْ تَقُلْ الْأُمَّةُ فِي أَوَّلِ عَصُورِهَا:

هَذَا اللَّفْظُ حَقِيقَةٌ وَذَاكَ مَجَازٌ، وَإِنَّمَا هُوَ اصْطِلَاحٌ طَارَأَ عَلَى الْأُمَّةِ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ».

وقد كَرَّرَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كُتُبِهِ، خُصُوصًا فِي كِتَابِهِ الْإِيْيَانِ، وَفِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مِنْ مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى.

٤ - أن إطلاق المَجَاز في القرآن يُؤدِّي إلى وَصْفِ اللَّهِ بِالْمُتَجَوِّزِ: وذلك بما لم يَرِدِ الإِذْنُ به؛ ذلك أن أسماء الله وصفاته توقيفية كما هو معلوم.

مناقشة مثبتي المجاز لمنكريه:

١ - أن القول بأن كل مجاز كذبٌ يَجُوزُ نَفْيُهُ لَيْسَ صَحِيحًا: وإنما يكون المَجَاز كذبًا لو أثبت المعنى على التحقيق لا على المَجَازِ، أي أنه إذا أُطْلِقَ الْقَمَرُ - مثلاً - على إنسانٍ جَمِيلِ الطَّلَعَةِ والظهورِ، يكون كذبًا لو ادَّعى أنه القمر الذي في السماء حقًا.

ولا ريب أن هذا ليس بمرادٍ في المَجَازِ، وإنما المرادُ تشبيهه به في البهَاءِ والحُسْنِ، فأين الكذب؟!!

وكذلك قولنا لِلْبَلِيدِ قَلِيلُ الْفَهْمِ: (حِمَار) ليس المَقْصُودُ بأنه حِمَارٌ في الشكل والخِلْقَةِ، وإلا لَصَحَّ أَنْ يُنْفَى وَيُقَالَ: ليس هو بِحِمَارٍ؛ بل هو إنسان، فالنفي هنا مُوجَّهٌ لإِرَادَةِ الْحَقِيقَةِ لا على المعنى المجازي، وهذا لا يسمى كذبًا؛ لأن المتكلم جاء بقريئة تبين مراده، وترفع اللبس، ثم إن البلاغيين حرصوا في مصنفاتهم على أن يبينوا الفرق بين المجاز والكذب؛ فهم متفقون على أن المَجَاز ليس كذبًا؛ لأن التَّجَوُّزَ يَضَعُ بَيْنَ يَدَيِ الْمَجَازِ قَرِينَةً تصرف عن إرادة المعنى الأصلي للفظ.

أما الكذب فإن الكاذب يَحْرِصُ فيه على إِخْفَاءِ حَالِهِ؛ تَرْوِيحًا للكذب الذي يريد.

ولقد عُنِيَ البلاغيون بالقرائن عنايةً بالغةً، واستنبطوها من كلام العرب، وفصلوا فيها القولَ تفصيلًا؛ فإذا خلا المَجَازُ من القرائن كان الكلامُ فاسدًا لِعَدَمِ دلالاته.

٢ - أن القول: بأنَّ المَجَازَ ذريعةٌ إلى نَفْيِ الصفات الإلهية، وتأويلها ليس

مُسَوِّغًا لِنَفْيِ الْمَجَازِ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا حُجَّةَ لَهُؤُلَاءِ النِّفَاةِ الْمُعْطَلَّةِ فِيمَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا هُمْ أَصْحَابُ هَوًى .

فاستدلّاهُمْ بِالْمَجَازِ عَلَى نَفْيِ الصِّفَاتِ اسْتِدْلَالِ فَاسِدٍ، فَنَحْنُ نَجْعَلُهُ حُجَّةً عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ؛ فَيَقَالُ لَهُؤُلَاءِ النِّفَاةِ الْمُعْطَلَّةِ: إِنَّ الْأَصْلَ فِي الْكَلَامِ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى حَقِيقَتِهِ وَظَاهِرِهِ، مَا لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ قَرِينَةً تَوْجِبُ صَرْفَهُ عَنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، وَذَلِكَ الظَّاهِرُ لَنَا.

ثم إن الناس متعبدون باعتقاد الظاهر من أدلة الكتاب والسنة ما لم يمنع مانع.

وبناء على ذلك يقال لهؤلاء النفاة: إن النصوص الصحيحة القطعية أثبتت صفات الكمال لله تعالى كصفة الكلام، واليد، والاستواء، والنزول، والعلو، والساق، والقدم، والضحك، والأصابع.

والنصوص الواردة في مثل: صفة الكلام، واليد، والاستواء، والنزول، والعلو، والساق، والقدم، والضحك، والأصابع... تَحُلُّوْا مِنْ أَيْ قَرِينَةٍ تُخْرِجُهَا عَنْ مَعَانِيهَا الْحَقِيقِيَّةِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا؛ فَهِيَ صِفَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ ثَابِتَةٌ لِلرَّبِّ سُبْحَانَهُ.

وَادْعَاءُ هَؤُلَاءِ الْمُعْطَلَّةِ أَنْ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ يُلْزِمُ مِنْهُ التَّمَثِيلَ، وَأَنَّ الْقَرِينَةَ الْمُنَاعَةَ مِنْ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ هِيَ تَنْزِيهِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - عَنْ مُثَالَّةِ الْمَخْلُوقِينَ ادْعَاءً بَاطِلًا، ظَاهِرُ السَّقُوطِ؛ إِذْ لَا يُلْزِمُ مِنْ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ لِلَّهِ تَمَثِيلُهُ وَتَشْبِيهِهُ بِخَلْقِهِ؛ فَلِلْخَالِقِ - سُبْحَانَهُ - صِفَاتٌ تَلِيْقُ بِهِ، وَلِلْمَخْلُوقِ صِفَاتٌ تَلِيْقُ بِهِ، ثُمَّ إِنَّ مَجِيءَ نُصُوصِ الصِّفَاتِ مُتَكَاثِرَةً، يَقْطَعُ بِأَنَّ الْمُرَادَ مِنْهَا مَعَانِيهَا الْحَقِيقِيَّةَ.

وَنُمَثِّلُ بِهَذَا الْمِثَالِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

فلا يجوزُ أبدًا أن يقال: إن الكلام في هذه الآية مجازيٌّ؛ لأن الفعل (كَلَّمَ) أُكِّدَ بالمصدر (التكليم) الدال على النوع.

وقد نقلَ أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨) إجماع النحاة على أن الفعل إذا أكد بالمصدر لم يكن مجازًا؛ بل هو حقيقة قطعًا.

وكيف وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؟!

وَمَّا ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، أنه قال: «لا يجوزُ أن تُفسَّرَ بالقدرة؛ لأنَّ القدرة صفةٌ واحدةٌ، ولا يُعَبَّرُ بالاثنين عن الواحد، ولا يجوز أن يراد به النعمة؛ لأنَّ نِعَمَ الله - سبحانه وتعالى - لا تُحْصَى».

وإذا أضيف الفعل إلى الفاعل، وَعُدِّيَّ الفعلِ إِلَى اليدِ بِحَرْفِ الباء كقوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ فإنه نصٌّ على أنه فعل الفعل بيديه.

فإذا قال القائل: (بَيِّتُ الْحُجْرَةَ بِيَدَيَّ) فلا بد أن يكون بَاشَرَ الْبِنَاءِ بِنَفْسِهِ. وَإِذَا قَالَ: (هَذَا أَلْبَيْتُ بَنَتْهُ يَدَايَ) يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ بَنَاهُ بِأَلِّهِ، وَفَرَّقَ بَيْنَ التَّرْكِيبَيْنِ.

وعموماً، فالأمثلة على هذا النحو كثيرةٌ جداً، أو من خلالها يظهر أن نصوص الصفات لا تقبل المَجَازَ من جهة نظمها، وتركيبها، وإضافتها إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

كيف وأهل السنة مُجْمِعُونَ على الإقرار بأسماء الله - تعالى - وصفاته وحملها على الحقيقة لا المجاز؟!

٣ - أما القول بأن الألفاظ كلها حقيقة أو أن تقسيمها إلى حقيقة ومجاز تقسيم حادث لم تعرفه العرب، فذلك يحتاج إلى نظر.

فإن أريد بذلك أن العرب لم يضعوا هذا المصطلح فنعم.

وإن أريد أنه لا يوجد في كلامهم مجازٌ فهذا غير صحيح؛ بل الشواهد من كلامهم على استعمال المَجَازِ أكثر من أن تحصر، وذلك مما استفاض به النقل عن علماء اللغة.

ثمَّ إنَّ القول إن هذا الاصطلاح لم يُعرَفْ إلا بعدَ القرون الثلاثة المفضلة غير مُسلَّم به؟ فقد تكلم بالمَجَاز غير واحد من علماء اللغة في أوقات القرون المفضلة؟ ومن هؤلاء أبو زيد القرشي المتوفي سنة ١٧٠هـ.

ومن أهل اللغة من يعبر عن المجاز بـ: (التوسع والسعة في الكلام).

٤ - وأما القول بأن إطلاق المَجَاز يُؤدِّي إلى وصف الله بالمتجوز، وذلك لا يصح - فيجواب عنه: بأنه لا يلزم ذلك لأن هذا الإطلاق لا يكون إلا بدليل.

ثم إن إطلاق المَجَاز على اللفظ في بعض استعمالاته اصطلاح، ولا يلزم إضافة المعاني الاصطلاحية إلى الله - تعالى - وإلا ففي القرآن سَجْعٌ، وأمثالٌ، فهل يقال في حق الله - تعالى - : السَّاجِع، والممثل؟

هذه بعض حجج القائلين بمنعه وَرَدُّ القائلين به على سبيل الإيجاز.

وبعد أن وقفت عن شيء من أمر المَجَاز وما جاء في الخلاف حول إثباته أو نفيه يتبين لك أن أعظم الأسباب التي دعت إلى نفيه وإنكاره، أن أهل التعطيل اتخذوه مطية لتحريف بعض نصوص الشرع لاسيما في باب الصفات.

فهذا هو الذي دعا بعض العلماء أن يشدد في النكير على القائلين بالمَجَاز.

وإلا لو كان الأمر مُجرَّد اصطلاح لغوي لا يترتب عليه خوض في مسائل الشريعة لهَاَنَ الأمر، ولا حصل فيه خِلافٌ كبيرٌ ولكن لما أدرك بعض العلماء خطورة ذلك وكثرة المبتدعين به سارعوا إلى إنكاره؛ سداً للذريعة، وعلى رأس هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في مواطن كثيرة من كتبه، وإن كان قد قال بالمَجَاز في إحدى مراحل عمره.

يقول الشيخ عبد المحسن العسكر - حفظه الله - في مقدمة مخطوطة له عن المجاز: وأحسب أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد قال بِالْمَجَازِ في إحدى مراحل عمره، فقد رأيت في (مَحَاسِنِ التَّأْوِيلِ) لجمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) ما هذا نصه:

قال ابن تيمية في بعض فتاواه: نحن نقول بالمجاز الذي قام دليله، ولم يوجد في شيء من كلامنا وكلام أحد منا أنا لا نقول بالمجاز والتأويل، والله عند لسان كل قائل، ولكن ننكر من ذلك ما خالف الحق والصواب، وما فتح به الباب إلى هدم السنة والكتاب، واللحاق بمُحرِّفة أهل الكتاب.

والمنصوص عن الإمام أحمد وجمهور أصحابه أن القرآن مشتمل على المَجَاز، ولم يعرف عن غيره من الأئمة نص في هذه المسألة.

وقد ذهب طائفة من العلماء من أصحابه وغيرهم، كأبي بكر بن أبي داود، وأبي الحسن الخرزى، وأبي الفضل التميمي، وابن حامد وغيرهم إلى إنكار أن يكون في القرآن مجاز.

وإنما دعاهم إلى ذلك ما رأوه من تحريف المحرفين للقرآن بدعوى المجاز، قابلوا الضلال بحسم المواد، وخيار الأمور التوسط، والاقتصاد.

وبعد أن نقل الشيخ العسكر هذه الفتوى قال: «ومع أنني لم أهتم إلى هذه الفتوى في المطبوع مؤلفات شيخ الإسلام وفتاواه - فإن عدم اهتدائي هذا لا ينفي وجودها في كتابات الشيخ مطلقاً» .

بَيِّدَ أَنِّي مطمئنٌ غيرُ مرتاب في نسبة هذا الكلام إلى شيخ الإسلام - رَحِمَهُ اللهُ - وذلك لما يلي:

١ - أن المطبوع من أعمال شيخ الإسلام لا يمثل إلا القليل مما كتب في حياته كلها.

وأنت خير أنه صاحب قلم سيال، ومكثر من الكتابة جداً، حتى قال الذهبي: «جاوزت فتاوى ابن تيمية ثلاثمائة مجلد».

٢ - أن من له أدنى صلة بتراث شيخ الإسلام لا يناع في أن هذا النفس نفسه، والأسلوب أسلوبه، وقد وقف على هذه الفتوى بعض العلماء فأجابوا بذلك منهم فضيلة الشيخ محمد العثيمين رحمه الله.

ولقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم بلسان عربي مبين على سنن العرب في البيان، ومن أساليب العرب الحقيقة والمجاز والاستعارة والتشبيه والكنية ولا بد أن ذلك جارٍ في كتاب الله فعلاً، وإن خالف بعضهم في بعض التسميات.

فَفَقِيَ الْمَجَازِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِمَعْنَى التَّسْمِيَةِ بِذَلِكَ، فَالْكَلِّ مُتَّفَقُونَ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، أن الحقيقة غير مرادة بل المراد الخضوع والطاعة للوالدين.

أيضاً، فإن العدول عن الحقيقة إلى المجاز يقتضي العجز عن الحقيقة، وهو على الله تعالى محال، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢]، وقال تعالى: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ [المعارج: ١٧].

وعن أبي هريرة يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ» رواه البخاري.

عن أنس عن النبي ﷺ «فِيخْتَمُ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لِفَخْذِهِ انْطِقِي فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِيُعَذَّرَ مِنْ نَفْسِهِ وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْحَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ هَذَا فِي الْآخِرَةِ» رواه مسلم.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اِخْتَبَجْتُ النَّارُ وَالْجَنَّةُ فَقَالَتْ هَذِهِ يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ وَقَالَتْ هَذِهِ يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُدِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ - وَرَبِّي قَالَ: أُصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ - وَقَالَ لَهُدِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا»، رواه مسلم.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكَلَّمَ السَّبَاعُ الْإِنْسَانِ وَحَتَّى تَكَلَّمَ الرَّجُلُ عَذْبَةً سَوَاطِيهِ وَشِرَاكَ نَعْلِهِ وَتُخْبِرُهُ بِمَا أَخَذَتْ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ» هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرججاه.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦] قد صَنَّفَ شَيْخُ الْإِسْلَام عَزَّ الدِّينُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ كِتَابًا حَافِلًا فِي ذَلِكَ، وَبِهِ قَالَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ مِنْهُمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فَإِنَّهُ قَالَ هَذَا مِنْ مَجَازِ اللُّغَةِ.

يقول الشيخ محمد المختار الشنقيطي: الْمَجَازُ فِي الْقُرْآنِ، فهذه مسألة خلافية، من العلماء من قال: لا مجاز في القرآن، ومنهم من قال: فيه المجاز.

والصحيح: أن الْمَجَاز موجودٌ في القرآن في غير أسماء الله وصفاته، والدليل على وجوده: أنه لا يستطيع أحد أن ينكر وجود الْمَجَازِ فِي اللُّغَةِ، فَالْمَجَازُ موجودٌ فِي اللُّغَةِ، وهو بلسان العرب.

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠]، فهل يوم القيامة يَعْبُسُ عَلَى الْحَقِيقَةِ؟!

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: ١٠]، هل القلوب بلغت الحناجر حقيقة؟! لا، إنما هو كناية.

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ۖ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝﴾ [الأحزاب: ٤٩].

﴿ تَمْسُوهُنَّ ﴾ كناية عن الجماع. فهذا كله تجوُّزٌ في العبارة، ولكن في أسماء الله وصفاته ليس هناك مجازٌ.

والسبب الذي جعل العلماء يقولون: بنفي المَجَازِ عُمُومًا في القرآن إقفال باب التأويل على الأشاعرة؛ ولكن كَانَ مِنَ الْمُمَكِّنِ أَنْ نُقْفَلَ عَلَيْهِمْ بَابُ التَّأْوِيلِ بِأَنْ نُقَرَّ بِوُجُودِ الْأَسْلُوبِ؛ ولكن في أسماء الله وصفاته نُنَاقِشُهُمْ بِأَنْ نَقُولَ لَهُمْ: إِنْ مِمَّا اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَيْهِ: أَنَّهُ إِذَا تَعَارَضَتِ الْحَقِيقَةُ وَالْمَجَازُ، فَإِنَّ الْأَصَحَّ حَمْلُ الدَّلَائِلِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ مَا لَمْ يَدَلِّ الدَّلِيلُ عَلَى الْمَجَازِ، فَلَمَّا قَالَ اللَّهُ: ﴿ قَالَ يَتِلَإِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]، أي: يديه، حملناها على الحقيقة، فلما لم يوجد دليل من الكتاب والسنة على صَرْفِ اللَّفْظِ عَنِ الْحَقِيقَةِ نُبْقَى عَلَيْهَا.

فمن الممكن مناقشة الأشاعرة - حينما قالوا بالمجاز في الأسماء والصفات - مناقشةً بهذا الأصل، وهذا الأصل قَرَّرَهُ الْأُصُولِيُّونَ فِي بَابِ تَعَارُضِ الْحَقَائِقِ.

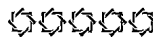
وعلى العموم فَإِنَّ الْقَوْلَ بِوُجُودِهِ أَوْ عَدَمِ وُجُودِهِ يُقَرَّرُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ خِلَافٌ لَفْظِيٌّ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: الْأَسْلُوبُ مَوْجُودٌ؛ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا هَلْ يُسَمَّى مَجَازًا؟ أَوْ أَنَّ الْعَرَبَ تَكَلَّمَتْ بِهِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ؟! لِأَنَّ الْكَلَامَ مَوْجُودٌ. فَعَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ خَلْفَ شَيْخٍ بِمَكَّةَ فَكَبَّرَ ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ تَكْبِيرَةً فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّهُ أَحَقُّ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، سُنَّةُ أَبِي الْقَاسِمِ عليه السلام.

ما معنى (ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ)؟! معناها: فَقَدْتَنِي، هَلْ يَقْصِدُ النَّبِيُّ عليه السلام الْفَقْدَ؟! وَكَذَا عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

حَدَّثَهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغَمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ»، وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهِذَا قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْ قَبْلَهُ إِذَا تَابَ وَنَدِمَ، وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غُفِرَ لَهُ. رواه البخاري.

هل رَغِمَ المراد به الرُّغَام حقيقة ؟ !

كل هذا كنايةات؛ لأن اللغة العربية لغةٌ واسعة، وهذا هو الذي يعتبر من سماتها وهو: سعتها، فإنه قد يراد ظاهر اللفظ وقد يراد غير اللفظ.



الْمَجَازُ الْمُرْسَلُ

تعريف الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ:

هُوَ اسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ فِي الْأَصْلِ؛ لِعِلَاقَةٍ بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ - الْحَقِيقِيِّ وَالْمَجَازِيِّ - مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ مِنْ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ.

شرح تعريف المجاز:

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: (فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ): أَيِ الْمَعْنَى الْوَضْعِيِّ لِلْفَظِ، وَيُسَمَّى الْحَقِيقِيَّ أَوِ الْأَصْلِي الَّذِي ذَكَرْتُهُ مَعَاجِزُ اللَّغَةِ، كَوَضْعِ كَلِمَةِ الْأَسَدِ لِلْحَيَوَانِ الْمَعْرُوفِ الْمُفْتَرَسِ، وَكَذَلِكَ الْقَمَرُ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: (لِعِلَاقَةٍ): الْعِلَاقَةُ هِيَ الشَّيْءُ الَّذِي يَرْبِطُ بَيْنَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيِّ لِلْفَظِ، وَالْمَعْنَى الْمَجَازِيِّ، كَالشَّجَاعَةِ فِي قَوْلِكَ: (رَأَيْتُ أَسَدًا يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ) فَالْأَسَدُ هُنَا لَا يُقْصَدُ بِهِ الْحَيَوَانُ؛ وَإِنَّمَا يُقْصَدُ بِهِ الرَّجُلُ الشُّجَاعُ، إِذَا فَقَدْ انْتَقَلَ مِنْ مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيِّ إِلَى الْمَعْنَى الْمَجَازِيِّ، وَالْعِلَاقَةُ هِيَ الشَّجَاعَةُ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: (الْقَرِينَةُ): هِيَ الَّتِي تَمْنَعُ الدَّهْنَ مِنْ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَى الْمَعْنَى الْوَضْعِيِّ الْأَصْلِيِّ لِلْفَظِ، مِثْلَ قَوْلِكَ: (يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ) فِي قَوْلِكَ: (رَأَيْتُ أَسَدًا يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ)؛ لِأَنَّ الْأَسَدَ لَا يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ، فَعُلِمَ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْفَظِ مَجَازُهُ لَا حَقِيقَتُهُ؛ لِأَنَّ الْأَسَدَ لَا يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ.

ومثل قولك: (قَامَتِ الْمَدْرَسَةُ بِرَحْلَةٍ). فنجد أن لهذا المثال معنيين:

١ - الْمَعْنَى الْأَصْلِي: وَهُوَ أَنَّ تَقُومَ الْمَدْرَسَةُ بِأَبْوَابِهَا وَفُصُولِهَا وَمَقَاعِدِهَا وَجَرَسَهَا بِرَحْلَةٍ، وَهَذَا مُسْتَبْعَدٌ.

٢ - الْمَعْنَى الْمَجَازِي: وَهُوَ أَنَّ يَقُومَ بَعْضُ طُلَّابِ الْمَدْرَسَةِ مَعَ بَعْضِ الْمُدَرِّسِينَ، وَذَلِكَ هُوَ الْمَعْنَى الْمَقْصُودُ.

علاقات المجاز المرسل:

لِلْمَجَازِ الْمُرْسَلِ عَلاَقَاتٌ كَثِيرَةٌ، تَتَّبَعُ مِنْ ذَوْقِ الْأَدِيبِ وَأَسَالِيهِ.

وقد أحصى منها علماء البلاغة أكثر من عشرين علاقة، منها: «السببية - المُسَبِّبَةُ - إطلاق الكل على البعض - إطلاق البعض على الكل - إطلاق اللازم وإرادة الملزوم - إطلاق الملزوم وإرادة اللازم - إطلاق المطلق وإرادة المقيد - إطلاق المقيد وإرادة المطلق - إطلاق الخاص وإرادة العام - إطلاق العام وإرادة الخاص - إقامة المضاف إليه مقام المضاف - إقامة المضاف مقام المضاف إليه - علاقة الجوار - اعتبار ما كان عليه الشيء - اعتبار ما يؤول إليه الشيء - علاقة الآلية - علاقة البدلية والعوض - إطلاق المعرف باللام وإرادة واحد منكر - إطلاق النكرة في الإثبات وإرادة العموم - علاقة التضاد» إلى غير ذلك من علاقات. وأشهر هذه العلاقات:

١ - الكلية:

هِيَ أَنْ يُذَكَّرَ الْكُلُّ، وَيُرَادَ الْجُزْءُ، مِثْلَ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝﴾ [نوح: ٧].

أي: يَجْعَلُونَ بَعْضَ أَصَابِعِهِمْ، وَهِيَ رُءُوسُهَا (الأنامل)، وَهَذَا مِنْ إِطْلَاقِ الْكُلِّ وَإِرَادَةِ بَعْضِهِ، وَفَائِدَةُ هَذَا الْمَجَازِ الْإِشْعَارُ بِمَا فِي نَفْسِهِمْ مِنَ الرِّغْبَةِ بِإِدْخَالِ كُلِّ أَصَابِعِهِمْ فِي آذَانِهِمْ حَتَّى لَا يَصِلَ إِلَيْهَا الصَّوْتُ الشَّدِيدُ الْمُؤْمِتُ الَّذِي تُحْدِثُهُ الصَّوَاعِقُ. فَقَدْ ذَكَرَتِ الْآيَةُ الْأَصَابِعَ وَأَرَادَتْ جُزْءًا مِنْهَا، وَهُوَ طَرَفُ الْأَصَابِعِ، أَيْ: رُءُوسِ الْأَنْمَالِ.

وَأَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَلًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

فَكَلِمَةُ ﴿أَيْدِيَهُمَا﴾ مجازٌ مُرْسَلٌ، حَيْثُ ذَكَرَ الْكُلَّ، وَأَرَادَ الْجُزْءَ؛ فَلَيْسَ الْمَقْصُودُ الْيَدَ كُلَّهَا.

وَمِثْلُ: (شَرِبْتُ مَاءَ النَّيْلِ) فَهَذَا مجازٌ مُرْسَلٌ عَلاَقَتُهُ الْكُلِّيَّةُ؛ حَيْثُ ذَكَرَ الْكُلَّ، وَهُوَ (مَاءُ النَّيْلِ) كُلُّهُ، وَأَرَادَ الْجُزْءَ، أَيْ: بَعْضَ الْمَاءِ، فَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يَشْرَبَ إِنْسَانٌ مَاءَ النَّيْلِ كُلَّهُ.

وَمِثْلُ: (سَكَنْتُ مِصْرَ) فَهَذَا مجازٌ مُرْسَلٌ عَلاَقَتُهُ الْكُلِّيَّةُ؛ حَيْثُ ذَكَرَ الْكُلَّ، وَهُوَ (مِصْرٌ) كُلُّهَا، وَأَرَادَ الْجُزْءَ، أَيْ: بَعْضَ مِصْرٍ أَوْ بَيْتًا فِي مِصْرٍ، فَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يَسْكُنَ إِنْسَانٌ مِصْرَ كُلِّهَا.

وَمِثْلُ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه - فِي صِفَةِ الْوُضُوءِ - قَالَ: ثُمَّ مَسَحَ عليه السلام بِرَأْسِهِ، وَأَدْخَلَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّاحَتَيْنِ فِي أُذُنَيْهِ، وَمَسَحَ بِإِبْهَامَيْهِ ظَاهِرَ أُذُنَيْهِ. أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ خُرَيْمَةَ.

فَهَذَا مجازٌ مُرْسَلٌ عَلاَقَتُهُ الْكُلِّيَّةُ؛ حَيْثُ ذَكَرَ الْكُلَّ، وَهُوَ (إِصْبَعَيْهِ) كَامِلَتَيْنِ، وَأَرَادَ الْجُزْءَ، أَيْ: جُزْءَ مِنْ كُلِّ مِنْهُمَا، فَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يُدْخَلَ إِنْسَانٌ إِصْبَعَيْنِ كِلَيْهِمَا كَامِلَتَيْنِ.

٢ - الْجُزْئِيَّةُ:

هِيَ أَنْ يُذَكَرَ الْجُزْءُ، وَيُرَادَ الْكُلُّ، مِثْلُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَفْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ - إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢].

أطلق الله - سبحانه وتعالى - لَفْظَ (رَقَبَةً)، وقَصَدَ بها: المَمْلُوكَ مِنْ بابِ إطلاقِ الجُزْءِ، وإِرَادَةَ الكُلِّ. فكَلِمَةُ (رَقَبَةً) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقَتُهُ الجُزْئِيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الجُزْءَ وهو (رَقَبَةً)، وأَرَادَ الكُلَّ، وهو العَبْدُ.

وَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

أطلق الله - سبحانه وتعالى - لَفْظَ ﴿ كَلِمَةً ﴾ وقَصَدَ بها كلامًا كثيرًا، وَهَذَا مِنْ بابِ إطلاقِ الجُزْءِ، وإِرَادَةَ الكُلِّ. فكَلِمَةُ ﴿ كَلِمَةً ﴾ مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقَتُهُ الجُزْئِيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الجُزْءَ، وهو ﴿ كَلِمَةً ﴾، وأَرَادَ الكُلَّ، وهو الكَلِمَاتُ.

وكذلك قول الشاعر:

أَعْلَمُهُ الرِّمَایَةَ كُلَّ یَوْمٍ فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
وَكَمْ عَلِمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةَ هَجَانِي

ذَكَرَ الشاعر لَفْظَ (قَافِيَةً)، وقَصَدَ به: قَصِيدَةً، وَهَذَا مِنْ بابِ إطلاقِ الجُزْءِ، وإِرَادَةَ الكُلِّ. فكَلِمَةُ (قَافِيَةً) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقَتُهُ الجُزْئِيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الجُزْءَ، وهو (قَافِيَةً)، أَيْ: الحَرْفَ الأَخِيرَ مِنْ كُلِّ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ، لَكِنَّهُ أَرَادَ الكُلَّ، وَهِيَ الْقَصِيدَةُ.

ومثل: (أَلْقَى الإِمَامُ كَلِمَةً نَالَتْ إعْجَابَ الجَمِيعِ).

ذَكَرَ لَفْظَ (كَلِمَةً)، وقَصَدَ به: خُطْبَةً، وَهَذَا مِنْ بابِ إطلاقِ الجُزْءِ، وإِرَادَةَ الكُلِّ. فكَلِمَةُ (كَلِمَةً) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقَتُهُ الجُزْئِيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الجُزْءَ، وهو (كَلِمَةً)، لَكِنَّهُ أَرَادَ الكُلَّ، وَهِيَ الخُطْبَةُ.

ومثل: (نَشَرَ العَدُوُّ عُيُونًا فِي البِلَادِ).

ذَكَرَ لَفْظَ (عِيُونًا)، وَقَصَدَ بِهِ: جَوَاسِيسَ، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ الْجُزْءِ، وَإِرَادَةِ الْكُلِّ. فَكَلِمَةُ (عِيُونًا) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، عِلَاقَتُهُ الْجُزْئِيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْجُزْءَ، وَهُوَ (عِيُونًا)، لَكِنَّهُ أَرَادَ الْكُلَّ، وَهُوَ الْجَوَاسِيسُ؛ لِأَنَّ كُلَّ عَيْنٍ جُزْءٌ مِنْ جَاسُوسِهَا.

٣ - الْمَحَلِّيَّةُ:

وَهِيَ أَنْ يَذْكَرَ الْمَحَلَّ، وَيُرَادُ مَنْ بِهِ. أَوْ هِيَ أَنْ يَذْكَرَ الْمَكَانَ، وَيُرَادُ مَنْ فِيهِ، مِثْلُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [يوسف: ٨٢].

أَطْلَقَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَفْظَ ﴿ الْقَرْيَةَ ﴾ ، وَلَمْ يَقْصِدْهَا بِنَفْسِهَا، وَإِنَّمَا قَصَدَ مَنْ فِيهَا، وَهُمْ أَهْلُ الْقَرْيَةِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ الْمَحَلِّ، أَيْ (الْمَكَانِ)، وَإِرَادَةِ مَنْ بِهِ. فَكَلِمَةُ ﴿ الْقَرْيَةَ ﴾ مَجَازٌ مُرْسَلٌ، عِلَاقَتُهُ الْمَحَلِّيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْمَكَانَ، وَهُوَ ﴿ الْقَرْيَةَ ﴾ ، وَأَرَادَ مَنْ بِهِ، وَهُمْ أَهْلُ الْقَرْيَةِ.

ومثل: (حَكَمَتِ الْمَحْكَمَةَ بِقَطْعِ يَدِ السَّارِقِ).

أَطْلَقَ لَفْظَ (الْمَحْكَمَةَ)، وَلَمْ يَقْصِدْهَا بِنَفْسِهَا، وَإِنَّمَا قَصَدَ مَنْ فِيهَا، وَهُوَ قَاضِي الْمَحْكَمَةِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ الْمَحَلِّ، أَيْ (الْمَكَانِ)، وَإِرَادَةِ مَنْ بِهِ. فَكَلِمَةُ (الْمَحْكَمَةَ) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، عِلَاقَتُهُ الْمَحَلِّيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْمَكَانَ، وَهُوَ (الْمَحْكَمَةَ)، وَأَرَادَ مَنْ بِهِ، وَهُوَ قَاضِي الْمَحْكَمَةِ.

ومثل قول الله: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، أَيْ: أَلَسْتَهُمْ .

أَطْلَقَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَفْظَ ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ وَلَمْ يَقْصِدْهَا بِنَفْسِهَا، وَإِنَّمَا قَصَدَ مَنْ فِيهَا، وَهِيَ: أَلَسْتَهُمْ، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ الْمَحَلِّ، أَيْ (الْمَكَانِ)،

وإِرَادَة مَا بِهِ. فِكَلِمَة ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ مَجَازٌ مُرْسَلٌ، عِلَاقَتُهُ الْمَحَلِّيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْمَكَانَ، وَهُوَ ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ وَأَرَادَ مَا بِهِ، وَهِيَ أَلْسِنَتُهُمْ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ لَا يَكُونُ عَادَةً إِلَّا بِهَا.

ومثل قول الله: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح: ١].

أَطْلَقَ اللهُ - سبحانه وتعالى - لَفْظَ ﴿ صَدْرَكَ ﴾ وَلَمْ يَقْصِدْهُ بِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا قَصَدَ مَا فِيهِ، وَهُوَ: الْقَلْبُ، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ الْمَحَلِّ، أَيْ (الْمَكَانَ)، وَإِرَادَة مَا بِهِ. فِكَلِمَة ﴿ صَدْرَكَ ﴾ مَجَازٌ مُرْسَلٌ، عِلَاقَتُهُ الْمَحَلِّيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْمَكَانَ، وَهُوَ ﴿ صَدْرَكَ ﴾، وَأَرَادَ مَا بِهِ، وَهُوَ الْقَلْبُ.

ومثل: (أَعْلَنَ الْمَجْلِسُ رَفَعَ رَايَةَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).

حَيْثُ ذَكَرَ لَفْظَ (الْمَجْلِسِ)، وَلَمْ يَقْصِدْهُ بِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا قَصَدَ مَنْ فِيهِ، وَهُمْ: أَهْلُ الْمَجْلِسِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ الْمَحَلِّ، أَيْ (الْمَجْلِسِ)، وَإِرَادَة مَنْ بِهِ. فِكَلِمَة (الْمَجْلِسِ) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، عِلَاقَتُهُ الْمَحَلِّيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْمَكَانَ، وَهُوَ (الْمَجْلِسِ)، وَأَرَادَ مَنْ بِهِ، وَهُمْ أَهْلُ الْمَجْلِسِ.

٤ - الحالية:

يكون الْمَجَازُ الْمُرْسَلُ عِلَاقَتُهُ الْحَالِيَّةُ، عِنْدَمَا تَذْكُرُ مَنْ بِالْمَكَانِ، أَوْ مَا فِي الْمَكَانِ وَلَا تُرِيدُهُ، لَكِنْ تُرِيدُ الْمَكَانَ نَفْسَهُ، مثل: (نَزَلْتُ بِالْقَوْمِ فَأَكْرَمُونِي).

فَ (نَزَلْتُ بِالْقَوْمِ)، مَجَازٌ مُرْسَلٌ عِلَاقَتُهُ الْحَالِيَّةُ، أَيْ: نَزَلْتُ بِدَارِ أَوْ مَكَانِ الْقَوْمِ؛ حَيْثُ عَبَّرَ عَنِ الْمَكَانِ بِالْمَوْجُودِينَ، وَهِيَ عَكْسُ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ الَّتِي عِلَاقَتُهُ الْمَحَلِّيَّةُ، وَهُوَ كَمَا قُلْنَا: أَنْ يَذْكُرَ الْمَحَلَّ، وَيُرَادُ مَنْ بِهِ. أَوْ هِيَ أَنْ يَذْكُرَ الْمَكَانَ، وَيُرَادُ مَنْ فِيهِ.

ومثل: (جَلَسْتُ عَلَى الْقَهْوَةِ). أَيْ: فِي الْمَكَانِ الَّذِي تُشْرَبُ فِيهِ الْقَهْوَةُ، لِذَا

فَهُوَ مَجَازٌ مُرْسَلٌ عِلَاقَتُهُ الْحَالِيَةُ. حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ الْمُحَدِّثُونَ الْقَهْوَةَ لِلْمَكَانِ
الَّذِي تُشْرَبُ فِيهِ.

ومثل قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْتَيَّضَتْ وَجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

قوله: ﴿فِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي في جنته، التي هي محل الرحمة، لذا فهو مجازٌ مُرْسَلٌ
عِلَاقَتُهُ الْحَالِيَةُ؛ حَيْثُ ذَكَرَ الرَّحْمَةَ، وَأَرَادَ مَكَانَهَا، وَهِيَ الْجَنَّةُ.

ومثل: (ذَهَبَ الظَّالِمُ إِلَى مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ).

ف (إِلَى مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ)، مَجَازٌ مُرْسَلٌ عِلَاقَتُهُ الْحَالِيَةُ، أَيْ: ذَهَبَ الظَّالِمُ إِلَى مَكَانٍ
مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ «الْقَبْرِ»؛ حَيْثُ عَبَّرَ عَنِ الْمَكَانِ بِالْمَوْجُودِينَ.

ه - الْمُجَاوَرَةُ:

وهي أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ مُجَاوِرًا لِغَيْرِهِ فَيُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُهُ.

مِثْلُ: (طَعَنْتُ بِالرُّمَحِ ثِيَابَهُ)، أي: جِسْمَهُ، حَيْثُ ذَكَرَ لَفْظَ (ثِيَابَهُ)، وَلَمْ يَقْصِدْهُ
بِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا قَصَدَ مَا يُجَاوِرُهُ، وَهُوَ: الْجِسْمُ، وَهَذَا مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ الشَّيْءِ عَلَى مَا
يُجَاوِرُهُ، أَيْ (الْجِسْمَ).

ومثل قول الله: ﴿يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيُمُ﴾ [الطور: ٢٣].

قوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي يَتَجَادَبُونَ فِي الْجَنَّةِ هُمْ وَجُلَسَاؤُهُمْ
تَجَادُبَ مَلَاعِبَةٍ، لِشِدَّةِ سُرُورِهِمْ، التَّنَازُعُ مَجَازٌ عَنِ التَّعَاطِي، وَالْكَأْسُ مُؤَنَّثٌ
سَمَاعِيٌّ كَالْخَمْرِ، وَلَا تُسَمَّى كَأْسًا عَلَى الْمَشْهُورِ إِلَّا إِذَا امْتَلَأَتْ خَمْرًا، وَقَدْ تُطْلَقُ
عَلَى الْخَمْرِ نَفْسَهَا مَجَازًا لِعِلَاقَةِ الْمُجَاوَرَةِ.

وَمِثْلُ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا
وُضِعَتِ الْجِنَازَةُ فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قَالَتْ: قَدُّمُونِي

قَدُّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا، يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ» رواه البخارى.

«الرَّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ»: أي عَلَى أَكْهَالِهِمُ الْمُقَارَبَةِ لِأَعْنَاقِهِمْ، ففیه مجازُ مُرْسَلٍ عَلاقَتُهُ الْمُجَاوَرَةُ.

٦ - السببية:

وَهِيَ أَنْ يُذْكَرَ السَّبَبُ، وَيُرَادُ الْمُسَبَّبُ. أَوْ أَنْ تُعْبَّرَ بِذِكْرِ السَّبَبِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى النَّيْجَةِ، مثل قولك: (هَذَا الظَّالِمُ لَهُ يَدٌ فِي هَذَا الْفَسَادِ) فكلمة (يَدٌ) مجازُ مُرْسَلٍ، عَلاقَتُهُ السَّبَبِيَّةُ، وَالْمُرَادُ: هَذَا الظَّالِمُ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي هَذَا الْفَسَادِ؛ لِأَنَّ التَّأْثِيرَ يَصْدُرُ عَنِ الْيَدِ.

ومثل: (لِلْأَبِ عَلَى أَبْنَائِهِ أَيَادٍ كَثِيرَةٌ) فكلمة (أَيَادٍ) مجازُ مُرْسَلٍ، عَلاقَتُهُ السَّبَبِيَّةُ، وَالْمُرَادُ بـ(أَيَادٍ) هِيَ النِّعَمُ؛ لِأَنَّ النِّعْمَةَ تَصْدُرُ عَنِ الْيَدِ، فَالْيَدُ هِيَ سَبَبُ النِّعْمَةِ.

ومثل: (رَعَتْ إِبِلِي الْمَطَرَ)، أَي: الْكَلَاءُ وَالْحَشَائِشُ وَالنَّبَاتُ.

فَالْمَطَرُ مجازُ مُرْسَلٍ عَلاقَتُهُ السَّبَبِيَّةُ؛ لِأَنَّهُ سَبَبُ الْكَلَاءِ وَالْحَشَائِشِ وَالنَّبَاتِ...، فَكُلُّ هَذَا نَاتِجٌ عَنِ الْمَطَرِ بِإِذْنِ اللَّهِ.

ومثل قول الله: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤].

عَبَّرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنِ الْقَتْلِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ وَالسَّرُّ فِي ذَلِكَ أَنَّ فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ مِنَ الْغِلْظَةِ وَالشَّدَّةِ مَا لَيْسَ فِي لَفْظِ (الْقَتْلِ) لِمَا فِيهِ مِنْ تَصْوِيرِ الْقَتْلِ بِأَبْشَعِ صُورَةٍ، وَهُوَ حَزُّ الْعُنُقِ وَقَطْعُ الْعُضْوِ الَّذِي هُوَ رَأْسُ الْبَدَنِ، وَجَمْعُ حَوَاسِهِ، وَلَوْ قَالَ: (فَاقْتُلُوهُمْ) لَمَا كَانَ هَذَا الْمَعْنَى الدَّقِيقَ.

وَالْتَعْبِيرُ أَيْضًا: يُوحِي بِشُجَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ كَأَنَّهُمْ مُتَمَكِّنُونَ

مِنْ رِقَابِهِمْ، يُعْمِلُونَ فِيهِمْ سُيُوفَهُمْ بِضَرْبِ الْأَعْنَاقِ، وَهُوَ (مَجَازٌ مُرْسَلٌ) عِلَاقَتُهُ السَّبَبِيَّةُ؛ لِأَنَّ ضَرْبَ الرَّقَبَةِ سَبَبُ الْمَوْتِ.

٧ - الْمُسَبَّبِيَّةُ:

وَهِيَ أَنْ يَذْكَرَ الْمُسَبَّبُ، وَيُرِيدُ السَّبَبُ، مِثْلُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣].

عَبَّرَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - بِالرِّزْقِ عَنِ الْمَطَرِ؛ لِأَنَّ الرِّزْقَ مُسَبَّبٌ عَنِ الْمَطَرِ، وَالْمَطَرُ هُوَ السَّبَبُ. فَقَوْلُهُ ﴿رِزْقًا﴾ مَجَازٌ مُرْسَلٌ عِلَاقَتُهُ الْمُسَبَّبِيَّةُ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْمُسَبَّبَ، وَأَرَادَ السَّبَبَ.

ومِثْلُ: (أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ نَبَاتًا)، أَيْ: أَمْطَرَتْ مَطَرًا سَبَبَ نُمُو النَّبَاتِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ السَّمَاءَ لَا تُمْطِرُ نَبَاتًا، لَكِنْ تُمْطِرُ مَاءً يُسَبِّبُ نُمُو النَّبَاتِ؛ وَذَكَرَ هُنَا الْمُسَبَّبَ، وَأَرَادَ السَّبَبَ؛ لِذَا فَهُوَ مَجَازٌ مُرْسَلٌ عِلَاقَتُهُ الْمُسَبَّبِيَّةُ.

ومِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿يَبْنِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكُمُ وَرِدْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦].

فَمَعْلُومٌ أَنَّ السَّمَاءَ لَا يَنْزِلُ مِنْهَا (اللباسُ) مُبَاشَرَةً، لَكِنْ يَنْزِلُ الْمَاءُ الَّذِي يُسَبِّبُ الْمَلَابِسَ، فَهُوَ مَجَازٌ مُرْسَلٌ عِلَاقَتُهُ الْمُسَبَّبِيَّةُ.

٨ - اعتبار ما كان:

وذلك حينما يُذْكَرُ الْمَاضِي فِي الْحَاضِرِ. أَوِ النَّظَرُ إِلَى الشَّيْءِ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ فِي الْمَاضِي، مِثْلُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَأَتَوْا آلَيْتَمَى أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٢]، أَيْ: أَتَوْا الْبَالِغِينَ أَمْوَالَهُمْ، وَنَجِدُ أَنَّ السَّيِّمَ فِي اللُّغَةِ هُوَ الصَّغِيرُ الَّذِي مَاتَ أَبُوهُ، فَهَلْ تَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ - سبحانه - يَأْمُرُ بِإِعْطَاءِ الْيَتَامَى الصَّغَارِ أَمْوَالِ آبَائِهِمْ؟

هذا غيرُ معقولٍ، بَلِ الْوَاقِعُ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِإِعْطَاءِ الْأَمْوَالِ مَنْ وَصَلُوا سِنَّ

الرُّشْدُ بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَتَامَى، فِكَلِمَةِ الْيَتَامَى هُنَا مَجَازٌ؛ لِأَنَّهَا اسْتُعْمِلَتْ فِي الرَّاشِدِينَ وَالْعِلَاقَةُ اعْتِبَارُ مَا كَانَ.

فليس المُرَادُ باليتامى المَعْنَى الْحَقِيقِي، أَيِ الْفَطْلِ الَّذِي مَاتَ أَبُوهُ؛ إِذْ لَا يَأْمُرُنَا اللّٰهُ بِدَفْعِ الْمَالِ إِلَيْهِمْ، وَتَمْكِينِهِمْ مِنْهَا لِلتَّصَرُّفِ فِيهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الْبُلُوغِ، حَتَّى يُحْسِنَ التَّصَرُّفَ فِيمَا يَدْفَعُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمْوَالِ آبَائِهِمْ. وَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ لَا يُعْطَى مَالُهُ، كَمَا قَالَ اللّٰهُ: ﴿وَابْتَلُوا الَّتِي تَمَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النِّسَاءُ: ٦].

مَا الْحِكْمَةُ مِنْ أَنَّ اللّٰهَ سَبَّحَانَهُ يَعْبُرُ بِالْيَتِيمِ عَنِ الْبَالِغِ ؟

الْحِكْمَةُ: هَذَا مِنْ أَجْلِ اسْتِعْطَافِ الْأَوْلِيَاءِ وَاسْتِرْحَامِهِمْ، حَتَّى يُؤَدُّوا الْأَمْوَالَ إِلَى أَهْلِهَا، فَكَأَنَّهُ قَالَ: اذْكُرُوا يَتِيمَهُمْ وَأَعْطُوهُمْ أَمْوَالَهُمْ.

وَمِثْلُ قَوْلِنَا: (أَشْرَحُ لِأَطْفَالٍ فِي الْجَامِعَةِ) فِكَلِمَةِ (أَطْفَالٍ) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، عِلَاقَتُهُ اعْتِبَارُ مَا كَانَ، أَيِ: كَانُوا أَطْفَالًا فِي الْمَاضِي، فَهَذَا ذِكْرُ الْمَاضِي فِي الْحَاضِرِ.

وَمِثْلُ: (يَلْبَسُ الْمِصْرِيُّونَ الْقُطْنَ).

غَيْرَ مَعْقُولٍ أَنْ يَلْبَسَ الْمِصْرِيُّونَ الْقُطْنَ بِصُورَتِهِ الْأُولَى، أَيِ: الْمَادَةِ الْخَامِ؛ بَلِ الْوَاقِعُ أَنْ يَلْبَسَ الْمِصْرِيُّونَ الْقُطْنَ بَعْدَ تَنْظِيفِهِ وَتَصْنِيعِهِ وَنَسْجِهِ، لِذَا فَهَذَا مَجَازٌ مُرْسَلٌ، عِلَاقَتُهُ اعْتِبَارُ مَا كَانَ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْمَاضِي فِي الْحَاضِرِ.

٩ - اعْتِبَارُ مَا سَيَكُونُ:

وَذَلِكَ حِينَمَا يُذَكَّرُ الْمُسْتَقْبَلُ فِي الْحَاضِرِ، أَوْ عِنْدَمَا تَتَكَلَّمُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ فِي الْوَقْتِ الْحَالِي، مِثْلُ قَوْلِ الْأُمِّ لِرَضِيعِهَا: (أَرْضِعْ عَالِمًا).

غَيْرُ مَعْقُولٍ أَنْ تُرَضِعَ الْأُمُّ عَالِمًا؛ بَلِ الْوَاقِعُ أَنْ تُرَضِعَ الْأُمُّ طِفْلًا رَضِيعًا، لِذَا

فهذا مجازٌ مرسلٌ، علاقته اعتبار ما سيكون؛ لأنه ذكر المستقبل في الزمن الحاضر، أي سيكون عالمًا.

ومثل قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٧].

فقوله: ﴿ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ مجازٌ مرسلٌ علاقته اعتبار ما سيكون، حيث ذكر نوح عليه السلام أن أولاد الكفار كفرة فجرة لحظة الميلاد، والطفل لا يوصف بالكفر؛ لأن كل مولود يولد على الفطرة، أي الإسلام. فالمولود حين يولد لا يكون فاجرًا ولا كفارًا، ولكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة، فأطلق المولود الفاجر، وأريد به الرجل الفاجر، ولكن الآية أرادت ما سيكون عليه نسل الكفار.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ نَصْرَانِهِ أَوْ مَجَسَّانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْجِ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَذَعًا» رواه البخاري.

وكذا قولك: (غَرَسْتُ قُطْنًا فِي الْأَرْضِ).

ففي قوله: (قُطْنًا) مجازٌ مرسلٌ علاقته اعتبار ما سيكون، حيث ذكر القُطْن، وليس من المعقول أن يُغرس القُطْن، لكن تُغرس بذوره.

ومثل: (شَرِبْتُ فَرَاوِلَةً).

ففي قوله: (فَرَاوِلَةً) مجازٌ مرسلٌ علاقته اعتبار ما سيكون، حيث ذكر (الفراولة)، وهي تأكل ولا تُشرب مباشرة، فليس من المعقول أن تُشرب قبل عصرها.

ومثل: (شَرِبْتُ قَصَبًا)، ففي قوله: (قَصَبًا) مجازٌ مرسلٌ علاقته اعتبار ما سيكون، حيث ذكر (القصب)، وهو يأكل ولا يُشرب مباشرة، فليس من المعقول أن يُشرب قبل عصره.

ومثل: (لَيْسَتْ قُطْنًا)، ففي قوله: (قُطْنًا) مجازٌ مُرْسَلٌ، علاقتهُ اعتيَارُ مَا سَيَكُونُ، حَيْثُ ذَكَرَ (القُطْنُ)، وَهُوَ لَا يُلْبَسُ مُبَاشَرَةً، فَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يُلْبَسَ قَبْلَ تَنْظِيفِهِ وَحَلْجِهِ وَصُنْعِهِ.

١٠ - الضدية:

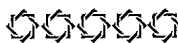
فقد يُطْلَقَ اللَّفْظُ للدلالة به على ضدّ معناه، ومن الأغراض الداعية لهذا الإِطلاق الاستهزاء والسخرية والتهكم، مثل: أن يقول السلطان لِجُنُودِهِ: (خُذُوا هَذَا اللَّصَّ فَأَكْرِموهُ فِي السَّجْنِ) أي: فَاضْرِبُوهُ وَعَذِّبُوهُ. فهذا من استعمال الضدّ للدلالة به على ضده.

ومثل قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ عِزِّهِ هَٰذَا لَئِيْلٌ مَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [آل عمران: ٢١].

حيث ذكرت الآية البشارة بالعذاب، والبشارة لا تكون إلا في الأخبار السارة، وَلَعَلَّ الْغَرَضَ من ذلك هو إِيْلَامُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الْمُعَانِدِينَ، وَالْقَاءِ الْحَيْرَةِ فِي قُلُوبِهِمْ، فَعَبَّرَتْ فِي الْبِدَايَةِ بِالْبِشَارَةِ، مِمَّا جَعَلَهُمْ يَتَشَوَّقُونَ إِلَى مَعْرِفَةِ خَبَرِ سَارٍّ، ثُمَّ أَخْلَفَ ظُنُونَهُمْ، وَأَلْقَتْ عَلَيْهِمْ خَبَرًا لَا سُرُورَ فِيهِ، وَإِنَّمَا كُلُّهُ حَسْرَةٌ وَنَدَمٌ.

فقد خلفت الآية ما أَرَادَتْهُ عَلَى مَرَّتَيْنِ لَا مَرَّةً وَاحِدَةً، زِيَادَةً فِي الْإِيْلَامِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالسَّخَرِيَّةِ.

وتلك أشهر علاقات الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ، وقد ذكر علماء البلاغة عدة علاقات أخرى، ولكن بالنظر في هذه العلاقات وَجَدْنَا أَنَّهَا دَاخِلَةٌ فِي بَعْضِ الْعِلَاقَاتِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ مِمَّا دَعَانَا إِلَى عَدَمِ التَّعَرُّضِ لَذِكْرِهَا.



فَوَائِدُ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ

إذا تأملت أنواع المَجَازِ المُرْسَلِ رأيت أنها في الغالب تؤدي المعنى المَقْصُودَ بِإِيجَازٍ، فإذا قلت: «هَزَمَ الْقَائِدُ الْجَيْشَ» أو «قَرَّرَ الْمَجْلِسُ كَذَا» كان ذلك أَوْجَزَ من أن تقول: «هَزَمَ جُنُودُ الْقَائِدِ الْجَيْشَ»، أو «قَرَّرَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ كَذَا»، ولا شك أن الإيجازَ ضَرْبٌ من ضُرُوبِ البلاغة.

وهناك مظهر آخر للبلاغة في هذا المَجَازِ هو المَهَارَةُ في تَخْيِيرِ العلاقة بين الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّ وَالْمَعْنَى الْمَجَازِيَّ، بحيث يكون المَجَازُ مُصَوِّرًا للمعنى المَقْصُودَ خَيْرَ تَصْوِيرٍ كما في إطلاق العين على الجاسوس، والأذن على سريع التأثير بالوشاية.

وإذا دقت النظر رأيت أن أَغْلَبَ ضُرُوبِ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ لَا تَحُلُو من مبالغة بديعة ذات أثر في جعل المَجَازِ رَائِعًا خَلَابًا، فإطلاق الكل على الجزء مبالغة ومثله إطلاق الجزء وإرادة الكل، كما إذا قلت: «فلان فم» تريد أنه شرٌّ يلتقم كل شيء.

للمجاز المرسل فوائد بلاغية:

- ١- الإيجاز والاختصار.
- ٢- الارتقاء بالمعنى لتوضيحه وتقويته.
- ٣- الإبداع الأدبي في ابتكار المعاني ومعرفة علاقاتها.



تدريبات

(١) أَخْرِجَ الْمَجَازَ الْمُرْسَلَ مِمَّا يَلِي وَبَيْنَ عِلَاقَتِهِ:

١ - دعا طارقٌ فَصَلَّهُ على الغداء.

٢ - الله ينزل من السماء الرزق.

٣ - قول الله: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح: ١].

٤ - أذاعت الوزارة نتيجة الثانوية العامة، وقد نجحت مدرستي.

٥ - للمعلمين علينا أياذ كثيرة.

٦ - اشتريت من السوق عنبًا وتفاحًا.

٧ - ينبغي أن تعطي اليتامي أموالهم كما أمر الله.

٨ - بشر الظالم بالهلاك والنهاية السوداء.

٩ - أَنْذِرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَّةِ.

١٠ - قول عنتره:

فَشَكَّكْتُ بِالرُّمَحِ الْأَصَمِّ نِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُجْرِمٍ

١١ - قول الله: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ

لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ
وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣٤].

١٢ - خرجت المدرسة في الثانية بعد الظهر.

١٣ - قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا

كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٧].

- ١٤ - أشرح لأطفال في الثانوية.
- ١٥ - نشر العدو عيونًا في البلاد.
- ١٦ - سَكَنْتُ مِصْرَ.
- ١٧ - أسأل الله أن يريح صدرك.
- ١٨ - شربت بُرْتُقَالًا.
- ١٩ - يدخل المؤمنون في رحمة الله يوم القيامة.
- ٢٠ - حَكَمَتِ الْمَحْكَمَةُ بَرَاءَةَ الْمُتَّهِمِ.
- (٢) بين كل مجاز مرسل، وعلاقته فيما يلي مع ذكر الفائدة البلاغية:
- ١ - نحن نركب البحر عند السفر.
- ٢ - قول الله: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١].
- ٣ - شَرِبْتُ مَاءَ النَّيْلِ.
- ٤ - قول الله: ﴿وَأَتَوْا آلِيَتَمَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٢].
- ٥ - كَرَّمْتَنِي بِلَادِي.
- ٦ - تُنَبِّتُ أَرْضُ مِصْرَ ذَهَبًا.
- ٧ - قَرَّرَتِ الْجَامِعَةُ فَضْلَ الطَّالِبِ فُلَانٍ.
- ٨ - زُرْتُ الضِّيُوفَ فَأَكْرَمُونِي.
- ٩ - أطلق قائد الجَيْشِ عيونه لِمَعْرِفَةِ أسرار الأعداء.
- ١٠ - أشرح لأطباء ومدرسين ومهندسين في الثانوية.

(٣) اجعل الكلمات التالية مجازاً مُرسلاً حسب العلاقة التي أمامها في جمل:

قويسنا	المحلّة
عين	الجزئية
يد	السببية
العنب	اعتبار ما سيكون

(٤) - اختر الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:

١ - (وضعت قدمي على أرض مصر) مجاز علاقته:

(الجزئية - الكلية - المحلية).

٢ - (ندعو الله أن يرحم هذه القبور) مجاز علاقته:

(الحالية - المحلية - الكلية).

٣ - (ضحكت أزهار الحديقة). صورة نوعها:

(مجاز مرسل - تشبيه - استعارة).

(٥) بين ما في الأبيات من مجاز مرسل مع ذكر العلاقات:

١ - قول جرير:

فَلَا صَلَّى إِلَّا لَهُ عَلَى نَمِيرٍ وَلَا سُقِيتُ قُبُورَهُمُ السَّحَابَا

٢ - يقول الفرزدق ردّاً على جرير:

وَلَمْ تَرِثِ الْفَوَارِسَ مِنْ نَمِيرٍ وَلَا كَغَبًا وَرِثْتَ وَلَا كِلَابَا

٣ - قول أبي تمام:

نَزَلَتْ مُقَدَّمَةُ الْمَصِيفِ حَمِيدَةً وَيَدُ الشِّتَاءِ جَدِيدَةٌ لَا تُنْكَرُ

٤ - قول ابن زيدون:

هَلْ تَذْكُرُونَ غَرِيبًا عَادَهُ شَجَنُ
يُخْفِي لَوَاعِجَهُ وَالشَّوْقُ يَفْضَحُهُ
مِنْ ذِكْرِكُمْ وَجَفَا أَجْفَانَهُ الْوَسَنُ؟
فَقَدْ تَسَاوَى لَدَيْهِ السَّرُّ وَالْعَلَنُ

٥ - قول ابن رشيق القيرواني:

كَانَتْ تُعَدُّ الْقَيْرَوَانُ بِهِمْ
إِذَا عُدَّ الْمَنَابِرُ زَهْرَةَ الْبُلْدَانِ

٦ - قول ابن سناء الملك:

أَلْفَتْ دِيَارَ الْكُفْرِ غَزَوًا فَقَدْ غَدَا
جَوَادُكَ إِذْ يَأْتِي إِلَيْهَا يُحْمَحِمُ

٧ - قول شوقي:

شَهِدَ اللَّهُ لَمْ يَنْغِبْ عَنِّي جُفُونِي
شَخْصُهُ سَاعَةً وَلَمْ يَخْلُ حِسِّي

(٦) ما الأثر البلاغي للمجاز المرسل؟



تدريبات عامة على علم البيان

(١) عين اللون البياني فيما يلي:

١- قول الشاعر:

الْعُمْرُ مِثْلُ الضَّيْفِ أَوْ كَالطَّيْفِ لَيْسَ لَهُ إِقَامَةٌ

٢- محمد كالأسد.

٣- محمد أسد في الشجاعة.

٤- تَكَلَّمَ أَسَدٌ فَوْقَ الْمِنْبَرِ.

٥- رَأَيْتُ أَسَدًا عَلَى فَرْسِهِ .

٦- قوله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

٧- قوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٨- أَبْصَرْتُ قَمَرًا يُنْظِفُ الْبَيْتَ .

٩- قوله تعالى: ﴿وَآخِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

١٠- بَكَتِ السَّمَاءُ عَلَى الشَّهِيدِ

١١- جُنُودُنَا يَقْتَرِسُونَ الْأَعْدَاءَ .

١٢- قول الشاعر:

نَسِيَ الطَّيْنُ سَاعَةً أَنَّهُ طَيِّبٌ مِنْ حَقِيرٍ فَصَالَ تَيْهًا وَعَرَبَدَ

١٣ - قول الله: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

١٤ - اصْفَرَ وَجْهُ الطَّالِبِ عِنْدَ الامْتِحَانِ.

١٥ - طارق كالثعلب.

١٦ - طارق ثعلب في المكر.

١٧ - العالم سراج.

١٨ - قول الشاعر:

فالأرضُ يا قوتةً والجوُّ لؤلؤةٌ والنبتُ فيروزٌ والماءُ بلورٌ

١٩ - قول الله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

٢٠ - عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» رواه مسلم.

٢١ - قول الله: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ [القمر: ١٣].

٢٢ - جَاءَ قَابِضٌ يَدِهِ.

٢٣ - سَارَ الْكَرْمُ خَلْفَ عَثْمَانَ.

٢٤ - الْعَدْلُ فِي رِكَابِ عُمَرَ.

٢٥ - مَشَى الْعِلْمُ خَلْفَ ابْنِ عَبَّاسٍ.

٢٦ - قول أبي الطيب المتنبي:

وَمَنْ يَهْنُ يَسْهُلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ وَمَا الْجَرْحُ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ

- ٢٧- أَنْتَ كَالرَّيحِ فِي الْعَطَاءِ وَالْإِنْفَاقِ.
- ٢٨- الْعُمُرُ مِثْلُ الضَّيْفِ لَيْسَ لَهُ إِقَامَةٌ.
- ٢٩- كَلَامُ الشَّيْخِ كَالشَّهْدِ فِي الْحَلَاوَةِ.
- ٣٠- النَّاسُ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ فِي الْإِسْتِوَاءِ.
- ٣١- أَقْوَالُ الْمُلُوكِ كَالسُّيُوفِ الْقَاضِيَةِ فِي الْقَطْعِ وَالْفَصْلِ.
- ٣٢- قَلْبُ الْكَافِرِ كَالْحِجَارَةِ قَسْوَةً وَصَلَابَةً.
- ٣٣- جَبِينُ فُلَانٍ كَصَفْحَةِ الْمِرْآةِ صَفَاءً وَتَلَأُلُوءًا.
- ٣٤- قول الله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَرَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].
- ٣٥- عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً تَكُونُ مِثْلَ الْمُسْلِمِ وَهِيَ النَّخْلَةُ» رواه البخاري.
- ٣٦- قول المعريّ يخاطب ممدوحه:
أَنْتَ كَالشَّمْسِ فِي الضَّيَاءِ وَإِنْ جَا
وَزَتْ كَيَوَانَ فِي عُلوِّ الْمَكَانِ
- ٣٧- قول آخر يخاطب ممدوحه:
أَنْتَ كَاللَّيْثِ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ
وَالسَّيْفِ فِي قِرَاعِ الْخُطُوبِ
- ٣٨- زيدٌ كَالْأَسَدِ فِي الشَّجَاعَةِ.
- ٣٩- قول الشاعر:
خُلِقْتَ طَلِيقًا كَطِيفِ النَّسِيمِ
وَحَرًّا كَنُورِ الضُّحَى فِي سَمَاءِ

- ٤٠ - خالد ثعلب في المكر.
- ٤١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيَهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ» رواه البخارى.
- ٤٢ - أَحْمَرُ وَجْهُ الْفَتَاةِ عِنْدَمَا رَأَتْ رَجُلًا.
- ٤٣ - مُحَمَّدٌ بَيْتُهُ مَفْتُوحٌ.
- ٤٤ - طَارِقٌ نَظِيفُ الْيَدِ.
- ٤٥ - قول النابغة الذبياني:
- فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبُ
- ٤٦ - الْقِنَاعَةُ كَنْزٌ لَا يَفْنَى .
- ٤٧ - قول الشاعر:
- أَحْلَامُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رِزَانَةً وَتَحَالُنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجْهَلُ
- ٤٨ - قول الله عز وجل: ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ﴿[الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].
- ٤٩ - قول الشاعر:
- تَجِدُ الْكُتُبَ عَلَى النَّقْدِ كَمَا تَجِدُ الْإِخْوَانَ صِدْقًا وَكَذَابًا
- ٥٠ - قول الأعشى:
- كَأَنَّ مَشِيَّتَهَا مِنْ بَيْتٍ جَارَتْهَا مَرَّ السَّحَابِ لَا رِيثَ وَلَا عَجَلَ

- ٥١ - المدرس يشبه البحر الفياض .
- ٥٢ - مصر أمنا ، ونحن بدونها كالغرباء .
- ٥٣ - قول الشاعر:
- ومن يهن يسهل الهوان عليه مال لجرح بميت إيلام
- ٥٤ - قال علي رضي الله عنه : «مثل الذي يعلم الناس وينسى نفسه مثل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه» .
- ٥٥ - قال صاحب كلیلة ودمنة: «الدنيا كالماء المالح كلما ازدادت منه شرباً ازدادت عطشاً» .
- ٥٦ - الكتاب خير جليس .
- ٥٧ - الكلب شبه الذئب .
- ٥٨ - هادم الأخلاق كناشر الفساد .
- ٥٩ - وجه الطائع القائم كالبدر .
- ٦٠ - طبع فريد كالنسيم رقة .
- ٦١ - يد أبي كالبحر جوداً .
- ٦٢ - كلام الشيخ كالدرّ حسناً ، وألفاظه كالعسل حلاوة .
- ٦٣ - احمرّ وجه الفتاة عندما رأت رجلاً .
- ٦٤ - محمد بيته مفتوح .
- ٦٥ - اصفرّ وجه الطالب عند الامتحان .
- ٦٦ - الوزير بطنه كبير .

٦٧- قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِبَةٌ عَلَىٰ غُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿١٢﴾ [الكهف: ٤٢].

٦٨- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ ﴿١٣﴾ [الإسراء: ٢٩].

٦٩- ضَرَبَتْهُ فِي مَوْطِنِ الْأَسْرَارِ.

٧٠- وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ.

٧١- نَحْنُ أَبْنَاءُ النَّيْلِ.

٧٢- تَتَّبَعَ الْحَيَاءُ خُطَوَاتِ مَرْيَمَ.

٧٣- الصَّدْقُ فِي لِسَانِهِ.

٧٤- الْأَدَبُ حَوْلَ الطَّالِبِ.

٧٥- مثل: الَّذِينَ يُدَافِعُونَ عَنْ أَوْطَانِهِمْ مِثْلُ الْأُرْزِ.

٧٦- مثل: سَارَ الْكَرَمُ خَلْفَ عُثْمَانَ.

٧٧- فَلَانُ يَدُهُ طَوِيلَةٌ.

٧٨- إِنَّ عَقَارِبَ السَّاعَةِ لَا تَتَحَرَّكُ.

٧٩- قول الخنساء في أخيها صخر:

طَوِيلُ السَّبَاجِ رَفِيعُ الْعِمَادِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا

٨٠- قول الله: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الطَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ﴿١٤﴾ يَنْوَلَتْنِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿١٥﴾ [الفرقان: ٢٧، ٢٨].

٨١- قول الله: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ ﴿١٦﴾ [نوح: ٧].

٨٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» رواه مسلم.

٨٣- قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

٨٤- سَكَنْتُ مِصْرَ .

٨٥- حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي صِفَةِ الْوُضُوءِ - قَالَ: ثُمَّ مَسَحَ ﷺ بِرَأْسِهِ، وَأَدْخَلَ إِصْبَعِيهِ السَّبَّاحَتَيْنِ فِي أُذُنَيْهِ، وَمَسَحَ بِإِبْهَامَيْهِ ظَاهِرَ أُذُنَيْهِ. أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ خُرَيْمَةَ.

٨٦- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

٨٧- حَكَمَتِ الْمَحْكَمَةُ بِقَطْعِ يَدِ السَّارِقِ .

٨٨- قول الشاعر:

أَعْلَمُهُ الرِّمَایَةَ كُلَّ یَوْمٍ فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي

٨٩- قول الله عز وجل: ﴿وَسَقِلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ [يوسف: ٨٢].

٩٠- قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

٩١- دعا طارقٌ فَصَلَّهُ على الغداء.

٩٢- اللَّهُ يُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ الرِّزْقَ.

٩٣- أذاعت الوزارة نتيجة الثانوية العامة، وقد نجحت مدرستي.

٩٤- للمعلمين علينا أياذٍ كثيرة.

٩٥- ينبغي أن تعطي اليتامي أموالهم كما أمر الله.

٩٦- بشر الظالم بالهلاك والنهاية السوداء.

٩٧- أَنْذِرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَنَّةِ.

٩٨- قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

٩٩- خرجت المدرسة في الثانية بعد الظهر.

١٠٠- قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِراً كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

١٠١- أشرح لأطفال في الثانوية.

١٠٢- يدخل المؤمنون في رحمة الله يوم القيامة.

١٠٣- حَكَمَتِ الْمَحْكَمَةُ بِرَأَاةِ الْمُتَّهِمِ.

١٠٤- نحن نركب البحر عند السفر.

١٠٥- قول الله: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١].

١٠٦- نشر العدو عيوناً في البلاد.

١٠٧- أسأل الله أن يريح صدرك.

- ١٠٨ - شَرِبْتُ بُرْتُقَالًا.
- ١٠٩ - شَرِبْتُ مَاءَ النَّيْلِ.
- ١١٠ - كَرَّمْتَنِي بِلَادِي.
- ١١١ - تُنِبْتُ أَرْضُ مِصْرَ ذَهَبًا.
- ١١٢ - قَرَرْتُ الْجَامِعَةَ فَضَّلَ الطَّالِبُ فُلَانًا.
- ١١٣ - زُرْتُ الضِّيُوفَ فَأَكْرَمُونِي.
- ١١٤ - أَطْلُقُ قَائِدَ الْجَيْشِ عِيُونَهُ لِمَعْرِفَةِ أَسْرَارِ الْأَعْدَاءِ.
- ١١٥ - أَشْرَحُ لِأَطْبَاءٍ وَمُدْرَسِينَ وَمُهَنْدِسِينَ فِي الثَّانَوِيَّةِ.



الباب الثالث

عِلْمُ الْبَدِيعِ : الْمُكَسِّنَاتُ الْبَدِيعِيَّةُ

الطَّبَاقُ / الْمُقَابَلَةُ / السَّجْعُ / الازْدِوَاجُ /
الْجِنَاسُ / التَّصْرِيعُ / حُسْنُ التَّقْسِيمِ / الْإِسْتِفَاتُ /
الْمَدْحُ بِمَا يُشَبِّهُ الذَّمَّ وَعَكْسُهُ / التَّوْرِيَةُ /
بِرَاعَةِ الاسْتِهْلَالِ / الْاِقْتِبَاسُ

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مَدْخَلُ لِعِلْمِ الْبَدِيعِ

البديع في اللغة:

كلمة (بديع) على وزن (فعليل) تأتي لغةً بمعنى اسم الفاعل، وبمعنى اسم المفعول، يُقَالُ لغةً: بَدَعَ فلانُ الشيءَ يَدْعُهُ بَدْعًا إذا أنشأه على غيرِ مثالٍ سبق، فالفاعل للشيء بَدِيع، والشيء المفعول بديع أيضًا.

ويقال أيضًا: أَبْدَعَ، أي: أتى بها هو مُبتكر جديد بديع على غير مثال سبق، فهو مُبْدِع والشيء مُبْدَعٌ.

ومنه قول الله: ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنَّا تَبِيعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَىٰ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأحقاف: ٩].

ومنه البديعُ اسم من أسماء الله تعالى بمعنى المُبْدِع، أي: المُوجِدُ للأشياء بلا مثالٍ تَقَدَّمَ.

علم البديع فى الاصطلاح:

هو العِلْمُ الذي تُعْرِفُ به المُحَسِّنَاتُ الجَمَالِيَّةُ اللفظِيَّةُ، الَّتِي لَمْ تُلْحَقْ بِعِلْمِ الْمَعَانِي، وَلَا بِعِلْمِ الْبَيَانَ. أو هو ما يُعْرِفُ بِالْمُحَسِّنَاتِ الْبَدِيعِيَّةِ، أو اللفظية.

المُحَسِّنَاتُ اللفظِيَّةُ: هي ما يشتمل عليه الكلام من زينات جمالية لفظية، قد يكون بها تحسين وتزيين فى المعنى أيضًا المحسنات اللفظية منها:

واضع علم البديع:

١ - قيل: إنَّ أوَّلَ من دوَّن فى هذا الفنَّ «عبد الله بن المعتزَّ العباسي» المتوفى سنة (٢٧٤ هجرية) إذ جمع ما اكتشفه فى الشعر من المُحَسِّنَاتِ وكتب فيه كتابًا جعل عنوانه عبارة: «البديع».

وجاء من بعده من أضاف أنواعاً أخرى، منهم على ما ذكر البلاغيون:

- ٢ - «جعفر بن قدامة» أديب بغدادى من كبار الكتاب متوفى سنة (٣١٩هـ) ألف كتاباً سماه «نقد قدامة» ذكر فيه أكثر من عشرة أنواع من أنواع البديع، إضافة إلى ما سبق أن اكتشفه من قبل «عبد الله بن المعتز العباسي».
- ٣ - ثم «أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري» المتوفى سنة (٣٩٥هـ)، فقد جمع سبعة وثلاثين نوعاً من أنواع البديع.
- ٤ - «ابن رشيقي الحسن بن رشيقي القيرواني» فجمع في كتابه «العمدة» قرابة سبعة وثلاثين نوعاً من أنواع البديع.
- ٥ - ثم «شرف الدين أحمد بن يوسف القيسيّ التيفاشي» من أهل «تيفاش» وهي إحدى قرى «قفصة» بإفريقية، ولد فيها، وتعلّم بمصر، وولى القضاء في بلده، له عدّة مؤلفات، ولادته ووفاته في (٥٨٠ - ٦٥١هـ).
- ٦ - ثم «عبد العظيم المشهور بابن أبي الإصبع العدواني» البغدادي ثم المصري، شاعر من العلماء بالأدب، له تصانيف حسنة، منها كتابه «بديع القرآن» في أنواع البديع الواردة في القرآن، ولادته ووفاته (٥٩٥ - ٦٥٤هـ) وقد أوصل الأنواع إلى تسعين نوعاً.
- ٧ - ثم «صفيّ الدين عبد العزيز بن سرايا السّنبسي الطائى الحليّ» وهو معروف باسم «صفيّ الدين الحليّ» وُلد في الحِلّة «بين الكوفة وبغداد». ولادته ووفاته: (٦٧٧ - ٧٥٠هـ) فأوصل الأنواع إلى مائة وأربعين نوعاً، يمكن جمع بعضها في بعض.
- ٨ - ثم «عزّ الدين علي بن الحسين الموصلى» شاعر، أديب، من أهل الموصل، سكن دمشق وتوفى فيها في (٧٨٩هـ) له مؤلف سماه «بديعية» وشرحه، فذكر في كتابه ما ذكر صفي الدين الحليّ، وزاد زيادة يسيرة من ابتكاره.

الفصل الأول الطباق

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

الطباق

الطباق في اللغة:

وتسمّى: المُطَابَقَة، والتكافؤ، والتضاد.

وَضَعُ طَبَقٍ عَلَى طَبَقٍ، كَوَضَعَ غِطَاءَ الْقَدْرِ مُكَفِّئًا عَلَى فَمِ الْقَدْرِ حَتَّى يَغْطِيَهُ بِإِحْكَامٍ، وَمِنْهُ إِطْبَاقُ بَطْنِ الْكَفِّ عَلَى بَطْنِ الْكَفِّ الْآخَرِ، تَقُولُ: طَابَقَ الشَّيْءُ عَلَى الشَّيْءِ مُطَابَقَةً وَطَبَاقًا، أَي: أَطْبَقَهُ عَلَيْهِ، وَهَذَا الْإِطْبَاقُ يَقْتَضِي فِي الْغَالِبِ التَّعَاكُسَ، فَبَطْنُ الْغِطَاءِ عَلَى بَطْنِ الْقَدْرِ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ ظَهْرُ الْغِطَاءِ إِلَى الْأَعْلَى وَظَهْرُ الْقَدْرِ إِلَى الْأَسْفَلِ.

والطباق في الاصطلاح:

هُوَ الْجَمْعُ فِي الْعِبَارَةِ الْوَاحِدَةِ بَيْنَ مَعْنَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ، عَلَى سَبِيلِ الْحَقِيقَةِ، أَوْ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ، وَلَوْ إِيهَامًا، وَلَا يَشْتَرِطُ كَوْنُ اللَّفْظَيْنِ الدَّالِّينِ عَلَيْهِمَا مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ كَاسْمِينَ أَوْ فَعْلَيْنِ، فَالْشَّرْطُ التَّقَابُلُ فِي الْمَعْنَيْنِ فَقَطْ.

ك: (الْوُجُودُ - الْعَدَمُ)، و(الإِيجَابُ - السَّلْبُ)، و(الْأَسْوَدُ - الْأَبْيَضُ)، و(الْقِيَامُ - الْقُعُودُ)، و(الْأَبُ - الْإِبْنُ)، و(الْأَكْبَرُ - الْأَصْغَرُ)، و(الْخَالِقُ - الْمَخْلُوقُ)، و(الْكَبِيرُ - الصَّغِيرُ).

أمثلة على الطباق:

مثل قول الله عز وجل: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

في الآية أَرْبَعَةُ أمثلةٍ من الطباق:

الطباق بين: (تُوتِي)، و(تَنْزِعُ). الطباق بين: (تُعِزُّ)، و(تُذِلُّ).

الطباق بين: (النهار) و(الليل). الطباق بين: (الْحَيِّ)، و(الْمَيِّتِ).

ومثل قول الله عز وجل: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ آيِقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴾ [الكهف: ١٨].

في هذه الآية طباقان:

الطباق بين: (أَيَقَاطًا)، و(رقود).

الطباق بين: (ذَاتَ الْيَمِينِ)، و(ذَاتَ الشِّمَالِ).

ومثل قول الله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

في هذه الآية طباق بين (لَهَا) و(عَلَيْهَا) فلفظ «لَهَا» على الثواب، ولفظ «عليها» دلّ على المؤاخذه أو العقاب.

ومثل قول الله: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ لَا تُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الرّوم: ٦، ٧].

في هذه الآية الكريمة طباق بين النَّفْيِ فِي: (لَا يَعْلَمُونَ)، والإثبات في عبارة: (يَعْلَمُونَ).

ومثل قول الله: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

ففي هذه الآية الكريمة طباق بين: (الظلمات)، و: (النور).

ومثل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَّعْضُكُم بَعْضًا ؕ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

ففي الآية طباق بين: (أحب)، و: (كرهتموه).

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» رواه البخارى.

وفي الحديث الشريف طباق بين: (يذكر)، و: (لا يذكر).

وبين: (الحى)، و: (الميت).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتَحَّتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلِسِلَتِ الشَّيَاطِينُ» رواه البخارى.

ففي هذا الحديث الشريف طباق بين: (فُتِحَتْ)، و: (غُلِّقَتْ).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جَبْرَيْلُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبَبَهُ فَيَحْبِبُهُ جَبْرَيْلُ فَيُنَادِي جَبْرَيْلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ فَيَحْبِبُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ» رواه البخارى.

ففي هذا الحديث الشريف طباق بين: (السَّمَاءِ)، و: (الأَرْضِ).

عَنْ أَبِي سُوَيْبَانَ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُّسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ» رواه مسلم.

ففي هذا الحديث الشريف طباق بين: (الدنيا)، و: (الآخرة).

بين: (يسأل)، و: (أعطاه).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟
قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» رواه البخاري.

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ طِبَاقٌ بَيْنَ: (عَرَفْتَ)، وَ: (لَمْ تَعْرِفْ).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا
يُؤْذِي جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ». رواه البخاري.

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ طِبَاقٌ بَيْنَ: (يَقُلْ)، وَ: (لِيَصْمُتْ).



أنواع الطباق

١- طباق الإيجاب:

هو الجَمْعُ بين كلمتين متضادتين موجبتين بدون أداة نفي. أو هو ذِكْرُ الشَّيْءِ وَضِدَّهُ، مثل: هَذَا الْكِتَابُ كَثِيرُ الْأَبْوَابِ، قَلِيلُ الْفُصُولِ.

يوجد طباقٌ بين: (كثير)، و: (قليل).

ومثل قول الله: ﴿يَوْمَ تُولُونُ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ^١ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر: ٣٣].

طباقٌ إيجابيّ بين: (يُضِلُّ)، و(هَادٍ).

٢- طباق السلب:

هُوَ الْجَمْعُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مُتَّفَقَتَيْنِ فِي الْمَعْنَى وَبَيْنَهُمَا أَدَاةُ نَفْيٍ.

مثل قول الله: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ^٢ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [النساء: ١٠٨].

طَبَاقُ السَّلْبِ بين: (يَسْتَخْفُونَ)، و(لَا يَسْتَخْفُونَ).

ومثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ^٣ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

طَبَاقُ السَّلْبِ بين: (يَعْلَمُونَ)، و(لَا يَعْلَمُونَ).

ومثل قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ^٤ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ٣].

طباق بين أمر، ونهي، وهما (اتبعوا - لا تتبعوا).

ومثل قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]. طباق بين نهي وأمر، وهما (لا تَخْشَوْا - وآخِشُونَ).

ومثل قول الشاعر:

وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

طَبَاقٌ بَيْنَ فِعْلَيْنِ، وَهُمَا (نُنْكِرُ - لَا يُنْكِرُونَ).

ومثل قول الشاعر:

يُقَيِّضُ لِي مَنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوَى وَيَسْرِي إِلَيَّ الشَّوْقُ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ

طَبَاقٌ بَيْنَ فِعْلَيْنِ، وَهُمَا (لَا أَعْلَمُ - أَعْلَمُ).

صورُ الطَّبَاقِ:

يكونُ الطَّبَاقُ بين:

١- اسمين:

مثل قوله تعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣]. طباق بين (الأول - الآخر)، و(الظاهر - الباطن)، وكلها أسماء.

ومثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ [الكهف: ١٨].

طباق بين (أيقاظاً - رقود)، و(اليمن - الشمال)، وكلها أسماء.

ومثل قول الله: ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠].

طباق بين (سَيِّئَاتٍ - حَسَنَاتٍ)، وكلاهما اسمان.

٢- فعلين:

مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿١٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿١٤﴾﴾ [النجم: ٤٣، ٤٤]. طباق بين (أضحك - أبكى)، و(أمات - أحيا)، وكلها أفعال. وكقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى: ١٣]. طباق بين (يموت - يحيا).

٣- حرفين:

مثل قوله تعالى: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٢٨]. طباق بين (هُنَّ - عَلَيْهِنَّ)، وهما حرفان. وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦]. طباق بين (لَهَا - عَلَيْهَا)، وهما حرفان.

٤ - لفظين من نوعين مختلفين:

مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرعد: ٣٣]. طباق بين فعل واسم، وهما (يُضِلُّ - هاد). وكقوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢]. طباق بين اسم وفعل أيضًا، وهما (مَيِّتًا - أَحْيَيْنَاهُ).

الفائدة البلاغية للطباق:

- ١ - إبراز المعنى وتوضيحه، مثل: مُحَامٍ نَاجِحٌ خَيْرٌ مِنْ طَيِّبٍ فَاشِلٍ.
- ٢ - استمرار السَّحَدِثِ وَدَوَامُهُ، مثل: أَذَاكِرُ لَيْلًا وَمَهَارًا.
- ٣ - شُمُولِيَّةُ السَّحَدِثِ، مثل: كَلَامِي فَهَمُّهُ الذِّكْيُ وَالْغَيْبِيُّ.

الطَّبَّاقُ يُسَاعِدُ عَلَى تَدَايِي الْأَفْكَارِ فِي الْأَذْهَانِ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ الطَّبَّاقَ أَقْرَبُ
تَخَاطُرًا إِلَى الْأَذْهَانِ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ وَالْمُتَخَالِفَاتِ.

انتبه !

الطَّبَّاقُ يَأْتِي شِعْرًا وَنَثْرًا.



تدريبات

(١) بيّن الطباقي في الشواهد والأمثلة الآتية:

١- مُحَامٍ نَاجِحٌ خَيْرٌ مِنْ طَبِيبٍ فَاشِلٍ.

٢- أَذْكَرُ لَيْلًا وَنَهَارًا.

٣- كَلَامِي فَهَمُّهُ الذَّكِيُّ وَالْعَبِيُّ.

٤- قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتَحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَغُلِقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ» رواه البخاري.

٦- قول الشاعر:

سَلِي، إِنْ جَهِلْتُ، النَّاسَ عَنَّا وَعَنْهُمْ فَلَيْسَ سَوَاءً عَالَمٌ وَجْهٌ هَوُلٌ

٧- قول أبي صخر الهذلي:

أَمَّا وَالَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ، وَالَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا، وَالَّذِي أَمَرَهُ الْأَمْرُ

٨- قول الله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٩- قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

١٠ - عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» رواه البخارى.

١١ - قوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ [الكهف: ١٨].

١٢ - قول الله: ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠].

١٣ - قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا [النجم: ٤٣، ٤٤].

١٤ - قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ [الأعلى: ١٣].

١٥ - قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

(٢) غَيْرَ طِبَاقِ السَّلْبِ إِلَى طِبَاقِ الْإِيجَابِ فيما يلي:

١ - يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مَاضِيَهُ، وَلَا يَعْلَمُ مُسْتَقْبَلَهُ.

٢ - الظَّالِمُ يُخْتَرِمُ الْفَسَادَ، وَلَا يُرِيدُ الْعَدْلَ.

٣ - أَحَبُّ الْأَمَانَةِ وَلَا أَحَبُّ الْخِيَانَةِ.

(٣) غَيْرَ طِبَاقِ الْإِيجَابِ إِلَى طِبَاقِ السَّلْبِ فيما يلي:

١ - الْأَخْثَقُ يُظْهِرُ الْعُيُوبَ، وَيُكْرِ الْمِيزَاتِ.

٢ - لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ تُحْسِنَ إِلَى نَفْسِكَ، وَتُسِيءَ إِلَى غَيْرِكَ.

٣ - لَا تَتَصَدَّقْ عَلَى الْبَعِيدِ وَتَتْرُكِ الْقَرِيبَ الْفَقِيرَ.



الفصل الثاني

المقابلة

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني المُقَابِلَةُ

المُقَابِلَةُ لُغَةً:

المواجهة. قَالَ الْكَسَائِيُّ: تَقُولُ الْعَرَبُ: دَارِي تَنْظُرُ إِلَى دَارِ فُلَانٍ، إِذَا كَانَتْ مُقَابِلَةً لِمَا أَمَامَهَا.

المُقَابِلَةُ اصْطِلَاحًا:

هِيَ أَنْ يُؤْتَى بِجُمْلَةٍ أَوْ أَكْثَرِ بِمَعَانٍ مُتَوَافِقَةٍ، ثُمَّ يُؤْتَى بِمَا يُقَابِلُ ذَلِكَ عَلَى التَّرْتِيبِ. أَوْ هِيَ مَجْمُوعَةٌ كَلِمَاتٍ ضِدَّ مَجْمُوعَةِ كَلِمَاتٍ أُخْرَى فِي الْمَعْنَى عَلَى التَّوَالِي، مِثْلَ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي حَيْمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].
فهذا تقابل بين جملتين، أى: متضادتين.

ومثل قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة: ٨٢].

فَمَجِيءُ الْمُقَابِلِ لِلشَّيْءِ إِنَّمَا يُرْسَخُهُ فِي الذَّهْنِ.
صَوْرُ الْمُقَابِلَةِ:

١ - مقابلة جملة بجملة، مثل قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

المقابلة هكذا:

الجملة الأولى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾

الجملة الثانية: ﴿ وَلَيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾.

٢ - مقابلة جُمْلَتَيْنِ بِجُمْلَتَيْنِ، مثل قوله تعالى: ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].
المُقابلات، هكذا:

الْجُمْلَتَانِ الْأُولَيَانِ: ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ - وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾.

الْجُمْلَتَانِ الْآخِرَتَانِ: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ - وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾.

٣ - مقابلة ثلاثة بثلاثة، مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٦﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٧﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿٨﴾ وَأَمَّا مَنْ خَلَجَ وَأَسْتَغْنَى ﴿٩﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿١٠﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١١﴾ ﴾ [الليل: ٥-١٠].

المُقابلات هكذا:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٦﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿٧﴾ ﴾.

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَلَجَ وَأَسْتَغْنَى ﴿٩﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ ﴾.

٤ - مقابلة أربعة بأربعة، قال المتنبي:

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي

المُقابلات هكذا:

(أَزُورُهُمْ - وَأَنْثَنِي)

(سَوَادُ - بَيَاضُ).

(اللَّيْلِ - الصُّبْحِ).

(يَشْفَعُ لِي - يُغْرِي بِي).

٥ - مقابلةُ خَمْسَةٍ بِخَمْسَةٍ، قال عنترَةُ بْنُ شَدَّادٍ:

عَلَى رَأْسِ عَبْدٍ تَاجٌ عَزَّيْزُهُ وَفِي رِجْلِ حُرٍّ قَيْدٌ ذَلَّ يَشِينُهُ

المُقابَلاتُ هكذا:

(رَأْسٍ - رِجْلٍ). (عَبْدٍ - حُرٍّ).

(تَاجٌ - قَيْدٌ). (عَزَّ - ذَلَّ).

(يَزِينُهُ - يَشِينُهُ).

أمثلة على المُقابَلَة:

١ - عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله قَالَ: «إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صَدِيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا» رواه البخارى ومسلم.

المُقابَلاتُ هكذا:

(إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ)، (وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ).

(وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ)، (حَتَّى يَكُونَ صَدِيقًا).

(وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ)، (وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ).

(وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ)، (حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا).

فَكُلُّ جُمْلَةٍ هَا مَا يُقَابَلُهَا، هَكَذَا:

(إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ) (وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ).

(وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ) (وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ).

(وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ) (وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ).

(حَتَّى يَكُونَ صَدِيقًا) (حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا).

٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكْذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُجَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ».

قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟

قَالَ: «الرَّجُلُ النَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ» رواه أحمد وابن ماجه.

الرويبضة: تصغير رابضة وهو العاجز الذي عجز عن معالي الأمور.

المُقَابَلَاتُ هَكَذَا:

(يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ) (وَيُكْذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ).

(وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ) (وَيُجَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ).

فَكُلُّ جُمْلَةٍ لَهَا مَا يُقَابَلُهَا، هَكَذَا:

(يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ) (وَيُكْذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ).

(وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ) (وَيُجَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ).

٣ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا

أَعْلَمُ لَصَحَحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» رواه البخاري.

الْمُقَابَلَةُ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ:

(لَصَحَحْتُمْ قَلِيلًا) (وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا).

وَالْمُرَادُ بِالْعِلْمِ هُنَا مَا يَتَعَلَّقُ بِعَظَمَةِ اللَّهِ وَانْتِقَامِهِ مِمَّنْ يَعْصِيهِ، وَالْأَهْوَالُ الَّتِي تَقَعُ عِنْدَ النَّزْعِ وَالْمَوْتِ وَفِي الْقَبْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمُنَاسِبَةٌ كَثْرَةُ الْبَكَاءِ وَقِلَّةُ الضَّحْكِ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَاضِحَةٌ وَالْمُرَادُ بِهِ التَّخْوِيفُ .

وَعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ قَالَ: مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْمَوْتَ مُورِدُهُ، وَالْقِيَامَةَ مُوعِدُهُ، وَالْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ مَشْهَدُهُ، فَحَقُّهُ أَنْ يَطُولَ فِي الدُّنْيَا حُزْنُهُ.

٤ - قول أبي الطيب المتنبي:

فَلَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُقْبِلٌ وَلَا الْبُخْلُ يُبْقِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُدْبِرٌ

الْجَدُّ: الْحِطُّ وَالنَّصِيبُ مِنَ الْخَيْرِ.

فِي هَذَا الْبَيْتِ مَقَابَلَةٌ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ مِنَ الْمَعَانِي يُوجَدُ بَيْنَ عُنَاوَرِهِمَا طَبَاقٌ.

الْمُقَابَلَاتُ هَكَذَا:

(الْجُودُ - الْبُخْلُ) (يُفْنِي - يُبْقِي).

(مُقْبِلٌ - مُدْبِرٌ).

٤ - لَا تَخْرُجُوا مِنْ عِزِّ الطَّاعَةِ إِلَى ذُلِّ الْمَعْصِيَةِ.

طَبَاقٌ بَيْنَ (عِزٍّ)، وَ(ذُلٍّ)، كَمَا نَجِدُ طَبَاقًا بَيْنَ (الطَّاعَةِ)، وَ(الْمَعْصِيَةِ).

وَالْمُقَابَلَةُ هِيَ:

(عِزُّ الطَّاعَةِ) (ذُلُّ الْمَعْصِيَةِ).

٥ - طَلَاقُ الدُّنْيَا مَهْرُ الْآخِرَةِ.

طَبَاقٌ بَيْنَ (طَلَاقٍ)، وَ(مَهْرٍ)، كَمَا نَجِدُ طَبَاقًا بَيْنَ (الدُّنْيَا)، وَ(الْآخِرَةِ).

وَالْمُقَابَلَةُ هِيَ:

(طَلَاقُ الدُّنْيَا) (مَهْرُ الْآخِرَةِ).

الفائدة البلاغية للمقابلة:

إبراز المَعْنَى وتَوْضِيحُهُ مَعَ دَوَامِ الْحَدَثِ وَشُمُولُهُ، فَمَجِيءُ الْمُقَابَلَةِ
لِلشَّيْءِ إِنَّمَا يُرْسَخُهُ فِي الذَّهْنِ.

انتبه

تأتي المقابلة شعراً ونثراً.



تدريبات

(١) بَيِّنِ الْمُقَابَلَةَ فِي الشَّوَاهِدِ وَالْأَمْثَلَةِ الْآتِيَةِ:

١ - قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي حَيْمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

٢ - قول الله: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة: ٨٢].

٣ - قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحديد: ١٣].

٤ - مقابلة ثلاثة بثلاثة، مثل قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ ﴾ [الليل: ٥ - ١٠].

٥ - قول المتنبي:

أَزْوَرُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِى بِي

٦ - قول عنتره بن شداد:

عَلَى رَأْسِ عَبْدٍ تَاجٌ عَزَّيْزُهُ وَفِي رِجْلِ حُرٍّ قَيْدٌ ذُلٌّ يَشِينُهُ

٧ - عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَصْدُقَ حَتَّى يَكُونَ صَدِيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَكْذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا» رواه البخاري ومسلم.

٨ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْصَةُ» قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْصَةُ؟ قَالَ: «الرَّجُلُ النَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ» رواه أحمد وابن ماجه.

٩ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» رواه البخارى.

١٠ - قول أبي الطيب المتنبي:

فَلَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُقْبِلٌ وَلَا الْبُخْلُ يُبْقِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُدْبِرٌ

١١ - لَا تَخْرُجُوا مِنْ عِزِّ الطَّاعَةِ إِلَى ذُلِّ الْمَعْصِيَةِ.

١٢ - طَلَاقُ الدُّنْيَا مَهْرُ الْآخِرَةِ.

١٣ - عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يَنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» رواه مسلم.

١٤ - قَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ: كَدَّرُ الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِنْ صَفْوِ الْفِرْقَةِ.

١٥ - قال جرير:

وَبَاسِطٌ خَيْرٌ فِيمَكُم بِيَمِينِهِ وَقَابِضٌ شَرٌّ عَنْكُم بِشِمَالِيَا

١٦ - قال البحتري:

فَإِذَا حَارَبُوا أَذَلُّوا عَزِيزًا وَإِذَا سَالَمُوا أَعَزُّوا ذَلِيلًا



الفصل الثالث

السجدة

الفصل الثالث

السَّجْعُ

السَّجْعُ فِي اللُّغَةِ:

سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعًا: استوى، واستقام، وأشبه بَعْضُهُ بَعْضًا.

والسجع الكلام المُقَفَّى، والجمع: (أَسْجَاع - أَسَاجِيْعُ)، وكلام مُسَجَّع.

وَسَجَّعَ تَسْجِيْعًا: تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ لَهُ فَوَاصِلُ كَفَوَاصِلِ الشَّعْرِ مِنْ غَيْرِ وَزْنٍ، كَأَن كُلَّ كَلِمَةٍ تُشَبِّهُ صَاحِبَتَهَا.

سَجَعَتِ الْحَمَامَةُ أَوِ النَّاقَةُ سَجْعًا، إِذَا رَدَّدَتْ صَوْتَهَا عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ.

قَالَ ابْنُ جَنِّيٍّ: سُمِّيَ سَجْعًا لِأَشْتِبَاهِ أَوَاخِرِهِ، وَتَنَاسُبِ فَوَاصِلِهِ، وَالْجَمْعُ: سُجُوعٌ.

السَّجْعُ فِي الْإِصْطِلَاحِ:

هُوَ الْكَلَامُ الْمُقَفَّى غَيْرُ الشَّعْرِ. أَوْ هُوَ اتِفَاقُ أَوَاخِرِ الْجُمْلِ فِي الْحَرْفِ الْآخِرِ؛ لِيُعْطِيَ جَرَسًا مُتَوَازِنًا جَمِيلًا، يُسَعِدُ الْأُذُنَ.

مِثْلُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٨ - ٣٠].

نَجِدُ السَّجْعَ بِتَكَرُّارِ حَرْفِ الدَّالِ فِي نِهَآيَةِ كُلِّ آيَةٍ، هَكَذَا:

﴿ مَخْضُودٍ ﴾ ، ﴿ مَّنْضُودٍ ﴾ ، ﴿ مَّمْدُودٍ ﴾ .

وَهَذَا يُسَعِدُ الْأُذُنَ.

ومثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ ﴿ لَيْسَ لَوْقَعَتَهَا كَاذِبَةٌ ﴾ ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ [الواقعة: ١ - ٣].

نَجِدُ السَّجْعَ بِتَكَرُّارِ حَرْفِ التَّاءِ الْمَرْبُوطَةِ فِي نِهَآيَةِ كُلِّ آيَةٍ، هَكَذَا:
﴿ الْوَاقِعَةُ ﴾ ، ﴿ كَاذِبَةٌ ﴾ ، ﴿ رَّافِعَةٌ ﴾ .
وَهَذَا يُسَعِدُ الْأُذُنَ.

ومثل قول الله: ﴿ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ ﴿ أَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ [البلد: ١ - ٥].
نَجِدُ السَّجْعَ بِتَكَرُّارِ حَرْفِ الدَّالِ فِي نِهَآيَةِ كُلِّ آيَةٍ، هَكَذَا:
﴿ الْبَلَدِ ﴾ ، ﴿ الْبَلَدِ ﴾ ، ﴿ وَلَدَ ﴾ ، ﴿ كَبَدٍ ﴾ ، ﴿ أَحَدٌ ﴾ .
وَهَذَا يُسَعِدُ الْأُذُنَ.

وَيَجِبُ أَنْ نَتَجَنَّبَ السَّجْعَ الْمُتَكَلَّفَ فِيهِ عِنْدَ الدُّعَاءِ، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: «.. فَانْظُرِ السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ؛ فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ، يَعْني لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الْاجْتِنَابَ». رواه البخاري.

وأفضل السجع ما كانت فقراته متساويات، مثل: قول الرسول صلی اللہ علیہ وسلم في دعائه المتضمن الحث على الإنفاق في الخير، والتحذير من الإمساك.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُتْسِكًا تَلَفًا» رواه البخاري ومسلم.

قيل لبعض الأدباء: مَا أَحْسَنُ السَّجْعِ؟

قال: ما خَفَّ عَلَى السَّمْعِ.

قِيلَ: مِثْلَ مَاذَا؟

قال: مِثْلَ هَذَا.

ومِثْلُ قولِ الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمُدِّثُ ۝ قَدْ فَأَنْذِرُ ۝ وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرُ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرُ ۝ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرُ ۝﴾ [المدر: ١ - ٧].

نَجِدُ السَّجْعَ بِتَكَرُّرِ حَرْفِ الرَّاءِ فِي نِهَآيَةِ كُلِّ آيَةٍ، هَكَذَا:

﴿الْمُدِّثُ﴾ ، ﴿فَأَنْذِرُ﴾ ، ﴿فَكَبِّرُ﴾ ، ﴿فَطَهِّرُ﴾ ، ﴿فَاهْجُرُ﴾ ، ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ ، ﴿فَاصْبِرُ﴾ .

وَهَذَا يُسَعِدُ الْأُذُنَ.

ومِثْلُ قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝﴾ [العاديات: ٩، ١٠].

نَجِدُ السَّجْعَ بِتَكَرُّرِ حَرْفِ الرَّاءِ فِي نِهَآيَةِ كُلِّ آيَةٍ، هَكَذَا:

﴿الْقُبُورِ﴾ ، ﴿الصُّدُورِ﴾ .

وَهَذَا يُسَعِدُ الْأُذُنَ.

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ» رواه الترمذي ، وقال: حديث حسن صحيح.

نَجِدُ السَّجْعَ بِتَكَرُّرِ حَرْفِ الْمِيمِ فِي نِهَآيَةِ كُلِّ جُمْلَةٍ، هَكَذَا:

(السَّلَام - الطَّعَام - نِيَامٌ - بِسَلَامٍ).

وَهَذَا يُسَعِدُ الْأُذُنَ.

وقول الله: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبَرِ ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿[المدثر: ٣٢ - ٣٧].

نَجِدُ السَّجْعَ بِتَكَرُّرِ حَرْفِ الرَّاءِ فِي نِهَآيَةِ كُلِّ آيَةٍ، هَكَذَا:

﴿وَالْقَمَرِ﴾، ﴿أَدْبَرَ﴾، ﴿أَسْفَرَ﴾، ﴿الْكُبَرِ﴾، ﴿لِلْبَشَرِ﴾، ﴿يَتَأَخَّرَ﴾.
وَهَذَا يُسَعِدُ الْأُذُنَ.

وقول الله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ وَلَا الظُّلُمْتُ وَلَا النُّورُ ﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ١٩ - ٢٢].

نجد السجع بين ﴿النُّورِ﴾ و﴿الْحُرُورِ﴾، وإِنَّمَا كَرَّرَ الْفِعْلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي﴾ مَبَالِغَةً فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ أَتَمُّ مِنَ النَّفْيِ الْمُتَقَدِّمِ، وَقَدَّمَ الْإِحْيَاءَ لِشَرَفِ الْحَيَاةِ، وَلَمْ يُكْرَرْ (لَا) تَأْكِيدًا فِي قَوْلِهِ: ﴿الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ وَكَرَّرَهَا فِي غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ مَنَافَاةَ مَا بَعْدَهُ أَتَمُّ، فَإِنَّ الشَّخْصَ الْوَاحِدَ قَدْ يَكُونُ بَصِيرًا ثُمَّ يَصِيرُ أَعْمَى، فَلَا مَنَافَاةَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ الْوَصْفُ بِخِلَافِ الظِّلِّ وَالْحُرُورِ، وَالظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ، فَإِنَّهَا مُتَنَافِيَةٌ أَبَدًا، لَا يَجْتَمِعُ اثْنَانِ مِنْهَا فِي مَحَلٍّ، فَالْمَنَافَاةُ بَيْنَ الظِّلِّ وَالْحُرُورِ وَبَيْنَ الظُّلْمَةِ وَالنُّورِ دَائِمَةٌ.

وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ اكْتَشَفَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ السَّجْعِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالتِّي لَمْ يَدْرِكْهَا شُعْرَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ قَبْلِ.

فَالسَّجْعُ الْمَعْرُوفُ بَيْنَ شُعْرَاءِ وَخُطَبَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ .. هُوَ اتِّفَاقُ أَوَاخِرِ الْكَلِمَاتِ لِبَعْضِ الْجُمْلِ (جَهْلَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ) فِي الْحَرْفِ الْآخِرِ.

مِثْلُ قَوْلِ قَسِّ بْنِ سَاعِدَةَ: «أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَعُؤَا، إِنَّهُ مَنْ عَاشَ مَاتَ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ».

هذا جزء من خطبته .. فنجد السجع بين (اسمعوا وعوا)، وبين (مات - فات) وبين (آت - آت). فهذا سَجْعٌ يُسَعِدُ الأُذُنَ.

ولكن عندما نَزَلَ القرآنُ الكريمُ كَشَفَ نوعًا من أنواع السجع لم يعرفه العصر الجاهلي من قبل رغم تفوقهم في الفصاحة والبلاغة للغة العربية ..، فالعصر الجاهلي انتهى تفوقه في السجع بين كلمتين فقط كما تقدم للخطيب «قس بن ساعدة» وغيره من الخطباء والشعراء.

ولكن القرآن جاء بأعلى من ذلك مما أبهر هؤلاء الخطباء والشعراء، وهو السجع بين حرف وكلمة.

مثال ذلك، والله المثل الأعلى قوله تعالى: ﴿ تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم: ١].

فهنا نجد السَّجْعَ بَيْنَ ﴿ تَ ﴾ و﴿ يَسْطُرُونَ ﴾.

وهذا نوعٌ من أنواع السَّجْعِ الذي لَمْ يَعْرِفْهُ خُطَبَاءُ وَشُعْرَاءُ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ. تَحَرَّجَ العلماءُ من بعض الإطلاقات التي تختص بالشعر أن يطلقوها على القرآن الكريم، حِمَايَةً لِحَنَابِهِ، وإجلالاً له، فَمَنَعُوا من إطلاقِ لفظَةِ السَّجْعِ عَلَى خَوَاتِمِ آيَاتِهِ، لَارْتِبَاطِ السَّجْعِ بِغَيْرِ الْقُرْآنِ من ألوانِ النثر.

قال الخفاجي: (وَأَظُنُّ أَنَّ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَى تَسْمِيَةِ كُلِّ مَا فِي الْقُرْآنِ فَوَاصِلَ وَلَمْ يُسَمِّوْا مَا تَمَثَّلَتْ حُرُوفُهُ سَجْعًا - رَغِبَتْهُمْ فِي تَنْزِيهِ الْقُرْآنِ عَنِ الْوَصْفِ اللَّاحِقِ بِغَيْرِهِ مِنَ الْكَلَامِ الْمَرْوِيِّ عَنِ الْكُهْنَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَهَذَا غَرَضٌ فِي التَّسْمِيَةِ قَرِيبٌ).

ومثله لفظَةُ الْجَرَسِ والموسيقى، فقد تَرَكَّهَا العلماءُ مع دِقَّتِهَا، ولا سيما لفظَةُ الْجَرَسِ لارتباطِهَا بِالْغِنَاءِ، وَذَهَابَ جمهور العلماء إلى تحريمِهَا، وَنُفُورُ فَضْلَاءِ النَّاسِ وَتُبْلَائِهِمْ مِنْهَا، فَلَمْ يَسْتَخْدِمْهَا الْعُلَمَاءُ فِي وَصْفِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ، وَاسْتَخْدَمُوا بَدَلًا مِنْهَا فِي الْبَلَاغَةِ لَفْظَةُ الْفَصَاحَةِ، وَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَعْنَى جَرَسِ الْلفْظَةِ.

وقد كَانَ لِلنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ عِنَايَةٌ بِالْبَحْثِ فِي مُوسِيقَى الْأَلْفَاظِ لِدُخُولِ
الْمُوسِيقَى فِي شَعَائِرِهِمْ، وَأَمَاكِينِ عِبَادَتِهِمْ، فَلَا تَكَادُ تَجِدُ هُمْ عِبَادَةً إِلَّا عَلَى أَنْعَامِ
المُوسِيقَى، وَمِنْ هُنَا اهْتَمُّوا بِدِرَاسَةِ مُوسِيقَى الْأَلْفَاظِ وَجَرَسِهَا، وَكُتِبُوا فِي ذَلِكَ
كُتُبًا، وَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ فَقَدْ تَنَاوَلُوا هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ تَحْتَ مُصْطَلَحَاتٍ أُخْرَى كَالْفَصَاحَةِ
وَالْإِنْسَجَامِ.

غَيْرَ أَنَّ بَعْضَ الْبَاحِثِينَ الْمُتَأَخِّرِينَ لَمْ يَرَوْا بَأْسًا مِنْ اسْتِخْدَامِ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ فِي
وَصْفِ الْأَفْظِ وَتَرَكَيبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، لِشُيُوعِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ وَمَعْرِفَةِ دَلَالَتِهَا عِنْدَ
الْمُعَاصِرِينَ.

وَقَدْ اسْتَعْدَمَهَا الشَّيْخُ سَيِّدُ قُطْبٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابَاتِهِ، وَانْتَقَدَتْ عَلَيْهِ،
وَالْأَمْرُ فِي التَّسْمِيَةِ قَرِيبٌ - كَمَا قَالَ ابْنُ سَنَانٍ الْخَفَاجِي، وَالْعِبْرَةُ بِالْمَعَانِي الَّتِي
يَقْصِدُهَا الْكُتَّابُ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ، وَغَالِبُ مَنْ اسْتَعْمَلَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مِنْ أَهْلِ
النَّقْدِ الْأَدَبِيِّ وَالدِّرَاسَاتِ الْبَلَاغِيَةِ.

وَلَا بُدَّ مِنْ مِلَاحَظَةِ التَّطَوُّرِ الدَّلَالِيِّ لِلْمَفْرَدَاتِ، فَقَدْ تَكُونُ الْمَفْرَدَةُ تَحْمُلُ مِنْ
ضَمَنِ مَعَانِيهَا مَعْنَى سَيِّئًا، فَيُنْهَى عَنْ اسْتِعْمَالِهَا فِي بَعْضِ الْمَوَاقِفِ حَتَّى لَا يَذْهَبَ
ذَهْنُ السَّامِعِ إِلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى دُونَ غَيْرِهِ.

وَرُبَّمَا يَتَجَوَّزُ فِي بَعْضِ الْأَلْفَاظِ لِفَهْمِ السَّامِعِ لِلْمَقْصُودِ، كَمَا فِي تَشْبِيهِ النَّبِيِّ
ﷺ إِحْدَى صُورِ إِيْيَانِ الْوَحْيِ بِصَلْصَلَةِ الْجَرَسِ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

فَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْأَمْرَ فِي اسْتِخْدَامِ مِثْلِ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ إِذَا فُهِمَتْ عَلَى وَجْهِهَا
لَا حَرَجَ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، طَالَمَا أَنَّ الْأَمْرَ يُحْمَلُ عَلَى وَجْهِهِ الْحَسَنِ فِي التَّعْبِيرِ وَالْفَهْمِ

معاً، ولو تَبَعَتْ مَطَاعِنَ العباراتِ والألفاظِ التي يتكلم بها الناسُ لما سلم لك إلا القليل.

وإنني لأَعْجَبُ مِمَّنْ يُؤَاخِذُ المؤلفين بِلَوَازِمِ ألفاظهم وعِبَارَاتِهِمْ، وهم بَشَرٌ يكتبون ما يكتبون في أحيان كثيرة، وهم غافلون عما يلزمُهُمْ من بعض العبارات مع حُسْنِ النِّيَّةِ، وطِيبِ السيرة، ولم يقصدوا بهذه العبارة أو تلك ما حملها عليه منتقدوهم، فيطول الحديث حول هذا الأمر، والأمرُ فيه سَعَة وَيُسْرٌ لِمَنْ أَرَادَ الوصول للحق، والتماس الأعذار للمؤمنين من صفات المؤمنين.

وفي ظني أن المصنفين في (المناهي اللفظية) قد توسعوا في النهي عن ألفاظ كثيرة في استخدامها سعة، ولم يستدلوا على منعها بدليل يمنع منها، وفي هذا تضيق على الناس في حديثهم وكلامهم.

الفائدة البلاغية للسَّجْع:

يعطي السجع جَرَسًا موسيقيًا، يأخذ الأسماع والأفهام، ويسعد النفس .

انتبه !

السجع خاص بالنثر، وقد أجاز بعض العلماء مجيئه في الشعر .



كلمة حول السجع

نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، ونزل على قوم شغلهم البيان حتى كان أعظم بضاعتهم، وتفعل الكلمة فيهم ما لا تفعل السيوف، وقد كانوا مُجْبَرِينَ بِحُكْمِ الْبَيْئَةِ وَالنَّشْأَةِ عَلَى حُبِّ الْبَيَانِ الرَّفِيعِ، الْمَمْلِيءِ بِالصُّورِ الْإِيقَاعِيَةِ الْمُسَاعِدَةِ عَلَى تَذَكُّرِ الْمَادَّةِ اللَّفْظِيَّةِ، كَالْقَوَافِي وَالْأَسْجَاعِ، وَكُلُّ مَا يَعْطِي نَغْمًا مُوسِيقِيًّا لَفْظِيًّا، وَكَانَ عَلَى الْقُرْآنِ لَكِي يُوَثِّرُ فِيهِمْ أَنْ يَعلَوْ عَلَى بَيَانِهِمْ، وَهَكَذَا جَاءَ الْقُرْآنُ مِثْلًا أَرْقَى اسْتِعْمَالًا لِلْغَةِ مِنْ لُغَاتِ الْبَشَرِ، وَتَشَرَّفَتْ الْعَرَبِيَّةُ بِهَذَا الشَّرَفِ الرَّفِيعِ.

وَصُورُ الْإِعْجَازِ فِي الْقُرْآنِ لَا تُحْصَى، وَمِنْهَا إِعْجَازُهُ اللَّغَوِيُّ، وَمِنْ مَظَاهِرِ الْإِعْجَازِ اللَّغَوِيِّ اسْتِعْمَالُهُ لِلْفَوَاصِلِ الَّتِي أَغْنَى اللَّهُ بِهَا الْعَرَبَ عَنْ وَلَعِهِم بِالْقَوَافِي وَالْأَسْجَاعِ وَعَشَقَهُمْ لِمُوسِيقَى الْأَلْفَاظِ، فَوَجَدُوا خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَآمَنُوا بِهِ.

وَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى الْفَاصِلَةِ (السَّجْعِ) فِي نِهَائَاتِ الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ، يَظْهَرُ لَنَا فَضْلُ الْقُرْآنِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْكَلَامِ، مَعَ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ الْغَةَ نَفْسَهَا الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا الْعَرَبُ بِكُلِّ صُورِهَا وَمَظَاهِرِهَا تَقْرِيبًا، وَنَذَكَّرُ أَنَّ الشَّائِعَ اسْتِعْمَالُ مُصْطَلَحِ الْفَاصِلَةِ فِي الْقُرْآنِ، وَالسَّجْعِ فِي غَيْرِهِ، مَعَ التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَتْ كُلُّ الْفَوَاصِلِ مَسْجُوعَةً.

وَتَحْلِيلُ الْفَوَاصِلِ وَدِرَاسَتُهَا يَسْتَدْعِي الْإِلْتِمَامَ بِعُلُومِ الْأَصْوَاتِ وَالصَّرْفِ وَالنَّحْوِ وَالْمَعْجَمِ وَالدَّلَالَةِ.

تعريف الفاصلة:

هِيَ لَفْظٌ آخَرُ الْآيَةِ يَنْتَهِي بِصَوْتٍ قَدْ يَتَكَرَّرُ مُحَدِّثًا إِيقَاعًا مُؤَثِّرًا فِي صُورَةِ السَّجْعِ، وَقَدْ لَا يَتَكَرَّرُ، وَلَكِنَّ الْفَاصِلَةَ تَحْتَفِظُ دَائِمًا بِأَحْدَى صُورِ التَّوَافُقِ الصَّوْتِيِّ مَعَ الْفَوَاصِلِ السَّابِقَةِ وَالْآخِةِ، أَمَّا تَفْصِيلُ الْمَوْضُوعِ فَعَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

١ - الدراسة الصوتية: استعمل القرآن في الفواصل حروفاً ذات وقع نغمي، ووضوح سمعي؛ لتظهر للسمع حين الوقف عليها، والوقف على أواخر الآيات من سنن القراءة، كما هو معلوم، ولذلك استعمل النون فاصلة في حوالي ٥١٪ من آياته، تلتها الميم بحوالي ١٢,٥٪ وهما أهم حروف الترتم في العربية، في حين لم يستعمل الخاء فاصلة قط لصعوبتها وصعوبة الوقف عليها.

وهذا إحصاء بالحروف المستعملة في الفواصل، ونسب استعمال كل منها، مع العلم بأن عدد آيات القرآن الكريم (٦٢٤٧) آية.

الحرف	عدد مراته كفاصلة	نسبته المئوية كفاصلة
النون	٣١٨٢	٥٠,٩٣ ٪
الميم	٧٧٥	١٢,٤٠ ٪
الراء	٦٩٠	١١,٠٤ ٪
الذال	٢٨٦	٤,٦٢ ٪
الألف المقصورة	٢٤٥	٣,٩٢ ٪
الباء	٢٣٩	٣,٨٢ ٪
اللام	٢١٢	٣,٣٩ ٪
الهاء	١٧٣	٢,٧٦ ٪
الياء	٨٧	١,٣٩ ٪
القاف	٦٦	١,٠٥ ٪

الحرف	عدد مراته كفاصلة	نسبته المئوية كفاصلة
ألف المد	٤٢	٠,٦٧%
التاء	٤٢	٠,٦٧%
العين	٣٣	٠,٥٢%
الفاء	٢٢	٠,٣٥%
الجيم	٢٠	٠,٣٢%
الطاء	١٩	٠,٣٠%
الزاي	١٨	٠,٢٨%
الهمزة	١٧	٠,٢٧%
الظاء	١٧	٠,٢٧%
السين	١٤	٠,٢٢%
الصاد	١٢	٠,١٩%
الكاف	٩	٠,١٤%
الواو	٦	٠,٠٩٦%
الثاء	٦	٠,٠٩٦%
الحاء	٥	٠,٠٨%

الحرف	عدد مراته كفاصلة	نسبته المئوية كفاصلة
الضاد	٤	٠,٠٦ %
الشين	٣	٠,٠٤٨ %
الذال	٢	٠,٠٣٢ %
الغين	١	٠,٠١٦ %
الخاء	—	—

بعض النتائج المستخلصة من الجدول السابق:

١ - نلاحظ أن حرف النون يمثل أكثر من نصف فواصل القرآن، حيث جاء فاصلة بنسبة ٥١٪ تقريباً، وهذه النتيجة تصديق لكلام سيبويه وغيره ممن لاحظوا ذلك، وإذا علمنا أن مجمل استعمال حرف النون في القرآن الكريم كله هو (٢٧٢٦٥)، فإن نسبة استعماله فاصلة إلى نسبة استعماله الكلية تكون ١١,٦٧ ٪ وهي نسبة عالية إذا قورن بحروف أخرى.

أضف إلى ذلك أن التنوين الذي يلحق فواصل بعض السور كالإسراء والكهف ومريم... هذا التنوين هو نون ساكنة أيضاً، وإن كان يتحول بالوقف إلى الألف الممدودة، وبهذا فإن النون والتنوين يفوزان بأكثر نصيب في الفواصل لما فيها من الغنة الجميلة في السمع، ويحقُّ لنا بعد ذلك أن نقول إن عنصر الإيقاع والتنغيم والتطريب يقصد إليه في القرآن قصداً، وليس مجرد محسنات زخرفية.

٢ - جاء حرف الميم تالياً للنون بنسبة ١٢,٣٨ ٪، يليه الراء بنسبة ١١,٠٤ ٪ والذال بنسبة ٤,٦٢ ٪ والملاحظ أن الميم حرف شفوي، والراء والذال من الحروف التي تنطق باعتماد اللسان مع الأسنان، وكل هذه الحروف تنطق من

الجزء الأمامي لجهاز النطق، وهذا أمر ملاحظ في الفواصل، حيث نلاحظ أن حروف الحنجرة والحلق أقل استعمالاً من الحروف الشفوية والأسنانية، ولهذا كله علاقة بسهولة النطق والوضوح السمعي.

والمراد بالوضوح السمعي وصول صوت الحرف واضحاً إلى السمع، حيث إن لكل مجموعة حروف متقاربة المَخَارِج نسبة وضوح سمعي، كما يقول الدكتور رمضان عبد التواب رَحِمَهُ اللهُ: «وليست كل الأصوات الإنسانية على السواء في نسبة الوضوح السمعي، فبعضها أوضح من بعض».

ولِحَرْصِ القرآن على الإيقاع اللفظي وتناسق الفواصل تُحذف بعض الحُرُوف في الفاصلة، مثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ﴾ [الفجر: ٤].

وأصلها: يَسْرِي، ولكن حَذَفَ الياء يساويها صوتياً بها سبقها وتلاها من الفواصل.

وكثيراً ما تُحذف ياء المتكلم في الفاصلة للغرض نفسه، مثل قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الشعراء: ١٠٨] وأصلها: أطيعوني.

وعلى العكس من ذلك قد يزيد القرآن حرفاً للغرض نفسه، مثل قول الله عز وجل: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: ١٠].

وأصلها: الظنون، بدون ألف لأنها معرفة بالألف واللام، ولكن فواصل السورة أكثرها بحرف مد، فوافقتها.

ومثل ذلك زيادة هاء السكت في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَّةً﴾ وَلَمْ أُدْرِ مَا حِسَابِيَّةً يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩].

وذلك لتوافق الهاء إيقاعياً مع التاء المربوطة التي تصير هاءً بالوقف.

وهناك ظاهرة مشابهة هي الاستغناء بلفظ عن آخر، لدواعٍ سياقية، والقرآن يختار اللفظ بدقة متناهية، ومن ذلك أن القرآن يستعمل كثيراً صيغة (غفور) في الفواصل، ولكن يستغني عنها بغفّار لتوافق الفواصل في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ أَتَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠] والفواصل هنا هي (إسراراً وغفّاراً ومدراًراً) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٩-١١].

أما (غفور - غفّار) في حق الله تعالى، فهما صيغتا مبالغة، ولا تفاضل بينهما دلاليّاً، ولكن حاجة السياق تحدّد المُختارَ منهما.

ومثله قول الله: ﴿وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: ٢٢] حيث جاءت صيغة كُبَّار بدل صيغة (كبير) لإبداء المبالغة وتحقيق الإيقاع.

ومثله استعمال (عَسِر) مكان (عَسِير) المعتادة في قوله: ﴿مُتَّطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسِيرٍ﴾ [القمر: ٨]، والقرآن يختار الفاصلة بدقة عجيبة تدل على إعجاز بياني، فهي من جهة الدلالة تتوافق مع مضمون الآية، ومن جهة الصوت تتوافق مع الإيقاع العام للآيات السابقة واللاحقة، حتى إن السامع إذا كان ذا نظر ثاقب بفن الكلام وسمع الفاصلة أدرك موقعها من الكلام كما روي أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩].

فقرأ: (أن الله غفور رحيم) ولم يكن يقرأ القرآن، فقال: إن كان هذا كلام الله، فلا يقول كذا، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلزل؛ لأنه إغراء عليه.



كلمة موجزة عن الإعجاز اللغوي

نقول كلمة موجزة عن الإعجاز اللغوي، على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.
أولاً: الإعجاز اللغوي:

كان يكفيننا في صَدَدِ الإعجازِ اللغوي أن نقول: إن فصحاء العرب قد عجزوا عن الإتيان بسورة من مثل القرآن. ولكننا نزيد الأمر توضيحاً، فنقول: إن هذا الإعجاز يبدو في جملة سمات يتميز بها الأسلوب القرآني يلحظها القارئ المتدبر لهذا القرآن.

وقد أمرنا بالتدبر في كتاب الله، ونحن نتلوه. وإليك بعض هذه السمات:

١ - للقرآن نظم متفرد، فلا هو شعر، ولا هو نثر كثر البشر. ولكن فيه حلاوة الجرس والتنغيم ما يفوق الشعر، دون أن يتقيد بقيود الشعر الكثيرة التي تتحكم في المعنى في كثير من الأحيان، وفيه ما يشبه القوافي ولكنها ليست رتيبة ولا محددة كقوافي الشعر ولا قوافي السجع المألوف، لذلك لا تملأ الأذن، بل يقبل الإنسان دائماً على قراءة القرآن وسماعه بشغف متجدد.

وفضلاً عن ذلك فإن هذا التنغيم يتنوع بتنوع الموضوع المعروض والجو النفسى المصاحب له، فيشتد مثلاً مع جو الوعيد والعذاب ويلطف ويلين مع جو الود والرحمة، أو جو الدعاء والخشوع.

خذ مثلاً من جو الشدة والوعيد: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۖ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۖ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۚ وَلَا تَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۚ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ۚ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۚ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ۚ ﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٧].

ومثلاً من جو الدعاء: ﴿ كَهَيْعَصَ ۚ ذِكْرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۚ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۚ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۚ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَأَىٰ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۚ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِن ءَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۚ ﴾ [مريم: ١-٦].

٢ - يتميز القرآن بالتنوع في طريقة العرض بحيث لا يتكرر مشهدان في كل تفاصيلهما أبداً على كثرة ما يعرض في القرآن من المشاهد المتشابهة، فهي تشابه ولكنها لا تتماثل أبداً، لذلك تبدو في كل مرة كأنها جديدة !

وإن مشاهد القيامة والمشاهد الكونية لهي من أكثر الموضوعات تكراراً في القرآن، ومع ذلك لا يوجد مشهد واحد مكرر بجميع تفصيلاته مرتين...، لا بد من التنوع في العرض، ولو بتغيير لفظة واحدة ! وأحياناً يكون التنوع بتغيير حرف واحد يغير المعنى !

خذ مثلاً لذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنَ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكَ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ ۚ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكَ عَظِيمٌ ۝٤٩ ﴾ [البقرة: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ كُمْ إِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦ ﴾ [إبراهيم: ٦].

إن الفرق بين النصين حرف واحد، هو زيادة الواو في الآية الثانية (ويذبحون) ولكن هذا الحرف الواحد يغير المعنى. فالآية الأولى تحدد العذاب بأنه هو تذبيح الأبناء واستحياء النساء. أما الآية الثانية فتدل على أن العذاب كان أنواعاً كثيرة يضاف إليها تذبيح الأبناء واستحياء النساء !

وهكذا يؤثر الحرف الواحد في المعنى ويجعل الآيتين غير مكررتين كما يتبادر للذهن أول مرة!

٣ - من الإعجاز كذلك أن كل سورة من سور القرآن لها جوها الخاص وشخصيتها المتميزة حتى وإن اشتركت في بعض الموضوعات مع غيرها من السور.

وقد تكون السور المدنية مختلفة الموضوعات بطبيعتها، لاحتواء كل منها على مجموعة من التشريعات والتوجيهات غير الأخرى، ولاختلاف المناسبة التي نزلت فيها، وإن كان فيها مع ذلك قدر من الموضوعات المشتركة.

ولكل ظاهرة التميز والاختلاف قائمة بوضوح في السور المكية كذلك، التي تشمل كلها على موضوعات متقاربة، إذ كلها دعوة إلى توحيد الخالق ونبذ الشرك ومناقشة لأوهام المشركين وإنذار لهم بالعذاب في جهنم، مع تقديم البشري للمؤمنين بالجنة. ومع ذلك فكل سورة تعرض هذه الموضوعات المتشابهة بطريقة تخالف الأخرى، بحيث يظل قارئ القرآن في جو متجدد على الدوام ولو كان الموضوع هو ذات الموضوع.

تلك هي بعض سمات الإعجاز اللغوي في القرآن، ويستطيع الدارس أن يلحظها بنفسه في أثناء تلاوته للقرآن أو استماعه إليه، كما يستطيع أن يجد غيرها كلما درب نفسه على النظر المتعمق في آيات الكتاب.



تدريبات

يَبِّنِ السَّجْعَ فِي الْأَمْثَلَةِ وَالشَّوَاهِدِ الْآتِيَةِ، وَوَضِّحْ وَجْوهَ حَسَنِهِ:

١ - قال بعض البلغاء: الإنسان بآدابه، لا بزِيَّه وثيابه.

٢ - قول الله: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿١٦﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿١٧﴾ وَظِلِّ مَّمدُودٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٨ - ٣٠].

٣ - قول الله: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الواقعة: ١ - ٣].

٤ - قول الله عز وجل: ﴿ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَحْسَبُ أَنْ لَّنْ يَقدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ ﴾ [البلد: ١ - ٥].

٥ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا» رواه البخاري ومسلم.

٦ - قول الله: ﴿ يَتَأَيَّأُ الْـمُدَيِّرُ ﴿١﴾ فَمَنْ قَانَدِرٌ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ [المدثر: ١ - ٧].

٧ - قوله سبحانه وتعالى: ﴿ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رُوحٌ إِلَى الْقُبُورِ ﴿١﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿٢﴾ ﴾ [العاديات: ٩، ١٠].

٨ - عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلی اللہ علیہ وسلم، قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

٩ - قول الله عز وجل: ﴿ كَلَّا وَالْقَبْرِ ﴿١﴾ وَالْأَلِيلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٢﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣﴾ ﴾

إِنِّهَا لِأَحَدَى الْكَبَرِ ﴿٢٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٢٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٢٧﴾ ﴿[المدثر: ٣٢ - ٣٧].

١٠ - قوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ ﴿٢٨﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ ﴿٢٩﴾ يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٣٠﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةَ ﴿٣١﴾ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٢٩].

١١ - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٣٣﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿٣٤﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٣٥﴾﴾ [نوح: ٩ - ١١].

١٢ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلی الله علیه و آله قَالَ: «يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا» رواه البخاري.

١٣ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلی الله علیه و آله أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟

قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ، عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» رواه البخاري.

١٤ - كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنْ اكْتُبْ إِلَيَّ بِشْيءٍ سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ صلی الله علیه و آله فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلی الله علیه و آله يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْحَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ» رواه البخاري.

١٥ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿٣٦﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ﴿٣٧﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿٣٨﴾ ذُو الْعَرْشِ الْجَبِيدُ ﴿٣٩﴾ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿٤٠﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿٤١﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿٤٢﴾﴾ [البروج: ١٢ - ١٨].



الفصل الرابع الازدواج

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الرابع

الازدواج

الازدواج لغة:

زَوْاجٌ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، إِذَا قَرَنَ بَيْنَهُمَا.

الازدواج اصطلاحًا:

هو تقسيمُ الفقرةِ إِلَى جُمْلٍ مُتَسَاوِيَةٍ فِي الطُّولِ وَالْقَصْرِ وَالْوِزْنِ. وَلَا يُشْتَرَطُ أَنْ تَكُونَ نِهَايَةً الْجُمْلِ مَسْجُوعَةً، أَوْ غَيْرَ مَسْجُوعَةٍ، وَيُعْرَفُ أَيْضًا بِالْمُزَاوَجَةِ.

أمثلة على الازدواج:

١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ»، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ الْقَتْلُ». رواه البخارى.

انظرُ إِلَى الْجُمْلِ: (يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ - وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ - وَيُلْقَى الشُّحُّ - وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ) تَجِدُ أَنَّهَا مُتَسَاوِيَةٌ فِي الْوِزْنِ، وَهَذَا يُسَعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الْأُذُنَ، وَيَمْلَأُ النَّفْسَ بِهَجَةٍ وَمُتَعَةٍ.

٢ - قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَصِفُ الدُّنْيَا: «أَوَّلُهَا عَنَاءٌ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ، حَلَالُهَا حِسَابٌ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ، مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنَ وَمَنْ مَرَضَ فِيهَا نَدِمَ، وَمَنْ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَعَى لَهَا فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا أَتَتْهُ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا أَعَمَّتْهُ، وَمَنْ نَظَرَ بِهَا بَصَرَتْهُ».

اُنْظُرْ إِلَى الْجَمْلَتَيْنِ: (أَوَّلُهَا عَنَاءٌ - وَآخِرُهَا فَنَاءٌ) تَجِدُ أَنَّهَا مُتَسَاوِيَتَانِ فِي الْوِزْنِ، وَهَذَا يُسَعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الْأُذُنَ. بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ مُقَابَلَةٍ وَسَجْعٍ يَمْلَأَنِ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتَعَةً.

وَأَنْظُرْ إِلَى الْجَمْلَتَيْنِ: (حَالُهَا حِسَابٌ - وَحَرَامُهَا عِقَابٌ) تَجِدُ أَنَّهَا مُتَسَاوِيَتَانِ فِي الْوِزْنِ، وَهَذَا يُسَعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الْأُذُنَ. بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ مُقَابَلَةٍ وَسَجْعٍ يَمْلَأَنِ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتَعَةً.

وَأَنْظُرْ إِلَى الْجَمْلَتَيْنِ: (مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنْ - وَمَنْ مَرَضَ فِيهَا نَدِمَ) تَجِدُ أَنَّهَا مُتَسَاوِيَتَانِ فِي الْوِزْنِ، وَهَذَا يُسَعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الْأُذُنَ. بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ مُقَابَلَةٍ وَسَجْعٍ يَمْلَأَنِ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتَعَةً.

وَأَنْظُرْ إِلَى الْجَمْلِ: (وَمَنْ سَعَى لَهَا فَاتَتْهُ - وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا أَتَتْهُ - وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا أَعَمَّتْهُ - وَمَنْ نَظَرَ بِهَا بَصَرَتْهُ) تَجِدُ أَنَّهَا مُتَسَاوِيَةٌ فِي الْوِزْنِ، وَهَذَا يُسَعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الْأُذُنَ. بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا بَيْنَهَا مِنْ مُقَابَلَاتٍ وَسَجْعٍ تَمْلَأُ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتَعَةً.

٣ - قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي حَجِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

وَأَنْظُرْ إِلَى الْآيَتَيْنِ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ ، ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي حَجِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ تَجِدُ أَنَّهَا مُتَسَاوِيَتَانِ فِي الْوِزْنِ، وَهَذَا يُسَعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الْأُذُنَ. بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ مُقَابَلَةٍ وَسَجْعٍ يَمْلَأَنِ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتَعَةً.

٤ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ» رواه البخاري.

اُنْظُرْ إِلَى الْجَمْلِ: (إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ - وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ - وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ)

تَجِدُ أَنَّهَا مُتَسَاوِيَةٌ فِي الْوِزْنِ، وَهَذَا يُسَعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الْأُذْنَ، وَ يَمْلَأُ النَّفْسَ بِهَجَةٍ وَمُتَعَةٍ.

٥ - قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «الدُّنْيَا إِمَّا نِقْمَةٌ نَازِلَةٌ، وَإِمَّا نِعْمَةٌ زَائِلَةٌ» .

أَنْظُرْ إِلَى الْجَمْلَتَيْنِ: (إِمَّا نِقْمَةٌ نَازِلَةٌ - وَإِمَّا نِعْمَةٌ زَائِلَةٌ) تَجِدُ أَنَّهَا مُتَسَاوِيَتَانِ فِي الْوِزْنِ، وَهَذَا يُسَعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الْأُذْنَ. بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ مُقَابَلَةٍ وَسَجْعٍ يَمْلَأَنِ النَّفْسَ بِهَجَةٍ وَمُتَعَةٍ.

٦ - قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا تَنَازِعُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، فَيَنَازِعُوكُمْ فِي دِينِكُمْ، فَلَا دُنْيَاهُمْ أَصَبْتُمْ، وَلَا دِينَكُمْ أَبْقَيْتُمْ» .

أَنْظُرْ إِلَى الْجَمْلَتَيْنِ: (فَلَا دُنْيَاهُمْ أَصَبْتُمْ - وَلَا دِينَكُمْ أَبْقَيْتُمْ) تَجِدُ أَنَّهَا مُتَسَاوِيَتَانِ فِي الْوِزْنِ، وَهَذَا يُسَعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الْأُذْنَ. بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا بَيْنَهُمَا مِنْ مُقَابَلَةٍ وَسَجْعٍ يَمْلَأَنِ النَّفْسَ بِهَجَةٍ وَمُتَعَةٍ.

٧ - مِثْلُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ [الانشقاق: ٢٢ - ٢٤].

أَنْظُرْ إِلَى الْآيَاتِ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾، ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ تَجِدُ أَنَّهَا مُتَسَاوِيَةٌ فِي الْوِزْنِ، وَهَذَا يُسَعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الْأُذْنَ. بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهَا تَمْلَأُ النَّفْسَ بِهَجَةٍ وَمُتَعَةٍ.

٨ - قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: «لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَقُولُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ الزَّاهِدِينَ، وَيَعْمَلُ فِيهَا عَمَلُ الرَّاعِيَيْنِ، فَإِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ، وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ» .

أَنْظُرْ إِلَى الْجَمْلَتَيْنِ: (يَقُولُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ الزَّاهِدِينَ - وَيَعْمَلُ فِيهَا عَمَلُ الرَّاعِيَيْنِ) تَجِدُ أَنَّهَا مُتَسَاوِيَتَانِ فِي الْوِزْنِ، وَهَذَا يُسَعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الْأُذْنَ.

بالإضافة إلى ما بينهما من مقابلة وسجع يملآن النفس بهجة ومُتعة.

انظر إلى الجملتين: (فإن أعطي منها لم يشبع - وإن منع منها لم يقنع) تجد أنهما متساويتان في الوزن، وهذا يسعد النفس، ويطرب الأذن. بالإضافة إلى ما بينهما من مقابلة وسجع يملآن النفس بهجة ومُتعة.

٩ - قال بعض العلماء: «إن الدنيا كثيرة التغير، سريعة التكرير، شديدة المكر، دائمة الغدر، فاقطع أسباب الهوى عن قلبك، واجعل أبعداً أملك بقية يومك، وكُنْ كأنك ترى ثواب أعمالك».

انظر إلى الجملتين: (كثيرة التغير - سريعة التكرير) تجد أنهما متساويتان في الوزن، وهذا يسعد النفس، ويطرب الأذن، بالإضافة إلى ما بينهما من سجع يملأ النفس بهجة ومُتعة.

وانظر إلى الجملتين: (شديدة المكر - دائمة الغدر) تجد أنهما متساويتان في الوزن، وهذا يسعد النفس، ويطرب الأذن. بالإضافة إلى ما بينهما من سجع يملأ النفس بهجة ومُتعة.

وانظر إلى الجملتين: (فاقطع أسباب الهوى عن قلبك - واجعل أبعداً أملك بقية يومك) تجد أنهما متساويتان في الوزن، وهذا يسعد النفس، ويطرب الأذن. بالإضافة إلى ما بينهما من سجع يملأ النفس بهجة ومُتعة.

١٠ - مثل قول الله عز وجل: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ① لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ② [المعارج: ١، ٢].

انظر إلى الآيتين: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، ﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ تجد أنهما متساويتان في الوزن، وهذا يسعد النفس، ويطرب الأذن. بالإضافة إلى ما بينهما من سجع يملأ النفس بهجة ومُتعة.

١١ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعَفِّهِ اللَّهُ وَمَا أَجْدَلُكُمْ رِزْقًا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» رواه أحمد.

انظر إلى الجمل: (مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ - وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ - وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعَفِّهِ اللَّهُ) تجد أنها متساوية في الوزن، وهذا يسعد النفس، ويطرب الأذن، ويملأ النفس بهجة ومُتعة.

١٢ - قول الله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ۝ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ ۝ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝﴾ [الطارق: ١١ - ١٥].

انظر إلى الآيات: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝﴾، ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝﴾، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ۝﴾، ﴿وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ ۝﴾، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝﴾ تجد أنها متساوية في الوزن، وهذا يسعد النفس، ويطرب الأذن، ويملأ النفس بهجة ومُتعة.

الفائدة البلاغية للازدواج:

الازدواج يسعد النفس، ويطرب الأذن، ويملأ النفس بهجة ومُتعة، ويُعطي جرْسًا موسيقيًا يأخذ بالأسماع والأفهام.

انتبه!

الازدواج يأتي في الشعر والنثر.



تدريبات

عين الازدواج فيما يلي:

١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ① إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ② وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ③ [البروج: ١٢-١٤].

٢ - قول الله عز وجل: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ④ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ⑤ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ⑥﴾ [المدثر: ٣٢-٣٤].

٣ - قول الله: ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةٌ ⑦ يَلِيَّتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةُ ⑧ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ⑨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ⑩﴾ [الحاقة: ٢٦-٢٩].

٤ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه وسلم: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشَّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ».

قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟

قَالَ: «الْقَتْلُ الْقَتْلُ» رواه البخاري.

٥ - كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنْ اكْتُبْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ صلی الله علیه وسلم فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلی الله علیه وسلم يَقُولُ:

«إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْحَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ» رواه البخاري.

٦ - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ⑪ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ⑫ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ⑬﴾ [نوح: ٩-١١].

٧ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلی الله علیه وسلم أَيُّ

الإِسْلَامَ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ، عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»
رواه البخارى.

٨ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلی الله علیه و آله قَالَ: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا،
وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا» رواه البخارى.

٩ - قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي حَجِيمٍ ﴿١٤﴾﴾
[الانفطار: ١٣، ١٤].

١٠ - قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه يَصِفُ الدُّنْيَا: «أَوَّلُهَا عَنَاءٌ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ، حَلَالُهَا
حِسَابٌ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ، مَنْ صَحَّ فِيهَا أُمِنَ وَمَنْ مَرَضَ فِيهَا نَدِمَ، وَمَنْ اسْتَغْنَى
فِيهَا فُتِنَ، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزَنَ، وَمَنْ سَعَى لَهَا فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا أَتَتْهُ، وَمَنْ نَظَرَ
إِلَيْهَا أَعَمَّتْهُ، وَمَنْ نَظَرَ بِهَا بَصَرَتْهُ».

١١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلی الله علیه و آله قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا
حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ» رواه البخارى.

١٢ - قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «الدُّنْيَا إِمَّا نِقْمَةٌ نَازِلَةٌ، وَإِمَّا نِعْمَةٌ زَائِلَةٌ».

١٣ - قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تَنَازَعُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ،
فَيَنَازِعُوكُمْ فِي دِينِكُمْ، فَلَا دُنْيَاهُمْ أَصَابَتْكُمْ، وَلَا دِينُكُمْ أَبْقِيَتْكُمْ».

١٤ - مثل قول الله عز وجل: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الانشقاق: ٢٢ - ٢٤].

١٥ - قَالَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: «لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَقُولُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ
الزَّاهِدِينَ، وَيَعْمَلُ فِيهَا عَمَلِ الرَّاعِيَيْنِ، فَإِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ، وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ
يَقْنَعْ».

١٦ - قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: «إِنَّ الدُّنْيَا كَثِيرَةُ التَّغْيِيرِ، سَرِيعَةُ التَّنْكِيرِ، شَدِيدَةُ الْمَكْرِ، دَائِمَةُ الْغَدْرِ، فَاقْطَعْ أَسْبَابَ الْهَوَى عَنْ قَلْبِكَ، وَاجْعَلْ أَبْعَدَ أَمَلِكَ بَقِيَّةَ يَوْمِكَ، وَكُنْ كَأَنَّكَ تَرَى ثَوَابَ أَعْمَالِكَ».



الفصل الخامس الجناس

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الخامس

الجناس

الجناسُ في اللغة:

المشاكلة، والاتحاد في الجنس، يقال لغة: جَانَسَهُ، إذا شاكله، وإذا اشترك معه في جنسه، وجَنَسُ الشيء أصله الذي اشْتَقَّ منه، ونَفَرَّعَ عنه، واتَّحَدَ معه في صفاته العظمى التي تُقَوِّمُ ذاته. ويُسمَّى الجناسُ أيضًا بـ (التَّجْنِيسِ).

والجناسُ في الاصطلاح:

هُوَ أَنْ يَتَشَابَهَ اللَّفْظَانِ فِي النُّطْقِ وَيُخْتَلِفَا فِي الْمَعْنَى.

مثل: صَلَّيْتُ الْمَغْرِبَ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ.

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى لَفْظِي (الْمَغْرِبَ - الْمَغْرِبِ) نَجِدُ أَنَّهُمَا تَشَابَهَا فِي اللَّفْظِ، وَاخْتَلَفَا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ.

وَالْمُرَادُ مِنْ لَفْظِ (الْمَغْرِبِ) الْأَوَّلَى: أَى صَلَاةِ الْمَغْرِبِ.

وَالْمُرَادُ مِنْ لَفْظِ (الْمَغْرِبِ) الْأُخْرَى: أَى دَوْلَةِ الْمَغْرِبِ الشَّقِيقِ.

ومثل قول الله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ

كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم: ٥٥].

عِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى لَفْظِي (السَّاعَةُ - سَاعَةٍ) نَجِدُ أَنَّهُمَا تَشَابَهَا فِي اللَّفْظِ، وَاخْتَلَفَا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ.

وَالْمُرَادُ مِنْ لَفْظِ (السَّاعَةِ): الْبَعْثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

والمُرَادُ مِنْ لَفْظِ (سَاعَةٍ): مُدَّةٌ زَمَنِيَّةٌ مِنْ أَزْمَانِ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ الْمُقَسَّمِ إِلَى (٢٤) سَاعَةٍ، أَيْ أَتَاهُمْ مَا لَبَثُوا فِي الْقَبْرِ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْبَعْثِ إِلَّا سَاعَةً مِنَ السَّاعَاتِ الْقَلِيلَةِ.

وَلَا يَضُرُّ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافُ الْحَرَكَةِ الْإِعْرَابِيَّةِ، وَلَا وُجُودُ (ال) فِي إِحْدَى الْكَلِمَتَيْنِ لَزِيادَتِهَا عَلَى الْكَلِمَةِ.

ومثل قول بعض البلغاء: يَا مَعْرُورُ أَمْسِكْ، وَقِسْ يَوْمَكَ بِأَمْسِكَ .
عِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى لَفْظِي (أَمْسِكْ - بِأَمْسِكَ) نَجِدُ أَنَّهَا تَشَابَهَا فِي اللَّفْظِ، وَاخْتَلَفَا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ.

والمُرَادُ مِنْ لَفْظِ (أَمْسِكْ): فَعْلٌ أَمْرٌ، مُضَارَعَةٌ: يُمْسِكُ.
والمُرَادُ مِنْ لَفْظِ (بِأَمْسِكَ): الْبَاءُ حَرْفُ جَرٍّ، أَمْسٍ: اسْمُ مَجْرُورٍ بِالْبَاءِ، وَعَلَامَةُ جَرِّهِ الْكَسْرَةُ، وَهُوَ مَا يَسْبِقُ الْيَوْمَ.

أَنْوَاعُ الْجِنَاسِ:

اعْتَنَى عُلَمَاءُ الْبَدِيعِ بِتَقْسِيمِ الْجِنَاسِ إِلَى أَنْوَاعٍ، اعْتِمَادًا عَلَى اسْتِقْرَاءِ الْأَمْثَلَةِ وَتَتَبُعِهَا، إِلَّا أَنَّهُمْ أَسْرَفُوا فِي وَضْعِ أَسْمَاءٍ لِكُلِّ فَرْعٍ مِنْ فُرُوعِ أَنْوَاعِهِ، وَهُوَ أَمْرٌ يُرْهَقُ مُحْكَلُّ النَّصُوصِ، وَيُضْرَفُ عَنْ تَذَوُّقِ الْجَمَالِ الْأَدَبِيِّ، لِيَهْتَمَّ بِالتَّحْلِيلِ الْإِلَهِيِّ، وَتَذَكُّرِ الْأَسْمِ الْخَاصِّ بِكُلِّ فَرْعٍ مِنْ هَذِهِ الْفُرُوعِ.

وَيُمْكِنُ أَنْ نُجْمِلَهَا فِيمَا يَلِي:

أَوَّلًا: الْجِنَاسُ الْقَامُّ:

وَهُوَ مَا اتَّفَقَ فِيهِ اللَّفْظَانِ فِي أُمُورٍ، هِيَ:

١ - الضَّبْطُ وَالتَّشْكِيلُ.

٢ - عَدَدُ الْحُرُوفِ.

٣ - تَرْتِيبُ الْحُرُوفِ.

مثل قول الله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم: ٥٥].

فَالْمُرَادُ مِنَ (السَّاعَةِ) الْأُولَى: يَوْمُ الْقِيَامَةِ. وَالْمُرَادُ مِنَ (سَاعَةِ) الثَّانِيَةِ: وَاحِدَةُ السَّاعَاتِ الزَّمَانِيَّةِ.

وَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنْ (السَّاعَةِ - سَاعَةٍ) نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا فِي الضَّبْطِ أَوِ التَّشْكِيلِ، وَتَشَابَهَا أَيْضًا فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا. وَاخْتَلَفَا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

ومثل قول الشاعر:

عُودِي فَإِنَّكَ إِن تَعُودِي يَخْضَرُ بَعْدَ الْمَوْتِ عُودِي

فَالْمُرَادُ مِنَ (عُودِي) الْأُولَى: فِعْلٌ أَمْرٌ بِمَعْنَى: ارْجِعِي.. وَالْمُرَادُ مِنَ (عُودِي) الثَّانِيَةِ: جِسْمِي؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

وَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنْ (عُودِي - عُودِي) نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا فِي الضَّبْطِ أَوِ التَّشْكِيلِ، وَتَشَابَهَا أَيْضًا فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا. وَاخْتَلَفَا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

وكذا قول الشاعر:

وَسَلَا مِصْرَ هَلْ سَلَا الْقَلْبُ عَنْهَا أَوْ أَسَى جُرْحَهُ الزَّمَانُ الْمَوْسَى

فَالْمُرَادُ مِنَ (سَلَا) الْأُولَى: فِعْلٌ أَمْرٌ: إِسْأَلًا. وَالْمُرَادُ مِنَ (سَلَا) الثَّانِيَةِ: نَسِيَ؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

وَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنْ (سَلا - سَلا) نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا فِي الضَّبْطِ أَوْ التَّشْكِيلِ، وَتَشَابَهَا أَيْضًا فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا. وَاخْتَلَفَا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

وقول الشاعر:

حَدَقُ الْآجَالِ آجَالُ وَالْهَوَى لِلْمَرْءِ قِتَالُ

فَالْمُرَادُ مِنَ (الْآجَالِ) الْأَوَّلَى: جَمْعُ إِجْلٍ بِالْكَسْرِ، وَهُوَ الْقَطِيعُ مِنَ الْأَبْقَارِ الْوَحْشِيَّةِ. وَالْمُرَادُ مِنَ (آجَالِ) الثَّانِيَةِ: جَمْعُ أَجَلٍ، وَالْمُرَادُ بِهِ مُتَهَيِّ الْأَعْمَارِ؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

وَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنْ (الْآجَالِ - آجَالِ) نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا فِي الضَّبْطِ أَوْ التَّشْكِيلِ، وَتَشَابَهَا أَيْضًا فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا. وَاخْتَلَفَا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

وقول أبي تمام:

مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

فَالْمُرَادُ مِنَ (يَحْيَا) الْأَوَّلَى: يَعِيشُ. وَالْمُرَادُ مِنَ (يَحْيَى) الثَّانِيَةِ: الْأِسْمُ يَحْيَى ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

وَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنْ (يَحْيَا - يَحْيَى) نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا فِي الضَّبْطِ أَوْ التَّشْكِيلِ، وَتَشَابَهَا أَيْضًا فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا. وَاخْتَلَفَا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

ومثل قول الشاعر:

إِذَا مَلَكَ لَمْ يَكُنْ ذَاهِبَهُ فَدَعَاهُ فَدَوَّلَتْهُ ذَاهِبَهُ

فَالْكَرْمُ مِنَ الْخِصَالِ الَّتِي يُسْتَحَبُّ أَنْ تَكُونَ فِي الْمَلِكِ، وَذَلِكَ هُوَ الْأَصْلُ فِي اسْتِئَالَةِ الْقُلُوبِ.

فَالْمُرَادُ مِنَ (ذَا هِبَةٍ) الْأُولَى: صَاحِبُ هِبَةٍ وَعَطَاءٍ. وَهُوَ مُرَكَّبٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ، وَالْمُرَادُ مِنَ (ذَا هِبَةٍ) الثَّانِيَةِ: اسْمُ فَاعِلٍ مِنَ الذَّهَابِ؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

وَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنْ (ذَا هِبَةٍ - ذَا هِبَةٍ) نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا فِي الضَّبْطِ أَوِ التَّشْكِيلِ، وَتَشَابَهَا أَيْضًا فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا. وَاخْتَلَفَا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

ومثل قول الشاعر:

عَضْنَا الدَّهْرُ بِنَابِهِ لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَابِهِ
لَا يُوَالِي الدَّهْرُ إِلَّا خَامِلًا لَيْسَ بِنَابِهِ

فَالْمُرَادُ مِنَ (بِنَابِهِ) الْأُولَى: سِنَّهُ الْمَعْرُوفُ بِالنَّابِ. وَالْمُرَادُ مِنَ (بِنَابِهِ) الثَّانِيَةِ: الْبَاءُ حَرْفُ جَرٍّ، وَ(نَا): ضَمِيرٌ مَبْنِيٌّ فِي مَحَلِّ جَرِّ اسْمِ مَجْرُورٍ، وَ(بِهِ) الْبَاءُ: حَرْفُ جَرٍّ، وَ(الهاء): ضَمِيرٌ مَبْنِيٌّ فِي مَحَلِّ جَرِّ اسْمِ مَجْرُورٍ، وَالضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى الدَّهْرِ، فَالْمُرَادُ مِنَ (بِنَابِهِ) الثَّلَاثَةِ: الْبَاءُ حَرْفُ جَرٍّ، وَ(نَابِهِ) أَيُّ كُلِّ ذِي شَرَفٍ وَشُهْرَةٍ وَتَبَاهَةٍ؛ لِذَا بَيْنَ الْأَلْفَاظِ الثَّلَاثَةِ جِنَاسٌ تَامٌّ.

وَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنْ (بِنَابِهِ - بِنَابِهِ - بِنَابِهِ) نَجِدُ أَنَّ الْأَفْظَاهُ قَدْ تَشَابَهَتْ فِي الضَّبْطِ أَوِ التَّشْكِيلِ، وَتَشَابَهَتْ أَيْضًا فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا. وَاخْتَلَفَتْ فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌّ.

مثل قول الشاعر:

يَزِيدُ لَهُ أَيَادٍ لَا تَبَارَى وَيَسْبِقُ مَنْ رَجَاهُ لِمَا يُرِيدُ
يَزِيدُ عَطَاؤُهُ مَا جِئْتَ تَرْجُو نَدَاهُ بِكُلِّ أَوْنَةٍ يَزِيدُ

فَالْمُرَادُ مِنْ (يَزِيدُ) الْأُولَى: إِسْمُ رَجُلٍ. وَالْمُرَادُ مِنْ (يَزِيدُ) الثَّانِيَةِ: فِعْلٌ مُضَارِعٌ؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ تَامٌ.

وَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنْ (يَزِيدُ - يَزِيدُ) نَجِدُ أَنَّ أَلْفَاظَهَا قَدْ تَشَابَهَتْ فِي الضَّبْطِ أَوِ التَّشْكِيلِ، وَتَشَابَهَتْ أَيْضًا فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا.

وَاخْتَلَفَتْ فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهَا جِنَاسٌ تَامٌ.

يَزِيدُ: الْأُولَى اسْمُ عَلَمٍ، يَزِيدُ: الثَّانِيَةِ فِعْلٌ مُضَارِعٌ.

ثَانِيًا: الْجِنَاسُ النَّاقِصُ:

هُوَ أَنْ يَتَّفَقَ اللَّفْظَانِ فِي الْكِتَابَةِ وَالنُّطْقِ، إِلَّا أَنَّهُمَا يَخْتَلِفَانِ فِي وَاحِدٍ مِنَ الْأُمُورِ التَّالِيَةِ:

١ - الضَّبْطُ أَوِ التَّشْكِيلِ.

٢ - عَدَدِ الْحُرُوفِ.

٣ - تَرْتِيبِ الْحُرُوفِ.

٤ - أَنْوَاعِ الْحُرُوفِ وَتَقَارُبِهَا.

مَعَ اخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ فِي الْمَعْنَى.

١ - الضَّبْطُ أَوِ التَّشْكِيلِ:

مِثْلُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ ٧٢ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَنِقَةُ

الْمُنْذِرِينَ ﴿٧٣﴾ [الصافات: ٧٢، ٧٣].

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنْ ﴿مُنْذِرِينَ﴾ ، ﴿الْمُنْذِرِينَ﴾ نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا إِلَّا أَنَّهُمَا اخْتَلَفَا فِي الضَّبْطِ أَوِ التَّشْكِيلِ، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

ومثل: لَا تُتَالِ الْغَرَرَ إِلَّا بِرُكُوبِ الْغَرَرِ.

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنَ (الْغَرَر - الْغَرَر) نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا إِلَّا أَنَّهَا اخْتَلَفَا فِي الضَّبْطِ أَوْ التَّشْكِيلِ، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ. الْغَرَرُ: جَمْعُ أَغْرَ، وَهُوَ الْحَسَنُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

الْغَرَرُ: الْخَطَرُ، وَالتَّعَرُّضُ لِلْهَلَكَةِ.

ومثل قَوْلِ ابْنِ الْفَارِضِ:

هَلَا نَهَاكَ نُهَاكَ عَنْ لَوْمِ امْرِئٍ لَمْ يُلَفَّ غَيْرَ مُنْعَمٍ بِشَقَاءٍ

نُهَاكَ: الْأُولَى ضِدُّ أَمْرِكَ.

نُهَاكَ: النَّهْيُ: الْعَقْلُ، وَالْمَعْنَى: هَلَا زَجَرَكَ عَقْلُكَ عَنْ لَوْمِ امْرِئٍ.

٢ - عَدَدُ الْحُرُوفِ:

مثل قول الله عز وجل: ﴿وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾

[القيامة: ٢٩، ٣٠].

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنَ (السَّاق - الْمَسَاق) نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إِلَّا أَنَّهَا قَدْ اخْتَلَفَا فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ بِزِيَادَةِ الْمِيمِ فِي الْآخِرَةِ، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

السَّاقُ: لِلْقَدَمِ.

الْمَسَاقُ: الْمَرْجِعُ وَالْمَصِيرُ.

ومثل: الْهُوَى مَطِيَّةُ الْهُوَانِ، وَدَوَامُ الْحَالِ مِنَ الْمُحَالِ.

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنَ (الْهُوَى - الْهُوَانِ) نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إِلَّا أَنَّهَا قَدْ اخْتَلَفَا فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ بِزِيَادَةِ النُّونِ فِي الْآخِرَةِ، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

الهُوَى: الْمَزَاج، الْهُوَانِ: الذُّلُّ وَالْمَذَلَّةُ.

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنْ (الْحَال - الْمُحَال) نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إِلَّا أَنَّهُمَا قَدْ اخْتَلَفَا فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ بِزِيَادَةِ الْمِيمِ فِي الْأَخِيرَةِ، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

الْحَال: الْحَالَةُ مِنْ فَقْرٍ وَغِنَى وَصِحَّةٍ وَمَرَضٍ وَشَبَابٍ وَقُوَّةٍ..إلخ .

الْمُحَال: الْمُسْتَحِيل.

٣ - أنواع الحروف وتقاربها:

وَقَدْ يَكُونُ الْاِخْتِلَافُ فِي أَنْوَاعِ الْحُرُوفِ بِأَنْ تَكُونَ مُتَقَارِبَةً فِي الْمَخْرَجِ، مِثْلَ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦].

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنْ ﴿يَنْهَوْنَ﴾، ﴿يَنْعَوْنَ﴾ نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إِلَّا أَنَّهُمَا قَدْ اخْتَلَفَا فِي حَرْفِي (الهاء - الهمزة)، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

﴿يَنْهَوْنَ﴾: مَنْ النَّهَى، أَيْ أَنَّ الْكُفَّارَ يَنْهَوْنَ عَنِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ، وَهُوَ عَكْسُ الْأَمْرِ.

﴿يَنْعَوْنَ﴾: يَتَّبَاعِدُونَ عَنْهُ، أَيْ أَنَّ الْكُفَّارَ يَتَّبَاعِدُونَ عَنِ النَّبِيِّ، فَلَا يُؤْمِنُونَ بِهِ.

ومثل حديث عُرْوَةَ بْنِ الْجَعْدِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» رواه البخاري.

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنْ (الْخَيْلُ - الْخَيْرُ) نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إِلَّا أَنَّهُمَا قَدْ اخْتَلَفَا فِي حَرْفِي (اللام - الراء)، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنْ ﴿هُمَزَةٍ﴾، ﴿لُّمَزَةٍ﴾ نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إِلَّا أَنَّهُمَا قَدْ اخْتَلَفَا فِي حَرْفِ (الهاء - اللام)، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

﴿هُمَزَةٍ﴾: هُوَ الَّذِي يَغْتَابُ وَيَطْعَنُ فِي وَجْهِ الرَّجُلِ.

﴿لُّمَزَةٍ﴾: هُوَ الَّذِي يَغْتَابُ وَيَطْعَنُ الرَّجُلَ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، أَيْ إِذَا غَابَ.

ومثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥].

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنْ ﴿تَفْرَحُونَ﴾، ﴿تَمْرَحُونَ﴾ نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إِلَّا أَنَّهُمَا قَدْ اخْتَلَفَا فِي حَرْفِ (الفاء - الميم)، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

ومثل قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢].

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنْ (سَبَإٍ - نَبَإٍ) نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إِلَّا أَنَّهُمَا قَدْ اخْتَلَفَا فِي حَرْفِ (السين - النون)، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

سَبَإٍ: قَبِيلَةٌ بِالْيَمَنِ، نَبَإٍ: أَيْ خَبَرٌ.

تَعْيِيرٌ جَمِيلٌ لَفْظًا، دَقِيقٌ مَعْنَى، أَلَا تَرَاهُ لَوْ قَالَ: (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِخَبَرٍ) لَاسْتَحْتَلَّ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى مَعًا؛ لِأَنَّ الْخَبَرَ يُرَادُّ بِهِ مُطْلَقُ الْخَبَرِ، أَمَّا النَّبَأُ فَلَا يُقَالُ إِلَّا لِلْخَبَرِ الْعَجِيبِ الْهَامِّ الْمُؤَلَّفِ لِلنَّظَرِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبا: ١، ٢].

وَالْجِنَاسُ لَا يَكُونُ جَمِيلًا مُؤَثِّرًا إِلَّا إِذَا جَاءَ طَبِيعِيًّا غَيْرَ مُتَكَلِّفٍ.

وَمِثَالُ ذَلِكَ هَذَا الْجِنَاسُ النَّاقِصُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] فَقَدْ وَرَدَ اللَّفْظُ الْمُنَاسِبُ مُعْبَّرًا عَنِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ دُونَ تَكَلُّفٍ، فَالْهُمَزَةُ هُوَ الَّذِي يَعِيبُ بِالْقَوْلِ.

وَاللُّمَزَةُ: الَّذِي يَعِيبُ بِالْفِعْلِ، فَالْقُرْآنُ لَا يَتَصَيَّدُ لَفْظًا لِيُحْدِثَ جِنَاسًا، إِنَّمَا يَأْتِي الْجِنَاسُ فِيهِ طَبِيعِيًّا يَفْتَضِيهِ الْمَعْنَى.

وَقَدْ يَأْتِي الْجِنَاسُ مُضْطَرِبًا مُتَكَلِّفًا، يَتَصَيَّدُهُ صَاحِبُهُ، كَقَوْلِ أَحَدِهِمْ يَنْحِتُ الْكَلَامَ نَحْتًا فَيَأْتِي بِسَجْعٍ رَكِيكٍ: فِي أَثْنَاءِ مَا كُنَّا نَسِيرُ، نَزَلَ الْمَطَرُ كَأَفْوَاهِ الْقَرَبِ، فَوَقَعَ رَجُلٌ كَانَ يَحْمِلُ الْعِنَبَ.

وَمِثْلُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٣٦﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٣٧﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].
فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مَنْ (نَاضِرَةٌ - نَاضِرَةٌ) نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إِلَّا أَنَّهُمَا قَدْ اخْتَلَفَا فِي حَرْفِي (الضَّاد - الظَّاء)، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

نَاضِرَةٌ: حَسَنَةٌ مُضِيئَةٌ / نَاضِرَةٌ: مُبْصِرَةٌ، وَيَرَوْنَ اللَّهَ.

وَمِثْلُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿١٠١﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠٢﴾﴾ [الضحى: ٩، ١٠].

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مَنْ (تَقْهَرْ - تَنْهَرْ) نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إِلَّا أَنَّهُمَا قَدْ اخْتَلَفَا فِي حَرْفِي (الْقَاف - النُّون)، وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

تَقْهَرْ: تَظْلِمُهُ بِأَخْذِ مَالِهِ فَيَتَحَسَّرَ / تَنْهَرْ: تَزْجُرُهُ لِفَقْرِهِ.

ومثل قول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ (٧٩، ٨٠).
يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ [الشعراء: ٧٩، ٨٠].

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنْ (يَسْقِينِ - يَشْفِينِ) نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إِلَّا أَنَّهَا قَدْ اِخْتَلَفَا فِي تَرْتِيبِ الْحُرُوفِ، فَمَجْمُوعُ الْحُرُوفِ فِي الْكَلِمَتَيْنِ، هُوَ: (ي - س - ق - ي - ن).

وَإِخْتِلَافًا أَيْضًا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

ومثل قول الشاعر:

يَا لِلْغُرُوبِ وَمَا بِهِ مِنْ عَبْرَةٍ لِلْمُسْتَهَامِ وَعَبْرَةٌ لِلرَّائِي

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنْ (عَبْرَةٍ - عَبْرَةٍ) نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إِلَّا أَنَّهَا قَدْ اِخْتَلَفَا فِي تَرْتِيبِ الْحُرُوفِ، فَمَجْمُوعُ الْحُرُوفِ فِي الْكَلِمَتَيْنِ، هُوَ: (ع - ب - ر - ة).
وَإِخْتِلَافًا أَيْضًا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

عَبْرَةٌ: الْأَوَّلَى بِمَعْنَى: دَمْعَةٌ.

عَبْرَةٌ: الثَّانِيَةُ بِمَعْنَى: مَوْعِظَةٌ.

٤ - تَرْتِيبُ الْحُرُوفِ:

عَنْ رُبَيْحِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْنَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ مِنْ شَيْءٍ نَقُولُهُ فَقَدْ بَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، قَالَ: فَضَرَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَجْوهَ أَعْدَائِهِ بِالرَّيْحِ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالرَّيْحِ» رواه أحمد.

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنْ (عَوْرَاتِنَا - رَوْعَاتِنَا) نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إِلَّا أَنَّهَا قَدْ اِخْتَلَفَا فِي تَرْتِيبِ الْحُرُوفِ، فَمَجْمُوعُ الْحُرُوفِ فِي الْكَلِمَتَيْنِ، هُوَ: (ع - و - ر - ا - ت - ن - ا).

وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

الرَّوْعَةُ: الْمَرَّةُ مِنَ الرَّوْعِ، وَهُوَ الْخَوْفُ.

الْعَوْرَةُ: السَّوَاءُ الَّتِي يَسُوءُ النَّظَرُ إِلَيْهَا.

ومثل قول أبي تمام:

بِيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي مُتُونِنَ جَلَاءِ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ

فَعِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى كُلِّ مِنَ (الصَّفَائِحِ - الصَّحَائِفِ) نَجِدُ أَنَّ لَفْظَهُمَا قَدْ تَشَابَهَا، إِلَّا أَنَّهُمَا قَدْ اخْتَلَفَا فِي تَرْتِيبِ الْحُرُوفِ، فَمَجْمُوعُ الْحُرُوفِ فِي الْكَلِمَتَيْنِ، هُوَ: (ا - ل - ص - ح - ا - ن - د - ف).

وَاخْتَلَفَا أَيْضًا فِي الْمَعْنَى؛ لِذَا بَيْنَهُمَا جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

الصَّفَائِحِ: جَمْعُ صَفِيحَةٍ، يُرِيدُ بِهَا السَّيُوفَ، وَمَتْنُ السَّيْفِ حَدُّهُ.

الصَّحَائِفِ: جَمْعُ صَحِيفَةٍ، وَهِيَ الْوَرَقَةُ.

الفائدة البلاغية للجناس:

يُعْطِي الْجِنَاسُ جَرَسًا مُوسِيقِيًّا. مِنْ خِلَالِ إِيقَاعِ الْوَزْنِ بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ، كَمَا أَنَّهُ يُعْمَلُ الدَّهْنُ؛ حَتَّى يَصِلَ لِلْفَرْقِ بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ، وَيُعْطِي لِلْعِبَارَةِ نَعْمَةً جَمِيلَةً تَتَوَافَقُ مَعَ الْمَعْنَى.

انتبه! الْجِنَاسُ يَأْتِي فِي الشَّعْرِ وَالتَّنْصِيرِ.

ملاحظة:

الْأَفْضَلُ أَلَّا نَقُولَ: فِي الْقُرْآنِ جِنَاسٌ نَاقِصٌ؛ فَالْقُرْآنُ يَحُلُو مِنَ النَّقْصِ، غَيْرَ أَنَّ عُلَمَاءَ الْبَلَاغَةِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - هُمْ الَّذِينَ قَسَّمُوا هَذِهِ التَّقْسِيمَاتِ.



تدريبات

عَيْنُ كُلِّ جَنَاسٍ فِيمَا يَلِي:

١ - قول الله: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٧٩، ٨٠].

٢ - عَنْ رُبَيْحِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْنَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ مِنْ شَيْءٍ نَقُولُهُ فَقَدْ بَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ؟ قَالَ: نَعَمْ «اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا»، قَالَ: فَضَرَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَجْوهَ أَعْدَائِهِ بِالرَّيْحِ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالرَّيْحِ. رواه أحمد.

٣ - قول الله: ﴿وَأَلْتَفَتِ الْأَسَاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ [القيامة: ٢٩، ٣٠].

٤ - ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦].

٥ - حَدِيثُ عُرْوَةَ بْنِ الْجَعْدِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْحَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» رواه البخاري.

٦ - قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ [الهمزة: ١].

٧ - قوله عز وجل: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [غافر: ٧٥].

٨ - الْهَوَى مَطِيَّةُ الْهَوَانِ، وَدَوَامُ الْحَالِ مِنَ الْمُحَالِ.

٩ - قول الشاعر:

رَحَلْتُ عَنِ الدِّيَارِ لَكُمْ أَسِيرُ وَقَلْبِي فِي حَبَابِكُمْ أَسِيرُ

١٠ - قول الشاعر:

عُودِي فَإِنَّكَ إِن تَعُودِي
يَخْضَرُ بَعْدَ الْمَوْتِ عُودِي

١١ - قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَسَلَا مِصْرَ هَلْ سَلَا الْقَلْبُ عَنْهَا
أَوْ أَسَى جُرْحَهُ الزَّمَانُ الْمُؤَسَّى

١٢ - مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

يَا لِلْغُرُوبِ وَمَا بِهِ مِنْ عَبْرَةٍ
لِلْمُسْتَهَامِ وَعَبْرَةٌ لِلرَّائِي

١٣ - قول الشاعر:

حَدَقُ الْآجَالِ آجَالُ
وَالْهَوَى لِلْمَرْءِ قِتَالُ

١٤ - قول أبي تمام:

مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ
يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

١٥ - قول الشاعر:

إِذَا مَلَكَ لَمْ يَكُنْ ذَاهِبَةً
فَدَعَاهُ فَذَوَّلَتْهُ ذَاهِبَةً

١٦ - قول الشاعر:

عَظُّنَا الدَّهْرُ بِنَابِهِ
لَا يُوَالِي الدَّهْرَ إِلَّا
لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَابِهِ
خَامِلًا لَيْسَ بِنَابِهِ

١٧ - قول الشاعر:

يَزِيدُ لَهُ أَيَادٍ لَا تُبَارَى
يَزِيدُ عَطَاؤُهُ مَا جِئْتَ تَرْجُو
وَيَسْبِقُ مَنْ رَجَاهُ لِمَا يُرِيدُ
نَدَاهُ بِكُلِّ أَوْنَةٍ يَزِيدُ

١٨ - مثل قول الله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ ﴿٧٢﴾ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عِقَابُهُ
الْمُنْذِرِينَ ﴿٧٣﴾ [الصافات: ٧٢، ٧٣].

١٩ - صَلَّيْتُ الْمَغْرِبَ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ.

٢٠ - قول بعض البلغاء: يَا مَغْرُورُ أَمْسِكْ، وَقَسْ يَوْمَكَ بِأَمْسِكَ .

٢١ - قول الله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ
كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ [الروم: ٥٥].

٢٢ - لَا تُنَالِ الْغُرَرَ إِلَّا بِرُكُوبِ الْغَرَرِ.

٢٣ - قَوْلِ ابْنِ الْفَارِضِ:

هَلَّا نَهَاكَ نَهَاكَ عَنْ لَوْمِ امْرِئٍ لَمْ يُلَفْ غَيْرَ مُنَعَمٍ بِشَقَاءٍ

٢٤ - قوله تعالى: ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ
سَبِيلٍ بَنَّا يَقِينُ﴾ ﴿٢٢﴾ [النمل: ٢٢].

٢٥ - قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ ﴿٢٣﴾
[القيامة: ٢٢، ٢٣].

٢٦ - قول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ ﴿١١﴾
[الضحى: ٩، ١٠].

٢٧ - قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى
الرَّسُولِ وَالْيَاسِرِ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٣﴾ [النساء: ٨٣].

٢٨ - قول أبي تمام:

بِیْضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودَ الصَّحَائِفِ فِي مُتُونِنَ جَلَاءِ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ



الفصل السادس

التصريح

رَفَعُ
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل السادس

التصريح

التصريح في اللغة:

مَصْدَرُ صَرَعَ. صَرَعَ يَصْرَعُ صَرْعًا، وَصِرْعًا، أَي: الطَّرْحُ بِالْأَرْضِ، فَهُوَ مَصْرُوعٌ وَصَرِيعٌ، وَالْجَمْعُ: صَرَغَى.

والمُصَارَعَةُ وَالصَّرَاعُ مُعَالَجَتُهُمَا أَيُّهُمَا يَصْرَعُ صَاحِبَهُ.

وفي الحديث عَنِ ابْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالْحَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، تُفَيِّئُهَا الرِّيحُ، تَصْرَعُهَا مَرَّةً، وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى، حَتَّى يَأْتِيَهُ أَجَلُهُ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ مَثَلُ الْأَرْزَةِ الْمُجْدِيَةِ عَلَى أَصْلِهَا، لَا يُقْلِبُهَا شَيْءٌ حَتَّى يَكُونَ أَنْجَعًا مَرَّةً» رواه أحمد.

الْحَامَةُ: الْغَضَّةُ اللَّيْنَةُ مِنَ الزَّرْعِ.

تُفَيِّئُهَا: تُحَرِّكُهَا وَتَمِيلُهَا يَمِينًا وَشِمَالًا.

تَصْرَعُهَا: تُمِيلُهَا وَتَرْمِيهَا مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ.

تَعْدِلُهَا: تَرْفَعُهَا.

الْمُجْدِيَةُ: الثَّابِتَةُ الْمُتَنْصِبَةُ.

الْأَنْجَعُ: الْإِنْقِلَاعُ.

ويقال لِلْأَمْرِ صَرَعَانِ أَيِ طَرَفَانِ وَمِصْرَاعَا الْبَابِ بَابَانِ مَنْصُوبَانِ يَنْضَمَانِ جَمِيعًا، مَدْخُلُهَا فِي الْوَسْطِ مِنَ الْمِصْرَاعَيْنِ.

وَصَرَغَ الْبَابَ جَعَلَ لَهُ مِصْرَاعَيْنِ، قَالَ أَبُو إِسْحَقَ: الْمِصْرَاعَانِ بَابَا الْقَصِيدَةِ
بِمَنْزِلَةِ الْمِصْرَاعَيْنِ اللَّذَيْنِ هُمَا بَابَا الْبَيْتِ.

قال الأزهري: والمِصْرَاعَانِ مِنَ الشُّعْرِ مَا كَانَ فِيهِ قَافِيَتَانِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، وَمِنْ
الْأَبْوَابِ مَا لَهُ بَابَانِ مَنْصُوبَانِ يَنْضَمَانِ جَمِيعًا مَدْخُلُهُمَا بَيْنَهُمَا فِي وَسْطِ الْمِصْرَاعَيْنِ.

التصريح في الاصطلاح:

هُوَ أَنْ يَتَّفَقَ آخِرُ جُزْءٍ مِنْ صَدْرِ الْبَيْتِ مَعَ آخِرِ جُزْءٍ مِنْ عَجْزِهِ فِي الْوَزْنِ
وَالْإِعْرَابِ وَالْقَافِيَةِ.

أَوْ هُوَ اتِّفَاقُ نِهَآيَةِ شَطْرِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَأَحْسَنُ مَا يَكُونُ فِي
أَوَّلِ الْقَصِيدَةِ.

أَوْ هُوَ كُلُّ بَيْتٍ يَتَسَاوَى الْجُزْءُ الْأَخِيرُ مِنْ صَدْرِهِ وَالْجُزْءُ الْأَخِيرُ مِنْ عَجْزِهِ
فِي الْوَزْنِ.

فَالْمَعْرُوفُ أَنَّ (بَيْتَ الشُّعْرِ) يَتَكَوَّنُ مِنْ شَطْرَيْنِ: الشَّطْرُ الْأَوَّلُ اسْمُهُ صَدْرٌ،
وَالشَّطْرُ الثَّانِي اسْمُهُ عَجْزٌ. وَالتَّصْرِيحُ أَنْ يَتَّفَقَ الْحَرْفُ الْأَخِيرُ فِي نِهَآيَةِ كُلِّ شَطْرٍ
مِنَ الشَّطْرَيْنِ.

مثل قول امرئ القيس في مطلع قصيدته:

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ

وَلَا يُخْفَى أَنَّ التَّصْرِيحَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي أَوَّلِ بَيْتٍ مِنَ الْقَصِيدَةِ أَوْ عِنْدَ الْخُرُوجِ.

ومثل قول الشاعر:

اِخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يُنْسَى اذْكُرْ أَلِي الصَّبَا وَأَيَّامَ أَنْسَى

فَنَجِدُ أَنَّ الْكَلِمَتَيْنِ (يُنْسَى - أَنْسَى) قَدْ اتَّفَقَتَا فِي الْحَرْفِ الْأَخِيرِ مِنْهُمَا، وَهُمَا
نِهَآيَتَا شَطْرِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ.

ومثل قول امرئ القيس:

أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يَنْعَمَنَّ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي؟

ف نجد أن الكلمتين (البالي - الخالي) قد اتفقتا في الحرف الأخير منهما، وهما
نهايتا شطري البيت الأول.

ومثل قول عنتره:

سَكَتٌ فَغَرَّ أَعْدَائِي السُّكُوتُ وَظَنُونِي لِأَهْلِي قَدْ نَسِيتُ

ف نجد أن الكلمتين (السُّكُوتُ - نَسِيتُ) قد اتفقتا في الحرف الأخير منهما،
وهما نهايتا شطري البيت الأول.

ومثل قول الشاعر:

حَلِيلِي مُرَّابِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ لَأَقْضِي حَاجَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعَذَّبِ

ف نجد أن الكلمتين (جندب - الْمُعَذَّبِ) قد اتفقتا في الحرف الأخير منهما،
وهما نهايتا شطري البيت الأول.

ومثل قول امرئ القيس:

أَفَاطِمَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرَمَعْتَ هَجْرًا فَأَجْهَلِي

ف نجد أن الكلمتين (التَّدَلُّلِ - فَأَجْهَلِي) قد اتفقتا في الحرف الأخير منهما،
وهما نهايتا شطري البيت الأول.

ومثل قول أبي تمام:

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ تُرَوَى الظُّلُمَاءُ الْحَوَائِمُ وَأَنْ يَنْظِمَ الشَّمْلَ الْمُبَدَّدَ نَاطِمُ

ف نجد أن الكلمتين (الْحَوَائِمُ - نَاطِمُ) قد اتفقتا في الحرف الأخير منهما،
وهما نهايتا شطري البيت الأول.

ومثل قول المتنبي:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي

فَنَجِدُ أَنَّ الْكَلِمَتَيْنِ (الشُّجْعَانِ - الثَّانِي) قَدْ اتَّفَقَتَا فِي الْحَرْفِ الْأَخِيرِ مِنْهُمَا،
وهما نهايتا شطرى البيت الأول.

ومثل قول المتنبي:

قَدْ عَلَّمَ الْبَيِّنُ مَنَا الْبَيِّنِ أَجْفَانًا تَدْمَى وَأَلْفَ فِي ذَا الْقَلْبِ أَحْزَانًا

فَنَجِدُ أَنَّ الْكَلِمَتَيْنِ (أَجْفَانًا - أَحْزَانًا) قَدْ اتَّفَقَتَا فِي الْحَرْفِ الْأَخِيرِ مِنْهُمَا،
وهما نهايتا شطرى البيت الأول.

الفائدة البلاغية للتصريح:

يُعْطَى التَّصْرِيحُ جَرَسًا مُوسِيقِيًّا يَأْخُذُ بِالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْهَامِ، وَيُسْعِدُ النَّفْسَ مِنْ
خِلَالِ مُوسِيقَى الصَّوْتِ.

انتبه !

التصريح خاصٌّ بالشَّعْرِ فَقَطْ، وَيُشَابِهُهُ فِي النَّثْرِ السَّجْعُ.



تدريبات

يَبِّنُ التصريح فيما يلي من شواهد الشعر:

١ - قول الشاعر:

قَدْ عَلَّمَ الْبَيْنُ مِنَّا الْبَيْنَ أَجْفَانَا تَدْمَى وَأَلْفَ فِي ذَا الْقَلْبِ أَحْزَانَا

٢ - قول الشاعر:

أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يَنْعَمَنَّ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي؟

٣ - قول الشاعر:

سَكَتٌ فَغَرَّ أَعْدَائِي السُّكُوتُ وَظَنُّونِي لِأَهْلِي قَدْ نَسِيتُ

٤ - قول الشاعر:

خَلِيلِي مُرَّابِي عَلَى أُمَّ جُنْدَب لَأَقْضِي حَاجَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعَذَّبِ

٥ - قول الشاعر:

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمِلِ

٦ - قول الشاعر:

اِخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يُنْسِي أَذْكَرَ إِلَى الصَّبَا وَيَّامَ أَنْسِي

٧ - قول الشاعر:

أَفَاطِمَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلِّي وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرَمَعْتَ هَجْرًا فَأَجْمِلِي

٨ - قول الشاعر:

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ تُرَوَى الظُّلُمَاءُ الْحَوَائِمُ وَأَنْ يَنْظِمَ الشَّمْلَ الْمُبَدَّدَ نَاطِمُ

٩ - قول الشاعر:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي



الفصل السابع

التقسيم

الفصل السابع

حسن التقسيم

حسن التقسيم:

هُوَ تَقْسِيمُ الْبَيْتِ الْوَاحِدِ إِلَى أَجْزَاءٍ مُتَسَاوِيَةٍ .

مثل قول الشاعر:

مُتَفَرِّدٌ بِصَبَابَتِي / مُتَفَرِّدٌ
بِكَأْبَاتِي / مُتَفَرِّدٌ بِعَنَائِي

حَيْثُ تَمَّ تَقْسِيمُ الْبَيْتِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ مُسَجَّعَةٍ .

وقول أبي الطيب المتنبي:

فَنَحْنُ فِي جَدَلٍ / وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ
وَالْبَرُّ فِي شُغْلٍ / وَالْبَحْرُ فِي خَجَلٍ

حَيْثُ تَمَّ تَقْسِيمُ الْبَيْتِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ مُسَجَّعَةٍ .

والمعنى: يقول الشاعر نحن في فرح وسرور، والروم في خوف بسبب غاراتهم وغزواتهم لنا، والبر مشتغل بجيشهم وخيلهم، والبحر في خجل من كثرة عطائه.

وقول الشاعر:

وَأَكْرَمُهُمْ كَلْبٌ / وَأَبْصَرُهُمْ عَمٍ
وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ / وَأَشْجَعُهُمْ قِرْدٌ

أي أكرمهم في خسة الكلب، وأبصرهم أي أعلمهم من البصري أعمى القلب، وأكثرهم سهادًا ينام نوم الفهد، وبه يضرب المثل في كثرة النوم، ويضرب المثل بالقرد في الجبن، ويقال: إنَّ القرد لا ينام إلا وفي كفه حجر لشدة الجبن،

ولا تنام القروء بالليل حتى يجتمع منها الكثير.

حَيْثُ تَمَّ تَقْسِيمُ الْبَيْتِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ مُسَجَّعَةٍ .

وَحَكَّى أَبُو الْقَاسِمِ الْأَمْدِيُّ فِي كِتَابِ الْمَوَازِنَةِ بَيْنَ شِعْرِي الطَّائِفِينَ قَالَ: سَمِعَ
بَعْضَ الشُّيُوخِ مِنْ نَقْدَةِ الشَّعْرِ قَوْلَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ:

وَصَالِكُمْ هَجْرُ / وَحَبُّكُمْ قَلَى / وَعَظْفُكُمْ صَدُّ / وَسَلْمُكُمْ حَرْبُ

حَيْثُ تَمَّ تَقْسِيمُ الْبَيْتِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ مُسَجَّعَةٍ . فَقَالَ وَاللَّهِ هَذَا أَحْسَنُ مِنْ
تَقْسِيمَاتِ إِقْلِيدَسٍ . وَمِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

الدَّهْرُ مُعْتَذِرُ / وَالسَّيْفُ مُنْتَظَرُ / وَأَرْضُهُمْ لَكَ / مُصْطَافُ وَمُرْتَبَعُ

حَيْثُ تَمَّ تَقْسِيمُ الْبَيْتِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ مُسَجَّعَةٍ .

الْمُصْطَافُ: مَوْضِعُ الْإِقَامَةِ فِي الصَّيْفِ .

وَالْمُرْتَبَعُ: فِي الرَّبِيعِ .

يَقُولُ: هَذِهِ الْهَزِيمَةُ كَانَتْ زَلَّةً مِنَ الدَّهْرِ، فَهُوَ يَعْتَذِرُ مِنْهَا إِلَيْكَ، وَسَيْفُكَ
يَنْتَظِرُ أَنْ تُعَاوِدَ غَزْوَهُمْ، لِيَتَلَفَى مَا فَرَطَ، وَأَرْضُهُمْ لَكَ تَنْزِلُهَا أَيَّامَ الصَّيْفِ
وَالرَّبِيعِ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى رَدِّكَ عَنْهُمْ .

وقول الشاعر:

قَلِيلُ عَائِدِي / سَقِيمُ فُؤَادِي / كَثِيرُ حَاسِدِي / صَعْبُ مَرَامِي

حَيْثُ تَمَّ تَقْسِيمُ الْبَيْتِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ مُسَجَّعَةٍ .

وقول الشاعر:

مَحْلُكَ مَقْصُودُ / وَشَانِيكَ مُفْحَمُ / وَمِثْلُكَ مَفْقُودُ / وَنَيْلُكَ خِضْرُمُ

شَانِيكَ: أَصْلُهَا: شَانِتُكَ، أَسْقَطَ الْهَمْزَةَ، وَالْمَعْنَى: مَنْ يَكْرَهُكَ وَيَتَجَنَّبُكَ.
الْمُفْحَمُ: السَّاكِتُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى النُّطْقِ.

الْخَضِرُ: الكثير.

يَقُولُ عَدُوُّكَ لَا يَنْطِقُ فِيكَ بِالْعَيْبِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجِدُ لَكَ عَيْبًا يَعِيبُكَ بِهِ.
وَعَدُوُّكَ مُفْحَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُوجِّهَ لَكَ الْعَيْبَ، وَنَظِيرُكَ مَفْقُودٌ، وَعَطَاؤُكَ
كَثِيرٌ لَا يَكَادُ يُحْصَى.

وقول الشاعر:

الْوَصْلُ صَافِيَةٌ / وَالْعَيْشُ نَاعِيَةٌ وَالسَّعْدُ حَاشِيَةٌ / وَالذَّهْرُ مَاشِيَةٌ

حَيْثُ تَمَّ تَقْسِيمُ الْبَيْتِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ مُسَجَّعَةٍ .

الْفَائِدَةُ الْبَلَاغِيَّةُ لِحُسْنِ التَّقْسِيمِ:

يُعْطَى حُسْنُ التَّقْسِيمِ جَرَسًا مُوسِيقِيًّا يَأْخُذُ بِالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْهَامِ.
انْتَبِهْ! حُسْنُ التَّقْسِيمِ خَاصٌّ بِالشُّعْرِ فَقَطْ.



تدريبات

عَيْنُ حُسْنِ التَّقْسِيمِ فِيمَا يَلِي:

١ - قول الشاعر:

الْوَصْلُ صَافِيَةٌ وَالْعَيْشُ نَاعِيَةٌ وَالسَّعْدُ حَاشِيَةٌ وَالذَّهْرُ مَاشِيَةٌ

٢ - وقول الشاعر:

فَنَحْنُ فِي جَدَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ وَالْبَرْ فِي شُغْلٍ وَالْبَحْرُ فِي خَجَلٍ

٣ - قول الشاعر:

قَلِيلٌ عَائِدِي سَقِيمٌ فَوَّادِي كَثِيرٌ حَاسِدِي صَعْبٌ مَرَامِي

٤ - قول الشاعر:

وَصَالِكُكُمْ هَجْرٌ وَحَبِيبُكُمْ قَلَى وَعُظْفُكُمْ صَدٌّ وَسَلْمُكُمْ حَرْبٌ

٥ - مثل قول الشاعر:

الذَّهْرُ مُعْتَذِرٌ وَالسَّيْفُ مُنْتَظَرٌ وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبِعٌ

٦ - قول الشاعر:

مُتَفَرِّدٌ بِصَبَابَتِي مُتَفَرِّدٌ بِكَابَاتِي مُتَفَرِّدٌ بِعَنَائِي

٧ - قول الشاعر:

وَأَكْرَمُهُمْ كَلْبٌ وَأَبْصَرُهُمْ عَمٍ وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ وَأَشْجَعُهُمْ قِرْدٌ



الفصل الثامن الالتفات

الفصل الثامن

الالتفات

تعريف الالتفات:

هُوَ الْإِنْتِقَالُ بِالْكَلَامِ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاطَبِ وَالْغَائِبِ. أَوْ بَيْنَ اثْنَيْنِ مِنْهُمَا، مِثْلَ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر: ١، ٢].

كَانَ الْمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (فَصَلِّ لَنَا) لَكِنَّهُ التَّفَتَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى الْغَائِبِ.

صُورُ الْإِلْتِفَاتِ:

يَأْتِي الْإِلْتِفَاتُ فِي سِتِّ صُورٍ:

- ١ - الانتقال من التكلّم إلى الخطاب.
- ٢ - الانتقال من التكلّم إلى الغيبة.
- ٣ - الانتقال من الخطاب إلى التكلّم.
- ٤ - الانتقال من الخطاب إلى الغيبة.
- ٥ - الانتقال من الغيبة إلى التكلّم.
- ٦ - الانتقال من الغيبة إلى الخطاب.

وَمِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

فَقَدْ التَّفَتَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يَاعِبَادِيَ ﴾ إِلَى الْغَيْبَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾.

وَكَانَ الْمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (مِنْ رَحْمَتِي)، وَكَانَ الْمُتَوَقَّعُ أَيْضًا أَنْ يُقَالَ: (إِنِّي أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ).

ومثل الالتفات من الخطاب إلى الغيبة قول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ [يونس: ٢٢].

فَقَدْ اَلْتَفَتَ مِنَ الْخِطَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ كُنْتُمْ ﴾ إِلَى الْغَيْبَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ بِهِم ﴾ وَكَانَ الْمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (وَجَرَيْنَ بِكُمْ).

وَكَانَ الْمُتَوَقَّعُ أَيْضًا أَنْ يُقَالَ: (حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ، وَجَرَيْنَ بِكُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ، وَفَرِحْتُمْ بِهَا).

ومثل قوله تعالى: ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ۚ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ ۖ لِنُرِيَهُ ۚ مِنْ ءَايَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

فَقَدْ اَلْتَفَتَ مِنَ الْغَائِبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ۚ ﴾ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ لِنُرِيَهُ ۚ ﴾ وَكَانَ الْمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِهِ).

ومثل قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۖ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴾ [عبس: ١، ٢]، ولا شك أن النبي هو المقصود، ثم حَوَّلَ اللهُ الْخِطَابَ إِلَيْهِ قَائِلًا: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّيٰ ﴾ [عبس: ٣، ٤].

فالالتفات من الأساليب البلاغية ذَاتِ اللَّطَائِفِ النَفِيسَةِ، وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ اسْتِخْدَامُهُ، وَهُوَ فَنٌّ بَدِيعٌ مِنْ فُنُونِ الْقَوْلِ يُشَبِّهُهُ تَحْرِيكُ آلَاتِ التَّصْوِيرِ السِّينِمَائِيِّ بِنَقْلِهَا مِنْ مَشْهَدٍ إِلَى مَشْهَدٍ آخَرَ فِي الْمَخْتَلَفَاتِ وَالْمَتَبَاعِدَاتِ الَّتِي يُرَادُّ عَرْضُ صُورِ مِنْهَا، وَمَفَاجَأَةُ الْمُشَاهِدِ بِلَقَطَاتٍ مِنْهَا مَتَبَاعِدَاتٍ، وَلَكِنَّهَا تَدْخُلُ فِي الْإِطَارِ الْكُلِّيِّ الَّذِي يُرَادُّ عَرْضُ طَائِفَةٍ مِنْ مَشَاهِدِهِ تَدُلُّ عَلَى مَا يُقْصَدُ الْإِعْلَامُ بِهِ.

ويَهْدِي الذوقُ الأدبيُّ السليم إلى استخدام الالتفات استخدامًا بارعًا يُحَقِّق به البليغ فوائده في نفس المتلقِّي أو فكره، مع ما يُحَقِّق به من الاقتصاد والإيجاز في العبارة.

ومثل قول الله: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا آلَ كَتَبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

فالالتفاتُ في: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ خطابًا لبني إسرائيل المعاصرين لنزول النصِّ فمن بعدهم، وفيه فائدتان:

الأولى: التنويع في العبارة المثيرة لانتباه المتلقِّي، والباعثة لنشاطه في استقبال ما يُوجَّه له، والإضغَاء إليه.

الثانية: الاقتصاد والإيجاز في التعبير، فبدل أن يقول النصُّ لمعاصري التنزيل الكافرين من بني إسرائيل فمن بعدهم: وأنتم يا بني إسرائيل ما زِلْتُمْ على طريقة أسلافِكُمْ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟. اقْتَصَرَ النصُّ على: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ مُسْتغْنِيًا بِأُسْلُوبِ الالتفاتِ، للدلالة على ما يُمكن فهمه ذهنيًا، إذ اعتبرَهُم النصُّ داخِلِينَ في عُمُوم خطاب الغائبين السَّالِفِينَ، إذ هم موافقون على ما كانوا يفعلون، أو يفعلون مثلهم.

ومثل قول الله: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسَقِنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر: ٩].

فَقَدْ اُتِّفِقَ مِنَ الْغَائِبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ فُسَقِنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ وَكَانَ الْمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (فَسَاقَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا).

وفائدة هذا الالتفات إيقاظ الأذهان للتفكير في منّة الله على عباده الذي يُقدّر أسباب رزقهم ويسوقها لهم، وللتفكير في مظهر من مظاهر قُدْرته التي يُحيي بها الأرض الميّتة، الذي يُشبهه إحياء الموتى يوم القيامة، إذ جاء فيه تحدث الربّ الجليل عن نفسه بضمير المتكلم العظيم: (فَسُقْنَاهُ - فَأَحْيَيْنَاهُ).

ومثل قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اأْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ مَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴿١٢﴾ وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْصِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: ١١، ١٢].

فَقَدِ التَّفَتَ مِنَ الْغَائِبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا ﴿ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْصِيحٍ ﴾ وَكَانَ الْمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (وَزَيْنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا).

ومثل قول الله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿﴾ [الفتح: ١ - ٣].

فَقَدِ التَّفَتَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿ إِلَى الْغَائِبِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴾ ، ﴿ وَيَهْدِيكَ ﴾ ، ﴿ وَيَنْصُرَكَ ﴾ ، وَكَانَ الْمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (لِيَغْفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ - وَتُتِمَّ نِعْمَتَنَا - وَنَهْدِيكَ).

إِلَّا أَنَّ الْكَلَامَ جَاءَ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ، فَحَصَلَ الْإِلْتِفَاتُ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْغَيْبِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴾ إِذِ الْإِسْمُ الظَّاهِرُ بِقُوَّةِ ضَمِيرِ الْغَائِبِ.

ومثل قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿﴾ [الدخان: ٣ - ٦].

فَقَدِ التَّفَتَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾ ، ﴿ إِنَّا كُنَّا ﴾ ، ﴿ عِنْدَنَا ﴾ إِلَى الْغَائِبِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ ، ﴿ إِنَّهُ هُوَ ﴾ ، وَكَانَ الْمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (رَحْمَةً مِنَّا).

ومثل قول الله تعالى: ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩] ،

فَقَدِ التَّفَتَ مِنَ الْمُخَاطَبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ آتَيْتُمْ ﴾ ، ﴿ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ إِلَى الْغَائِبِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ ، وَكَانَ الْمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (فَأُولَئِكَ الْمُضْعِفُونَ).

والغرض البلاغي الخاص في النص التنبيه باسم الإشارة الذي هو في قوّة ضمير الغائب على ارتفاع منزلتهم عند الله، إذ أُشِيرَ إِلَيْهِمْ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ الْخَاصِّ بِالْمُشَارِ إِلَيْهِ الْبَعِيدِ.

ومثل قول البارودي:

أَنَا الْمَرْءُ لَا يُثْنِيهِ عَنْ طَلَبِ الْعُلَا نَعِيمٌ وَلَا تَعْدُو عَلَيْهِ الْمَفَاقِرُ

فَقَدِ التَّفَتَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ فِي قَوْلِهِ: (أَنَا الْمَرْءُ) إِلَى الْغَائِبِ فِي قَوْلِهِ: (لَا يُثْنِيهِ - وَلَا تَعْدُو عَلَيْهِ)، وَكَانَ الْمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (لَا يُثْنِيَنِي - وَلَا تَعْدُو عَلَيَّ).

الْفَائِدَةُ الْبَلَاغِيَّةُ لِلْاِلْتِفَاتِ:

الْاِلْتِفَاتُ لَهُ فَوَائِدُ، مِنْهَا:

١ - إثارة الذهن.

٢ - جذب الانتباه.

٣ - تنشيط السامع ودفع الملل.

بِالإِضَافَةِ إِلَى صِيَانَةِ السَّمْعِ عَنِ الضَّيْقِ وَالْمَلَلِ لِمَا تَعَوَّدَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ مِنْ حُبِّ التَّنْقُلِ، كَذَلِكَ عَدَمُ الاسْتِمْرَارِ عَلَى أُسْلُوبٍ وَاحِدٍ.

وهذه فائدته العامة، وَيَخْتَصُّ كُلُّ مَوْضِعٍ مِنْ مَوَاضِعِ الِاتِّفَاتِ بِنَكْتٍ وَلَطَائِفٍ بِاخْتِلَافِ مَكَانِهِ.

اتَّبِعْهُ !

١ - يَأْتِي الِاتِّفَاتُ شِعْرًا وَنَثْرًا.

٢ - يُقَرَّبُ مِنَ الِاتِّفَاتِ التَّنْقُلُ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْمُضَارِعِ وَالْأَمْرِ، وَهُوَ مِنَ الْخُرُوجِ عَنْ مَقْتَضَى الظَّاهِرِ، وَيُلْحَقُ بِهِ التَّنْقُلُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَاسْمِ الْفَاعِلِ وَاسْمِ الْمَفْعُولِ.

مثل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْخَبِّ وَالنَّوَى ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ ۚ فَإِنِّي تُوفِّكُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٥] ، فهنا التفات بين (يخرج) و(يخرج).



تدريبات

بَيِّنِ الِاسْتِفَاتِ فِيهَا يَلِي:

١ - قول الله: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ۝﴾ [فاطر: ٩].

٢ - قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝ فَفَضَّلَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝﴾ [فصلت: ١١، ١٢].

٣ - قول الله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ۝﴾ [الفتح: ١-٣].

٤ - قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝﴾ [الزمر: ٥٣].

٥ - قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخْلَصْ ۝﴾ [الكوثر: ١، ٢].

٦ - قول البارودي:

أَنَا الْمَرْءُ لَا يُثْنِيهِ عَنْ طَلَبِ الْعُلَا نَعِيمٌ وَلَا تَعْدُو عَلَيْهِ الْمَفَاقِرُ

٧ - قول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۚ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝﴾ [الأنعام: ٩٥].

٨ - قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١﴾ [الإسراء: ١].

٩ - قول الله عز وجل: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالَدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾ [الأعراف: ١٦٩].

١٠ - قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢].

١١ - قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكََةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ ﴿٦﴾ ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ﴿٧﴾ ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ﴿٨﴾ ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٩﴾ [الدخان: ٣-٦].

١٢ - قول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].



الفصل التاسع

المدح بما يشبه الذم

وعكسه

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل التاسع

المدح بما يشبه الذم وعكسه

تعريف المدح بما يشبه الذم:

هُوَ أَنْ تَمْدَحَ شَيْئًا بِمَدْحٍ، ثُمَّ تَأْتِيَ بَعْدَ هَذَا الْمَدْحِ بِأَدَاةِ اسْتِثْنَاءٍ، وَيَلِي هَذِهِ الْأَدَاةَ مَدْحٌ آخَرُ. مثل: هَذَا أَسْتَاذٌ فَاضِلٌ إِلَّا أَنَّهُ صَبُورٌ.

فَنَجِدُ أَنَّ الْمِثَالَ قَدْ وَصَفَ الْأُسْتَاذَ بِالْفَضْلِ، وَهَذِهِ صِفَةُ مَدْحٍ. ثُمَّ جَاءَتْ بَعْدَهَا أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ (إِلَّا)، فَظَنَّ السَّامِعُ أَنَّ هُنَاكَ عَيْبًا سَيَأْتِي بَعْدَ أَدَاةِ الْاسْتِثْنَاءِ فِي الْمَمْدُوحِ (الأسْتَاد). لَكِنَّ السَّامِعَ وَجَدَ مَدْحًا آخَرَ، وَهُوَ أَنَّهُ صَبُورٌ.

ومثل قول الشاعر:

فَتَى كَمَلَتْ أَخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيًا

فَنَجِدُ أَنَّ الْبَيْتَ قَدْ وَصَفَ الْفَتَى بِكَمَالِ الْأَخْلَاقِ، وَهَذِهِ صِفَةُ مَدْحٍ. ثُمَّ جَاءَتْ بَعْدَهَا أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ (إِلَّا)، فَظَنَّ السَّامِعُ أَنَّ هُنَاكَ عَيْبًا سَيَأْتِي بَعْدَ أَدَاةِ الْاسْتِثْنَاءِ فِي الْمَمْدُوحِ (الْفَتَى). لَكِنَّ السَّامِعَ وَجَدَ مَدْحًا آخَرَ، وَهُوَ أَنَّهُ كَرِيمٌ يُنْفِقُ فَلَا يُبْقِي شَيْئًا.

وقول الشاعر:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

فَنَجِدُ أَنَّ الشَّاعِرَ قَدْ نَفَى الْعَيْبَ عَنِ الْأَبْطَالِ. ثُمَّ جَاءَتْ بَعْدَهَا أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ (إِلَّا)، فَظَنَّ السَّامِعُ أَنَّ هُنَاكَ عَيْبًا سَيَأْتِي بَعْدَ أَدَاةِ الْاسْتِثْنَاءِ فِي الْمَمْدُوحِينَ. لَكِنَّ

السَّامِعَ وَجَدَ مَذْحًا آخَرَ، وَهُوَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهَا كُسُورٌ بِسَبَبِ كَثْرَةِ ضَرْبِ الْأَعْدَاءِ.

ومثل قول الله: ﴿قُلْ يَتَاهُلَ آلِ كِتَابٍ هَلْ تَنَقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرْتُمْ فَنَسْفُونَ﴾ [المائدة: ٥٩].

(قُلْ) هي خطاب لرسول الله ﷺ، وحين يخاطب الله الرسول، فالخطاب أيضاً لأئمة عليهم السلام.

وَنَقَمَ يَنْقُمُ، أي: كَرِهَ مِنِّي أَنْ أَفْعَلَ هَذَا، فلماذا تكرهون إيماننا يا أهل الكتاب؟ هل الإيمان مما يُكْرَهُ؟ وجاء الحق هنا بسؤال لا يقدرُونَ على الإجابة عنه، فنحن آمنّا بالله وبرسوله وما أنزله علينا وما أنزل من قبل، فما الذي يُكْرَهُ في هذا؟!

وَأَبْلَغَ الرِّسُولُ ﷺ الْيَهُودَ أَنَّنَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَبِالرَّسْلِ، ومنهم سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام، فَغَضِبُوا مِنْهُ كَثِيرًا. فكيف يُكْرَهُ أهل الكتاب إيمانَ المُسلمين بالله؟

مثال ذلك عندما يدعوك إنسان إلى تصرف غير مستقيم أو إلى الذَّهَابِ إِلَى مكانٍ مَشْبُوهٍ، فترفضُ ذلك يكرهك هذا الإنسان، فتقول له: أَتُكْرَهُ فِي سُلُوكِي أَنْ أَكُونَ مُسْتَقِيمًا؟! ونعلم أن الإنسان الأمين هو ثروة لِمَنْ يعرفه والذي يستحق النعمة والكرامية هو الفعل الضار، أما الإيمانُ بالله فهو أمر محبوبٌ لَأَنَّهُ يُعَلِّمُ الْإِنْسَانَ الْأَدَبَ مع كل خلق الله، وَيُعَلِّمُ الْإِنْسَانَ الْحِفَاطَ عَلَى أَعْرَاضِ النَّاسِ، وَيُعَلِّمُ الْإِنْسَانَ أَلَّا يَتَعَدَّى عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ وَدِمَائِهِمْ وَلَا يَغْتَابِ النَّاسَ، وَلَا يَرْتَشِي، وَأَنْ يُخْلِصَ فِي الْعَمَلِ، وَأَلَّا يَكْذِبَ فِي مِيعَادٍ، فَأَيُّ شَيْءٍ فِي هَذَا يَسْتَحِقُّ الْكَرَاهِيَةَ؟

إِذَنْ، فَمَنْ يُكْرَهُ إِنْسَانًا لِأَيِّ سَبَبٍ مِنْ هَذَا فَهُوَ كُرْهُ بِلَا مَنْطِقٍ، وَكَانَ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ يَكُونَ سَبَبُ الْكُرْهِ سَبَبًا لِلْمَحَبَةِ. وقد يأتي من يقول لك: لَيْسَ فِي فَلَانٍ مِنْ عُيُوبٍ إِلَّا كَذَا.

وَقَدْ يُورَدُ سَبَبًا مَعْقُولًا، ولكن لا يقول أَحَدٌ أَبَدًا: لا عَيْبَ فِي فُلَانٍ إِلَّا أَنَّهُ شَجَاعٌ؛ لِأَنَّ الشَّجَاعَةَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ عَيْبًا، كَأَنَّ الْقَائِلَ قَدْ أَعْمَلَ ذَهَنَهُ حَتَّى يَكْتَشِفَ عَيْبًا، لَمْ يَجِدْ إِلَّا صِفَةً رَائِعَةً، وَقَالَ عَنْهَا: إِنْ كُنْتَ تَعْتَبِرُ هَذِهِ الصِّفَةَ عَيْبًا فَهَذَا هُوَ عَيْبُهُ. وَيُسَمَّوْنَ ذَلِكَ مِنْ أَسَالِيبِ الْأَدَاءِ الْأَدْبِيِّ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَهُوَ تَأْكِيدُ الْمَدْحِ بِمَا يَشْبَهُ الذَّمَّ، فَيَقُولُ قَائِلٌ: لَا عَيْبَ فِي فُلَانٍ إِلَّا كَذًا.

وعندما يَسْمَعُ السَّامِعُ هَذَا يَظُنُّ أَنَّ الْعَيْبَ الَّذِي سَيُورِدُهُ هُوَ صِفَةُ قَبِيحَةٍ فَيَفْجَأُ بِأَنَّهَا صِفَةٌ جَمِيلَةٌ. وبذلك يؤكد القائل المدح بما يشبه الذم.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَاهُلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِيْمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَسِقُونَ﴾ ٢١.

أَنْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّكُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَعِنْدَكُمْ التَّوْرَةُ، وَكَانَ يَجِبُ أَنْ تَعْلَمُوا كَيْفَ يُهْدَبُ الْإِيمَانُ الْفُوسَ، وَيَدْفَعُ عَنْهَا الشَّرَّ؛ لِأَنَّكُمْ سَابِقُونَ فِي الْإِيمَانِ، فَقَدْ آمَنْتُمْ بِاللّٰهِ وَبِالرُّسُلِ السَّابِقِينَ عَلَى مُوسَى وَآمَنْتُمْ بِمُوسَى، وَالْمُسْلِمُونَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَآمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ وَآمَنُوا بِالرُّسُلِ وَمِنْهُمْ مُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ فَكَيْفَ يُكْرَهُ ذَلِكَ؟

وَإِنْ كَانَ هَذَا مِمَّا يُكْرَهُ فَعَلَيْنَا كَمُؤْمِنِينَ أَنْ نَسْأَلَكَم: لِمَ إِذَا تَنَكَّرُونَ عَلَيْنَا ذَلِكَ؟ لَا شَكَّ أَنَّكُمْ تُنَكِّرُونَ عَلَيْنَا إِيْمَانَنَا بِاللّٰهِ؛ لِأَنَّهَا قَضِيَّةٌ غَيْرُ وَاضِحَةٍ فِي أَذْهَانِكُمْ.

كَمَا فِي قَوْلِ اللّٰهِ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].
أَلَا تَرَى أَنَّهُ نَفَى أَنْ يَسْأَلَهُمْ أَجْرًا عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

قول الشاعر:

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

فَنَجِدُ أَنَّ الشَّاعِرَ قَدْ ذَكَرَ أَنَّ سَبَبَ الْإِنْتِقَامِ مِنْ بَنَى أُمِّيَّةً، ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَكْتُمُونَ غَيْظَهُمْ، فَلَا يَغْضَبُونَ، فَهُمْ حُلَمَاءُ. وَهَذِهِ صِفَةُ مَدْحٍ تُشَبِّهُ الدَّمَ.

وقول الله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ۖ وَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢].

اللغو: هو الكلام الفضولي الذي لا فائدة منه، فهو يضيع الوقت ويهدر طاقة المتكلم وطاقة المستمع، وبعد ذلك لا طائل من ورائه ولا معنى له.

والكلام هنا عن الآخرة ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ فإن كانوا قد سمعوا لَغْوًا كثيرًا في الدنيا فلا مجال للغو في الآخرة. ثم يستثنى من عدم السماع (إِلَّا سَلَامًا) والسلام ليس من اللغو، وهو نَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَنَحِيَّةُ الْمَلَائِكَةِ.

فإن قلت: فكيف يستثنى السلام من اللغو؟

نقول: من أساليب اللغة: تأكيد المدح بما يُشبهه الذم، كأن نقول: (لا عيب في يوسف إلا أنه شجاع)، وكنت تنتظر أن نستثنى من العيب عيبًا، لكن المعنى هنا: إن عددت الشجاعة عيبًا، ففي هذا الشخص عيب، فقد نظرنا في هذا الشخص، فلم نجد به عيبًا، إلا إذا عددنا الشجاعة عيبًا. وهكذا نؤكد مدحه بما يشبه الذم.

وقوله: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٧٤].

فهو من تأكيد المدح بما يشبه الذم. وقد كان هؤلاء المنافقون في ضيق من العيش، فلما قدم النبي ﷺ المدينة اتسعت معيشتهم، وكثرت أموالهم.

ومثل قول الله عز وجل: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْغَزِيرِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

فَنَجِدُ أَنَّ اللَّهَ - سبحانه وتعالى - قَدْ ذَكَرَ أَنَّ سَبَبَ الْإِنْتِقَامِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ. وَهَذِهِ صِفَةُ مَدْحٍ تُشَبِّهُ الدَّمَ.

الذَّمُّ بِمَا يُشَبِّهُ الْمَدْحَ:

هُوَ أَنْ تَذُمَّ شَيْئًا، ثُمَّ تَأْتِيَ بَعْدَ هَذَا الذَّمِّ بِأَدَاةِ اسْتِثْنَاءٍ، وَيَلِي هَذِهِ الْأَدَاةَ ذَمٌّ آخَرٌ.
مثل: هَذَا الرَّجُلُ بَخِيلٌ إِلَّا أَنَّهُ جَبَانٌ.

فَنَجِدُ أَنَّ الْمِثَالَ قَدْ وَصَفَ الرَّجُلَ بِالْبُخْلِ، وَهَذِهِ صِفَةُ ذَمٍّ. ثُمَّ جَاءَتْ بَعْدَهَا أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ (إِلَّا)، فَظَنَّ السَّامِعُ أَنَّ هُنَاكَ مَدْحًا سَيَأْتِي بَعْدَ أَدَاةِ الْاسْتِثْنَاءِ فِي الْمَذْمُومِ (الرَّجُلِ). لَكِنَّ السَّامِعَ وَجَدَ ذَمًّا آخَرَ، وَهُوَ أَنَّهُ جَبَانٌ.
ومثل: لَا جَمَالَ فِي الْمَنْزِلِ إِلَّا أَنَّهُ مُظْلِمٌ.

فَنَجِدُ أَنَّ الْمِثَالَ قَدْ نَفَى الْجَمَالَ عَنِ الْمَنْزِلِ، وَهَذِهِ صِفَةُ ذَمٍّ. ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ (إِلَّا)، فَظَنَّ السَّامِعُ أَنَّ هُنَاكَ مَدْحًا سَيَأْتِي بَعْدَ أَدَاةِ الْاسْتِثْنَاءِ فِي الْمَذْمُومِ (الْمَنْزِلِ). لَكِنَّ السَّامِعَ وَجَدَ ذَمًّا آخَرَ، وَهُوَ أَنَّهُ مُظْلِمٌ.
ومثل: لَا خَيْرَ فِي شَارُونَ إِلَّا أَنَّهُ مُجْرِمٌ.

فَنَجِدُ أَنَّ الْمِثَالَ قَدْ نَفَى الْخَيْرَ عَنِ شَارُونَ، وَهَذِهِ صِفَةُ ذَمٍّ. ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ (إِلَّا)، فَظَنَّ السَّامِعُ أَنَّ هُنَاكَ مَدْحًا سَيَأْتِي بَعْدَ أَدَاةِ الْاسْتِثْنَاءِ فِي الْمَذْمُومِ (شَارُونَ). لَكِنَّ السَّامِعَ وَجَدَ ذَمًّا آخَرَ، وَهُوَ أَنَّهُ مُجْرِمٌ.
ومثل: هَذَا رَجُلٌ ظَالِمٌ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَأْكُلُ الرِّبَا.

فَنَجِدُ أَنَّ الْمِثَالَ قَدْ ذَمَّ الرَّجُلَ بِأَنَّهُ ظَالِمٌ، وَهَذِهِ صِفَةُ ذَمٍّ. ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ (إِلَّا)، فَظَنَّ السَّامِعُ أَنَّ هُنَاكَ مَدْحًا سَيَأْتِي بَعْدَ أَدَاةِ الْاسْتِثْنَاءِ فِي الْمَذْمُومِ (رَجُلٍ). لَكِنَّ السَّامِعَ وَجَدَ ذَمًّا آخَرَ، وَهُوَ أَنَّهُ يَأْكُلُ الرِّبَا.
ومثل: لَا جَمَالَ فِي الْخُطْبَةِ إِلَّا أَنَّهَُا غَيْرُ مُفِيدَةٍ.

فَنَجِدُ أَنَّ الْمِثَالَ قَدْ نَفَى الْجَمَالَ عَنِ الْخُطْبَةِ، وَهَذِهِ صِفَةُ ذَمٍّ. ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ (إِلَّا)، فَظَنَّ السَّامِعُ أَنَّ هُنَاكَ مَدْحًا سَيَأْتِي بَعْدَ أَدَاةِ الْاسْتِثْنَاءِ فِي

الْمَذْمُومِ (الْخُطْبَةِ). لَكِنَّ السَّامِعَ وَجَدَ ذَمًّا آخَرَ، وَهُوَ أَنَّهُ غَيْرُ مُفِيدَةٍ .

ومثل: الْقَوْمُ شَحَاحٌ إِلَّا أَنَّهُمْ جُبْنَاءُ.

فَنَجِدُ أَنَّ الْمِثَالَ قَدْ ذَمَّ الْقَوْمَ بِأَنَّهُمْ شَحَاحٌ بِخِلَافٍ، وَهَذِهِ صِفَةٌ ذَمٌّ. ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ (إِلَّا)، فَظَنَّ السَّامِعُ أَنَّ هُنَاكَ مَدْحًا سَيَأْتِي بَعْدَ أَدَاةِ الاسْتِثْنَاءِ فِي الْمَذْمُومِ (الْقَوْمِ). لَكِنَّ السَّامِعَ وَجَدَ ذَمًّا آخَرَ، وَهُوَ أَنَّهُمْ جُبْنَاءُ.

اتَّبِعْ !

الْمَدْحُ بِمَا يُشَبِّهُ الذَّمَّ، وَالذَّمُّ بِمَا يُشَبِّهُ الْمَدْحَ مِنَ الْأَسَالِيبِ الَّتِي تَأْتِي شِعْرًا وَنَثْرًا .

الْفَائِدَةُ الْبَلَاغِيَّةُ لِلْمَدْحِ بِمَا يُشَبِّهُ الذَّمَّ وَعَكْسُهُ:

تَنْبِيهُ الْمُخَاطَبِ، وَإِيقَاطُ الذَّهْنِ، وَإِعْمَالُ الْعَقْلِ لِإِرْسَالِ الْمَعْنَى بِطَرِيقَةِ جَذَابَةٍ، تُدْخِلُ السُّرُورَ فِي النَّفْسِ، وَتَدْفَعُ الْمَلَلَ.



تدريبات

عين المدح بما يشبه الذم وعكسه فيما يلي:

١ - قول الشاعر:

وجوهٌ كأكبادِ المحبِّينَ رقةً ولكنها يومَ الهياجِ صُحُورُ

٢ - قول الشاعر:

ولا عيبَ فيكم غيرَ أنَّ ضيُوفكم تعابُ بنسيانِ الأحبةِ والوطنِ

٤ - هم فرسانُ الكلامِ إلا أنهم سادةُ أمجاد.

٥ - لا فضلَ للقومِ إلا أنهم لا يعرفونَ للجارِ حقَّه.

٦ - الكلامُ كثيرُ التعقيدِ سوى أنه مبتذلُ المعاني.

٧ - هذا أستاذُ فاضلٍ إلا أنَّه صبورٌ.

٨ - قول الشاعر:

فتى كملت أخلاقُه غيرَ أنَّه جوادٌ فما يُبقي من المالِ باقياً

٩ - قول الشاعر:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفهم بهنَ فلولٍ من قراعِ الكتائبِ

١٠ - قول الله: ﴿ قُلْ يَتَأَهَّلِ الْكِتَابُ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ

إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٥٩].

١١ - قول الشاعر:

مَانَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

- ١٢ - قوله: ﴿وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٧٤].
- ١٣ - هَذَا الرَّجُلُ بَخِيلٌ إِلَّا أَنَّهُ جَبَانٌ.
- ١٤ - لَا جَمَالَ فِي الْمَنْزِلِ إِلَّا أَنَّهُ مُظْلِمٌ.
- ١٥ - لَا خَيْرَ فِي شَارُونَ إِلَّا أَنَّهُ مُجْرِمٌ.
- ١٦ - هَذَا رَجُلٌ ظَالِمٌ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَأْكُلُ الرَّبَا.
- ١٧ - لَا جَمَالَ فِي الْخُطْبَةِ إِلَّا أَنَّهَا غَيْرُ مُفِيدَةٍ.
- ١٨ - الْقَوْمُ شَحَاحٌ إِلَّا أَنَّهُمْ جُبْنَاءُ.



الفصل العاشر

التورية

الفصل العاشر

التورية

التورية لغة:

وَرِي تَوَرَى، وَوَرَيْتُ الشَّيْءَ وَوَارَيْتُهُ: أَخْفَيْتُهُ وَتَوَارَى: اسْتَتَرَ.

وَاسْتَوَرَيْتُ فَلَانًا رَأْيَا أَيْ: طَلَبْتُ إِلَيْهِ رَأْيًا.

وَوَرَيْتُ الْخَبَرَ جَعَلْتُهُ وَرَائِي، وَسَتَرْتُهُ.

تَوَارَى الرَّجُلُ: اسْتَتَرَ، وَاخْتَفَى. وَالتَّورِيَةُ: السُّتْرُ.

وفي الحديث عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن النبي ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا وَرَى بَغْيَرَهُ وَكَانَ يَقُولُ: «الْحَرْبُ خَدَعَةٌ». رواه الجماعة ، إلا الموطأ والنسائي.

الْحَرْبُ خَدَعَةٌ: يعني: أن أمرها ينقضي بمرة واحدة من الخِدَاعِ، قال الخطابي: هذا الْحَرْفُ يُرْوَى بفتح الْخَاءِ وَسُكُونِ الدَّالِ، هكذا: (خَدَعَةٌ)، وهو أَفْصَحُهَا وَأَصْوَبُهَا، وَبِضْمِ الْخَاءِ وَسُكُونِ الدَّالِ، هكذا: (خُدَعَةٌ)، وَبِضْمِ الْخَاءِ وَفَتْحِ الدَّالِ، هكذا: (خُدَعَةٌ).

ومعنى (وَرَى بَغْيَرَهُ): أَيْ سَتَرَهُ، وَأَوْهَمَ أَنَّهُ يُرِيدُ غَيْرَهُ. وَأَصْلُهُ مِنَ الْوَرَاءِ أَيْ: أَلْقَى الْبَيَانَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَيُقَالُ: (وَارَيْتُهُ) وَ(وَرَيْتُهُ) بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿فَوَسَّوْا لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تِلْكَ﴾ [الأعراف: ٢٠] أَيْ: سَتَرَ.

وَتُورَنُ (وُورِي) عَلَى: (فُوعِلَ)، وَقُرِي (وُورِي عَنْهُمَا) بِمَعْنَاهُ.

وَوَرَيْتُ الْخَبْرَ أَوْرِيهِ تَوْرِيَةً إِذَا سَتَرْتُهُ، وَأَظْهَرْتُ غَيْرُهُ، كَأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ وَرَاءِ الْإِنْسَانِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ وَرَيْتُهُ فَكَأَنَّهُ يَجْعَلُهُ وَرَاءَهُ، حَيْثُ لَا يَظْهَرُ.
وَوَرَيْتُ عَنْهُ: أَرَدْتُهُ، وَأَظْهَرْتُ غَيْرَهُ.

التَّوْرِيَّةُ: أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ كَلَامًا، فَيُفْهَمُ مِنْهُ بَغِيرُ مَا أَرَادَ، فَهُوَ أَرَادَ شَيْئًا، وَفُهِمَ عَنْهُ شَيْءٌ آخَرُ؛ لَكِنَّهُ مَا كَذَبَ.

مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِهِ غُرْفَةً اسْمُهَا: دِمَشْقُ، فَكَانَ إِذَا جَاءَ شَخْصٌ وَدَقَّ الْبَابَ عَلَيْهِ، قَالَ لَزَوْجَتِهِ: قُولِي لَهُ: هُوَ فِي دِمَشْقَ، وَذَهَبَ إِلَى الْغُرْفَةِ، فَيَفْهَمُ الطَّارِقُ أَنَّهُ فِي دِمَشْقَ، وَهُوَ فِي غُرْفَةِ دِمَشْقَ، فَمَا كَذَبَ؛ لِأَنَّهُ فِي دِمَشْقَ فَعَلًا، فَقَدْ سَمِيَ غُرْفَتَهُ دِمَشْقَ؛ لَكِنَّهُ لَيْسَ فِي دِمَشْقَ الَّتِي فَهَمَّهَا ذَاكَ الطَّارِقَ، فَهَذِهِ تُسَمَّى التَّوْرِيَّةَ.

وَأَحَدُ النَّاسِ كَانَ يَقُولُ لَزَوْجَتِهِ ضَعِي دَائِرَةً فِي الْجِدَارِ، وَهِيَ عِنْدَ الْبَابِ تَرِدُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ: فَلَانٌ مَوْجُودٌ، فَتَضَعُ إصْبَعَهَا فِي الدَّائِرَةِ، وَتَقُولُ: لَيْسَ هُنَا، يَعْنِي لَيْسَ فِي الدَّائِرَةِ، وَذَاكَ الطَّارِقُ الَّذِي أَمَامَ الْبَابِ يَفْهَمُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْبَيْتِ، فَإِنْ جَازَ هَذَا عِنْدَ الضَّرُورَةِ، لَكِنْ بَغِيرَ الضَّرُورَةِ لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّهُا تُعَلَّمُ الْكَذِبَ.

فَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ صَحِيحَةٌ مِنْ زَاوِيَةِ الْمُتَكَلِّمِ وَيَقْصِدُ بِهَا مَعْنَى آخَرَ، وَيُظَنُّ بِهَا الْمُسْتَمْعُ مَعْنَى صَحِيحًا، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ، وَنَحْنُ قَدْ نَحْتَاجُ إِلَى التَّوْرِيَّةِ وَالْمَعَارِيضِ، وَلَكِنْ لَيْسَ أَسْلُوبُ الْمُؤْمِنِ هُوَ الْمَخَادَعَةُ؛ بَلِ الْمُؤْمِنُ إِنْسَانٌ صَادِقٌ. لَكِنْ تَأْتِي مَوَاقِفُ يَضْطَرُّ فِيهَا إِلَى أَنْ يَقُولَ بِالْمَعَارِيضِ أَوْ التَّوْرِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَكْذِبُ، وَمَعَ ذَلِكَ يُرَاعَى أَلَّا يَكْثَرَ مِنَ الْمَعَارِيضِ؛ لِأَنَّ الْإِكْثَارَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ قَدْ يَخْرِجُ الْإِنْسَانَ عَنِ الْحُدِّ الشَّرْعِيِّ لَهُ، وَرَبِّهَا تَجَاوُزُهُ إِلَى الْمَذْمُومِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ لِلرَّجُلِ: «نَحْنُ مِنْ مَاءٍ»، وَهَذِهِ حَقِيقَةٌ فَقَدْ خَلَقَنَا اللَّهُ مِنْ مَاءٍ، لَكِنْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، وَالْأَعْرَابِيُّ ظَنُّ مِنْ مَوْضِعٍ فِيهِ مَاءٌ.

وكما قال الخليل عليه السلام: هذه أختي، ففهم المخاطب أنه يعني أخته شقيقته، وهو أراد أخته في الدين.

وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قد استخدم التورية فُسِّلَ عن النبي صلوات الله عليه ومن معه فقال: هَذَا هَادٍ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، فظنُّوا أنه على هداية الطريق، وهو على هداية سبيل الخير.

ومن الأشياء التي يَجُوزُ الكذب فيها: بين الزوجين، كما في الْحَدِيثِ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَهُ أَنَّ أُمَّهُ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه يَقُولُ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُضْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنِمِّي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا» رواه البخاري.

وقال إسحاق بن هانئ: كنا عند أحمد بن حنبل في منزله، ومعه المروزي أَحَدُ طَلَبَتِهِ، ومعنا طالبٌ آخرٌ، فَدَقَّ دَاقُ الْبَابِ، فقال: المروزي هنا؟ فكان المروزي كره أن يعلم موضعه، فوضع الطالبُ إصبعه في رَاحَتِهِ، وقال: ليس المروزي هاهنا، والطارق يسمع، وما يصنع المروزي هاهنا، فضحك أحمد ولم ينكر.

ومن الكذب: ما جاء في الحديث عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدٍ قَالَتْ: كُنَّا فِيمَنْ جَهَّزَ عَائِشَةَ وَزَفَّهَا، قَالَتْ: فَعَرَضَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صلوات الله عليه لَبَنًا فَقُلْنَا: لَا نُرِيدُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه: «لَا تَجْمَعْنَ جُوعًا وَكَذِبًا» رواه أحمد وابن ماجه.

فعندما قَدَّمَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه اللَّبَنَ لِبَعْضِ النِّسَاءِ، فَقُلْنَ: لَا نَشْتَهِي، فقال: «لَا تَجْمَعْنَ جُوعًا وَكَذِبًا» وهذه حال كثير من الناس يَأْتِيكَ فِي الْبَيْتِ، تريد أن تَصَيِّفَهُ، فيقول: لَا أَشْتَهِي... لَا أُرِيدُ. وهو يَشْتَهِي لكن يعتبر أنها من الحرج أو شيء من هذا القبيل، فيكون قد وَقَعَ فِي الْكَذِبِ.

وكتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم أيضًا في امتحان سبعة أنفس - من المشاهير والعلماء والفقهاء، منهم: محمد بن سعد، ويحيى بن معين، وأبو خيثمة زهير بن حرب، وأحمد بن إبراهيم الدورقي - فامتحانهم بِخَلْقِ القرآن، ففي البداية ما أجابوه فأمر بترحيلهم إلى بغداد، ولكنهم في الطريق أجابوا، فردّهم من الرقة إلى بغداد، وَأَجَابُوهُ ثَقِيَّةً، أى: خَوْفًا، استعملوا التورية، كما كان يقول بعضهم: أشهد أنه مخلوق - ويقصد إصبعه - أو يقول: أشهد أن التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وصحف إبراهيم أنها مخلوقة - يقصد أصابعه الخمس - المهم: صارت أفكار العلماء تدور في قضية التورية في هذا الظرف الشديد.

وكان يحيى بن معين وغيره يقولون: أَجَبْنَا خَوْفًا مِنَ السِّيفِ: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، المسألة وصلت إلى القتل. التَّورِيَّةُ لُغَةً:

مصدرٌ لـ (وَرَى)، تقول: وَرَيْتُ الْخَبَرَ تَوْرِيَّةً: إِذَا سَتَرْتَهُ، وَأَظْهَرْتُ غَيْرَهُ.

التَّورِيَّةُ اصطلاحًا:

هي أن يَذْكُرَ الْمُتَكَلِّمُ لَفْظًا مَفْرَدًا لَهُ مَعْنَانِ: أَحَدُهُمَا قَرِيبٌ غَيْرُ مَقْصُودٍ ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد مقصود، ودلالة اللفظ عليه خفية، فيتوهم السامع: أنه يريد المعنى القريب، وهو إنما يريد المعنى البعيد بقرينة تشير إليه ولا تظهره، وتستره عن غير المُتَقَيِّظِ الفطن.

مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنُكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

أراد بقوله: ﴿جَرَحْتُمْ﴾ معناه البعيد، وهو ارتكاب الذنوب.

وَالْمَعْنَى الْقَرِيبُ، هُوَ: الْجُرْحُ وَالنَّزْفُ وَنَزْوُلُ الدَّمِ، وَهُوَ غَيْرُ مُرَادٍ.

وأصل التورية في اللغة: إرادة الشيء وإظهار غيره إيهامًا، وقد جاء في كتب السيرة النبوية أن الرسول ﷺ كان إذا أراد غزوة أو سفرًا إلى جهة ورى غيرها؛ ليعمّي الأخبار، حتى لا يترصد له الأعداء.

قال الزمخشري: لا ترى بابًا في البيان أدق ولا أطف من التورية، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات في كلام الله ورسوله منها.

والتورية - كما تقدّم - أن يذكر المتكلم لفظًا، له معنيان:

١ - قريب ظاهر غير مراد.

٢ - بعيد خفي، وهو المراد.

ومثل قول ابن نباتة:

أَقُولُ وَقَدْ شَنُّوا إِلَى الْحَرْبِ غَارَةً دَعُونِي فَإِنِّي أَكُلُ الْعَيْشَ بِالْجُبْنِ

فَالْعَيْشُ لَهُ مَعْنَيَانِ:

أ - مَعْنَى قَرِيبٌ ظَاهِرٌ غَيْرُ مُرَادٍ، وَهُوَ الْخُبْزُ.

ب - مَعْنَى بَعِيدٌ خَفِيٌّ، مُرَادٌ، وَهُوَ أَنَّهُ يُرِيدُ الْحَيَاةَ.

وَالْجُبْنُ لَهُ مَعْنَيَانِ:

أ - مَعْنَى قَرِيبٌ ظَاهِرٌ غَيْرُ مُرَادٍ، وَهُوَ وَيَعْنِي قِطْعَةَ الْجُبْنِ الْمَصْنُوعَةِ مِنَ اللَّبَنِ.

ب - مَعْنَى بَعِيدٌ خَفِيٌّ، مُرَادٌ، وَهُوَ يَعْنِي الْخَوْفَ وَالْخَوْرَ، عَكْسُ الشَّجَاعَةِ.

والتورية هي الإتيان بكلام له معنى قريب يفهمه السامع، ومعنى آخر بعيد يقصده المتكلم، تحتمله اللغة العربية، ويشترط أن لا يكون فيها إبطال لحق، ولا إحقاق لباطل.

وفيهما يلي أمثلة استخدمها السلف والأئمة أوردتها العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه إغاثة اللهفان:

١ - ذَكَرَ عَنْ (حماد) - رحمه الله - أنه إذا أتاه من لا يريد الجلوس معه، قال متوجعاً: ضُرِيبِي، ضُرِيبِي، فَيَتَرُكُهُ الضَّيْفُ الثَّقِيلُ الذي ليس بصحبته خير.

٢ - وَأَحْضَرَ (سفيان الثوري) إلى مجلس الخليفة المهدي فاستحسنه، فأراد الخروج؛ فقال الخليفة: لا بُدَّ أن تجلس، فحلف الثوري على أنه يعود فخرج وترك نعله عند الباب، وبعد قليل عاد، فأخذ نعله وانصرف، فسأل عنه الخليفة، فقليل له: إنه حَلَفَ أن يعود فعاد وأخذ نعله.

٣ - وكان الإمام (أحمد) في داره ومعه بعض طلابه - منهم المروزي - فأتى سائل من خارج الدار يسأل عن المروزي، والإمام أحمد يكره خروجه؛ فقال الإمام أحمد: ليس المروزي هنا، وما يصنع المروزي ها هنا؟ وهو يضع إصبعه في كفه ويتحدث؛ لأن السائل لا يراه.

ومن أمثلة التورية أيضاً:

لو سألك شخص هل رأيت فلاناً، وأنت تخشى لو أخبرته أن يبطش به فتقول ما رأيته وأنت تقصد أنك لم تقطع رثته أو تضرب رثته، وهذا صحيح في اللغة العربية أو تنفي رؤيته وتقصد بقلبك زماناً أو مكاناً معيناً لم تره فيه، وكذلك لو استحلفك أن لا تكلم فلاناً: فقلت: والله لن أكلمه، وأنت تعني أي لا أجرحه لأن الكلم يأتي في اللغة بمعنى الجرح.

وكذلك لو أرغم شخص على الكفر وقيل له: أكفر بالله، فيجوز أن يقول كفرت باللاهي. يعني اللاعب. (إغاثة اللهفان: ابن القيم).

وكذلك قول الشاعر:

وَهَفَا بِالْفُؤَادِ مِنْ سَلْسِيلٍ ظَمًا لِلَسَّوَادِ مِنْ عَيْنِ شَمْسٍ
فَالسَّوَادُ لَهُ مَعْنَيَانِ:

أ - مَعْنَى قَرِيبٌ ظَاهِرٌ غَيْرُ مُرَادٍ، وَهُوَ اللَّوْنُ الْأَسْوَدُ.

ب - مَعْنَى بَعِيدٌ خَفِيٌّ، مُرَادٌ، وَهُوَ أَنَّهُ يُرِيدُ الْعُمُومَ مِنَ النَّاسِ.

ملاحظة:

كان الشعراء مولعين بالتورية في العصر الحديث . فكانوا يداعبون بها بعضهم بعضاً . فها هو ذا حافظ إبراهيم يقول:

يقولون إن الشوق نار ولوعة فما بال شوقي اليوم أمسى بارداً
فَشَوْقِي لَهُ مَعْنَيَانِ:

أ - مَعْنَى قَرِيبٌ ظَاهِرٌ غَيْرُ مُرَادٍ، وَهُوَ الشَّوْقُ وَالْوَجْدَانِ وَاللَّوْعَةُ.

ب - مَعْنَى بَعِيدٌ خَفِيٌّ، مُرَادٌ، وَهُوَ (شَوْقِي). أَيْ: الشَّاعِرُ أَحْمَدُ شَوْقِي.

فَرَدَّ شَوْقِي عَلَى حَافِظِ إِبْرَاهِيمَ قَائِلاً:

يَا حَافِظَ الْفُضْحَى وَحَارِسَ مَجْدَهَا وَإِمَامَ مَنْ نَجَبَتْ مِنَ الْبُلْغَاءِ
فَحَافِظُ لَهُ مَعْنَيَانِ:

أ - مَعْنَى قَرِيبٌ ظَاهِرٌ غَيْرُ مُرَادٍ، اسْمُ الْفَاعِلِ مِنْ: الْفَعْلِ (حَفِظَ).

ب - مَعْنَى بَعِيدٌ خَفِيٌّ، مُرَادٌ، وَهُوَ الشَّاعِرُ حَافِظُ إِبْرَاهِيمَ.

الْفَائِدَةُ الْبَلَاغِيَّةُ لِلتَّوْرِيَةِ:

التورية تثير الذهن. وتعمل الفكر. وتحدث حركة رياضية للعقل، وتدفعه إلى التأمل في البحث عن المعنى البعيد.

إِنْتَبِهْ ! التورية تأتي شعراً ونثراً، وَتُسَمِّيْهَا حُجْرَةً ذَاتَ بَابَيْنِ، فإذا دخل أحد عليك من أحد البابين خرجت من الباب الآخر.

ملاحظة:

ولا يحسنُ بلاغيّاً استخدام التورية إلا إذا كان هناك داعٍ بلاغيٌّ يقتضيه حال المتلقي، وهذا الداعي ممّا يُقْصَدُ لدى أذكياء البلغاء، كإخفاء المراد عن العامة وإشعار الخاصة من طرفٍ خفي، وكالتعبير عن المقصود بكلام يتأتّى معه الإنكار عند الحاجة إليه، وكاختبار ذكاء المتلقي والتأثير في نفسه بما يُعْجِبُهُ من أداءٍ فنيّ يستخدم فيه الأسلوب غير المباشر حتى الإلغاز، إلى غير ذلك من دواعي.

فليس كلّ كلمة لها معنى قريب ولها معنى بعيد على وجه الحقيقة أو المجاز يحسنُ استخدامها، وقصْدُ المعنى البعيد بها، على سبيل التورية، دون مراعاة أو ملاحظة داعٍ بلاغيّ يُقْصَدُ لدى البلغاء الفطناء.

مَا الْفَرْقُ بَيْنَ التَّوْرِيةِ وَالتَّقْيَةِ؟

المراد بالتقية أن المسلم إذا خشي على نفسه الهلاك أو الضرر فله أن يتقي الكفار والفسقة والظلمة بما يُظهر لهم من المداراة والمصانعة، ويكون باطنه ونيته على خلاف ذلك، ومثل ذلك إذا أكره على الكفر فيتلفظ بلسانه، وقلبه مطمئن بالإيمان.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّهُ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال ابن جرير: قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّهُ﴾ : إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألستكم، وتضمروا لهم

العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلم بفعل).

وروي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: «إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ» أخرجه البخاري.

وقال الحسن: «التَّقِيَّةُ جَائِزَةٌ لِلْمُؤْمِنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أخرجه ابن أبي شيبة.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦].

قال ابن كثير: «اتَّفَقَ العلماءُ عَلَى أَنَّ الْمُكْرَةَ عَلَى الْكُفْرِ، يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُوَالِيَ إِبْقَاءَ لِمُهِجَّتِهِ، وَيَجُوزُ لَهُ أَنْ يَأْبَى كَمَا فَعَلَ بِلَال».

وأما التَّورِيَّةُ فمعناها: أن يذكر لفظاً يَحْتَمِلُ معنيين: أحدهما أقرب من الآخر فيوهم إرادة القريب وهو يريد البعيد.

وقد جاء في الحديث: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَى بِغَيْرِهَا» رواه البخاري ومسلم. أي: أوهم بغيرها.

وقال إبراهيم عليه السلام: «يَا سَارَةُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرِكَ، وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكَ أُخْتِي فَلَا تُكَذِّبِينِي» أخرجه البخاري ومسلم. فإذا احتاج المسلم إلى التورية أو المعارض ففيها مندوحة عن الكذب وعن التقية.

التورية قد تَتَكَلَّمُ بكلام لا يَسْبِقُ إلى ذَهْنِ الْمُسْتَمِعِ، وَأَنْتَ تَتَخَلَّصُ مِنَ الْكَذِبِ بِهَذِهِ التَّورِيَّةِ.

مثلاً: رَجُلٌ دَعَاكَ إِلَى طَعَامٍ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ طَعَامَهُ حَرَامٌ أَوْ فِيهِ شُبْهَةٌ، كَرَجُلٍ - مثلاً - يَعْمَلُ فِي تِجَارَةِ السَّخْمَرِ، أَوِ الْمُحَدَّرَاتِ، وَلَيْسَ لَهُ أَيْ وَظِيفَةٌ إِلَّا

الْعَمَلُ فِي هَذِهِ التَّجَارَةِ الْمُحَرَّمَةِ، وَأَنْتَ لَا تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَ عِنْدَهُ؛ لِأَنَّ مَالَهُ حَرَامٌ؛
حُرْمَةُ الْعَمَلِ.

فَقَالَ لَكَ: تَقَدَّمَ فَكُلْ.

فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي صَائِمٌ، وَمَعْنَى صَائِمٍ الَّذِي يَخْطُرُ عَلَى بَالِ الْمُسْتَمِعِ: أَيُّ: أَنْكَ
صَائِمٌ الصِّيَامَ الشَّرْعِيَّ الَّذِي فِيهِ امْتِنَاعٌ عَنِ الطَّعَامِ، لَكِنَّكَ لَسْتَ صَائِمًا، وَإِنَّمَا
قَصَدْتَ أَنَّكَ صَائِمٌ عَنِ طَعَامِهِ، أَيُّ: أَنَا صَائِمٌ عَنِ الْحَرَامِ، أَوْ أَنَا صَائِمٌ عَنِ
الْكَلَامِ الْفَاحِشِ، وَهَذِهِ الْمَعَانِي أَنْتَ قَصَدْتَهَا، لَكِنَّهَا لَمْ تَخْطُرْ عَلَى بَالِ الْمُسْتَمِعِ.

وَفِي بَابِ الْإِيمَانِ - فِي الْحَلْفِ - الرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «يَمِينُكَ عَلَى مَا يُصَدِّقُكَ
عَلَيْهِ صَاحِبُكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

فَلَوْ حَلَفْتَ عَلَى التَّوْرَةِ صَارَتْ كَذِبًا، يَعْنِي: قُلْتُ: أَنَا صَائِمٌ، لَسْتُ بِكَذَّابٍ،
إِذَا قُلْتُ أَنَا صَائِمٌ، وَقَصَدْتَ الصِّيَامَ الْخَاصَّ عَنِ طَعَامِ هَذَا الْإِنْسَانِ، لَكِنْ إِذَا قَالَ
لَكَ: إِحْلِفْ أَنَّكَ صَائِمٌ، فَلَوْ حَلَفْتَ وَقَعْتَ فِي الْكَذِبِ؛ لِأَنَّ الْيَمِينَ عَلَى مَا سَبَقَ
إِلَى ذَهْنِ صَاحِبِكَ، وَلَيْسَ عَلَى مَا قَصَدْتَهُ أَنْتَ، إِذَنْ: أَنْتَ فِي حِلٍّ مَا لَمْ تَحْلِفْ، فَإِذَا
حَلَفْتَ عَلَى الْمَعَارِضِ انْقَلَبَتْ كَذِبًا، فَفِي بَعْضِ الْمَوَاقِفِ يِرَاعَى فِيهَا حَالُ
الْمُسْتَمِعِ.

فَالرَّسُولُ ﷺ نَهَى أَنْ يُسَمِّيَ الْمَرْءُ غُلَامَهُ نَجَاحًا أَوْ فَلَاحًا أَوْ يَسَارًا؛ لِأَنَّ
هَنَّاكَ طَرَفًا آخَرَ - الْمُسْتَمِعَ - رُبَّمَا سَبَقَتْ الْكَلِمَةُ إِلَى ذَهْنِهِ وَفَهَمَهَا عَلَى غَيْرِ مَا
قَصَدْتَهَا.

وَالْمُسْتَمِعُ قَدْ يَسْبِقُ إِلَى ذَهْنِهِ بِدَلَالَةِ الْعِبَارَةِ مَعْنَى لَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ الْمُتَكَلِّمِ،
فَيَنْبَغِي أَنْ يِرَاعَى الْمُسْتَمِعُ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ إِسْلَامٌ مَثَلًا، مَعَ أَنَّهُ اسْمُ ذَكَرٍ، إِلَّا أَنَّ
فِيهِ نَفْسَ الْعِلَّةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا نَهَى الرَّسُولُ ﷺ عَنِ التَّسْمِيَةِ بِيَسَارٍ وَنَجَاحٍ
وَرَبَاحٍ.

يقال: إسلام موجود؟ لا يوجد إسلام.

يعني: نفي الإسلام عن البيت، وما قصد المتكلم ذلك لكن كانت كلمة مستبشرة عند المستمع.

هناك قصة مشهورة يذكرها العلماء حدثت بين الكسائي وبين أبي يوسف صاحب أبي حنيفة رحمه الله، فكان الكسائي يقول:

- من علم اللغة صار فقيهاً.

- فأنكر عليه أبو يوسف هذه المقالة، وقال: إن الفقه له قوانين وضوابط وأصول.

- فقال: فناظرني في مسألة.

- فقال له أبو يوسف: هات.

- فقال الكسائي: ما تقول في رجل قال لامرأته: أنت طالق طالق طالق؟ ورجل قال لامرأته: أنت طالق وطالق وطالق؟

ورجل قال لامرأته: أنت طالق، ثم طالق، ثم طالق؟

أي هذه تكون طليقة بائنة؟

فقال أبو يوسف: كلها.

ومذهب الأئمة الأربعة وجهان أصحاهم: أن الرجل إذا طلق امرأته ثلاثاً في مجلس واحد تقع ثلاث طلاقات، فلو قال لها: أنت طالق، أنت طالق، أنت طالق؛ تصير طالقاً ألبتة، لا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره، وخالفهم في هذا شيخ الإسلام ابن تيمية وقليل من العلماء ممن سبقه وأتى بعده، وهم الذين قالوا: لا يقع الطلاق إلا في مجالس منفصلة، وصارت عليه الفتوى من بعد شيخ الإسلام إلى الآن في المحاكم الشرعية.

فقال أبو يوسف: كلها.

مع أن الأظهر على أصول الأئمة أن يقع تكرار الطلاق، يعني: لو قال لامرأته: أنت طالق ثلاثاً، فالأصل أنها تحسب واحدة، لكن متى يقع الطلاق ثلاثاً في مجلس واحد؟ إذا كرر لأن العدد لا يفهم إلا مع التكرار.

فلو قال لها: أنت طالق، أنت طالق، أنت طالق، ثلاث مرات، وهو في مجلس واحد في جلسة واحدة، فعند الأئمة يقع ثلاثاً، لكن لو قال لها: أنت طالق ثلاثاً، بمفهوم العدد لا يقع إلا واحدة؛ لأن العدد لا يفهم إلا مكرراً.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ . وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ . وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ . فَتِلْكَ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ . وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . لَهُ الْمُلْكُ . وَلَهُ الْحَمْدُ . وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . غُفِرَتْ لَهُ خَطَايَاهُ . وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وفي رواية «وكبر أربعاً وثلاثين» بدل «ثلاث وثلاثين - فتلك مائة؛ غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر».

فلو قال رجل: سبحان الله ثلاثاً وثلاثين، الحمد لله ثلاثاً وثلاثين، الله أكبر ثلاثة وثلاثين فهذه كم مرة؟ هل قالها مائة أو قالها ثلاث مرات فقط؟ الجواب: ثلاث مرات؛ لأن العدد لا يفهم إلا مكرراً، أن أقول: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله.

أظن أعد ثلاثاً وثلاثين مرة، لكن لو قلت: الحمد لله ثلاثاً وثلاثين، لا تقع إلا مرة واحدة.

فإذا قال الرجل لامرأته: أنت طالق بالثلاث فلا تقع إلا واحدة، إنما لو قال لها: أنت طالق، أنت طالق، أنت طالق في مجلس واحد ومتكررة وراء بعضها، فعند الأئمة وعند جماهير الأصحاب تقع ثلاث مرات.

لذلك قال أبو يوسف رحمه الله: كلها تقع لماذا؟ لأن المرة الأولى قال لها: طالق طالق طالق، فكانت ثلاث طلاقات، والثانية قال: طالق، وطالق، وطالق، والثالثة: طالق ثم طالق ثم طالق.

فاعترض الإمام علي بن حمزة الكسائي - صاحب القراءة المتواترة المشهورة، وهو أحد القراء السبعة - فقال: بل لا تقع ثلاثاً إلا الثالثة، التي هي: أنت طالق ثم طالق ثم طالق، إنما: قوله: أنت طالق طالق طالق، خرج مخرج التأكيد اللفظي، كما لو قال رجل لرجل: أنت الكريم الكريم الكريم، كما قال النبي ﷺ عن يوسف عليه السلام: «هو الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم»، كل هذا تأكيد للفظ الكريم، فلما تؤكد صفة تأكيداً لفظياً وتكرره فهي نفس الصفة ولم تتغير.

وفي المثال الثاني قال: أنت طالق وطالق وطالق، والواو لمطلق الجمع، وتفيد العطف أيضاً، والمعطوف الثاني هو عين المعطوف الأول، والمعطوف الثالث هو عين المعطوف الثاني وهو عين المعطوف الأول، فلم يبق في هذه الصيغ ما يقال: أنه منفصل - كل طلاقة منفصلة عن أختها - إلا (ثم) التي تفيد التراخي، أي: كأنه قال: أنت طالق ثم فصل المجلس، ثم جاء فقال: أنت طالق ثم فصل المجلس، يعني: هناك تراخٍ بين الطلاقة الأولى والطلاقة الثانية، وبين الطلاقة الثانية والطلاقة الثالثة.

مَا حُكْمُ الْإِسْلَامِ فِي التَّوْرِيَةِ؟

الجواب: التورية فيها تفصيل:

١ - إن أدت إلى باطل فهي حرام.

٢ - إن أدت إلى واجب فهي واجبة.

٣ - إن أدت إلى مصلحة أو حاجة فجائزة.

٤ - أن لا يكون فيها هذا ولا هذا ولا هذا، فاختلف العلماء فيها: هل تجوز أو لا تجوز؟

والأقرب أنه لا يجوز الإكثار منها، وأما فعلها أحياناً فلا بأس لا سيما إذا أخبر صاحبه بأنه يَسْتَعْمِلُ التورية؛ لنضرب لهذا أمثالا خمسة:

المثال الأول:

في التورية المحرمة التي تؤدي إلى الباطل: تخاصم شخصان عند القاضي فقال أحدهما لي في ذمة فلان ألف جُنْيَةٍ، فهذه دعوى، فأنكر المدعى عليه فنقول للمدعي: هات البينة، فقال: ليس عندي بينة، فإذا قال هذا توجهت اليمين على المدعي عليه، فأقسم المدعى عليه، قال: والله ما له عندي شيء.

وأراد بـ (ما) اسم الموصول، اسم الموصول يعني: الذي، أي الذي له عندي شيء، وهو صحيح، أن أَلْفَ جُنْيَةٍ شيءٌ، فهذه تورية حرام؛ لأنها تؤدي إلى محرم، أي أكل المال بالباطل.

ثم إن هذا الرجل لا ينجو في الآخرة، فالرسول ﷺ يقول: «يَمِينُكَ عَلَى مَا يُصَدِّقُكَ عَلَيْهِ صَاحِبُكَ» رواه مسلم.

المثال الثاني:

التورية الواجبة: مثل أن يسأل ظالم عن مكان شخص يريد أن يقتله، فسأل رجلاً، وقال: أتدري أين فلان؟ وهو يدري أنه في المكان الفلاني، فقال: لا أدري، وينوي لا أدري عن كل أحواله.

فقال له: هل هو في هذا البيت؟ وهو يدري أنه في البيت.

فقال: ليس في البيت، وينوي ليس في السطح مثلاً أو ليس في الدور الأسفل، أو ليس في الحجرة الفلانية.

فهذه التورية حكمها الوجوب؛ لأن فيها إحياء نفسٍ.

المثال الثالث:

أن تكون التورية لمصلحة: سأل رجل عن شخص في حلقة علم، فقال الحاضرون: ليس هاهنا، ويشيرون إلى شيء ليس هو فيه، بل هو في مكان آخر، فهذه مصلحة.

المثال الرابع:

أن تكون التورية لحاجة: كأن يلجئك رجل في سؤال عن أمور بيتك، وأنت لا تريد أن تخبره عن أمور بيتك، فهنا تحتاج إلى التورية، فإذا قال مثلاً: أنت تفعل في بيتك كذا وكذا، وأنت لا تحب أن يطلع على هذا، فتقول: أنا لا أفعل. وتنوي لا تفعل في زمن لست تفعل فيه هذا الذي سأل عنه، فالزمن متسع فمثلاً: أنت تفعله في الضحى فتقول: أنا لا أفعل هذا يعني في الصباح والمساء، فهذه حاجة.

المثال الخامس:

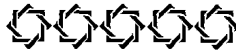
أن لا تكون التورية لحاجة ولا لمصلحة ولا واجب ولا حرام، فهذه مختلف فيها، فقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - لا تحل التورية، وقال إنها حرام؛ لأن التورية ظاهرها يخالف باطنها، إذ إن معنى التورية أن ينوي بلفظه ما يخالف ظاهره، ففيها نوع من الكذب، فيقول: إنها لا تجوز.

وفيهما أيضاً مفسدة، وهي: أنه إذا أُطْلِعَ أن الأمر خلاف ما فهمه المخاطب وصف هذا الموري بالكذب، وساء ظنه فيه، وصار لا يصدقه، وصارَ هذا الرَّجُلُ يَسْخَرُ أو يَسْتَهْزِئُ بالناس.

لكن لو أن الإنسان فعل ذلك أحياناً، فأرجو أن لا يكون فيه حَرَجٌ، لا سِيَّاً إن أخبر صاحبه فيما بعد، وقال: إني قلت كذا وكذا، وأريد كذا وكذا، خلاف ظاهر الكلام، والناس قد يفعلون ذلك على سبيل المزاح.

مثل أن يقول لك صاحبك: متى تزورني؟ أنا أحب أن تزورني، فقلت له: بعد غدٍ، هو سَيَفْهَمُ بعد غدٍ القريب، وأنت تريد بعد غدٍ ما لا نِهَايَةَ له إلى يوم القيامة، وهذا يؤخذ من قول النبي ﷺ لعمرَ رضي الله عنه في صلح الحديبية لما قال للرسول ﷺ: أَلَسْتَ مُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَأِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قال: نعم، لكنني لَمْ أَقُلْ هذا العام وإنك آتية ومطوف به.

وَحَدَّثَ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدِي - رحمه الله - قصة حول هذا الموضوع، جاءه رجل في آخر شهر ذي الحجة، أي تَبَقِيَ أَيَّامٌ على انقضاء السنة، وقال له: يا شيخ نريد وَعَدًا، فقال: هذه السنة لا يمكن أن أُوَاعِدَكَ فيها، فَظَنَّ الْمُتَكَلِّمُ أَنَّهَا اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، فغضب، ولَمَّا رَأَاهُ الشَّيْخُ غَضِبَ فَقَالَ لَهُ: لَمْ يَبْقَ فِي السَّنَةِ إِلَّا عَشْرَةُ أَيَّامٍ أَوْ نَحْوَهَا، فَاقْتَنَعَ الرَّجُلُ، فَمَثَلَ هَذَا لَا بَأْسَ بِهِ أَحْيَانًا لَا سِيَّما إِذَا أَخْبَرَ ضَاحِبَهُ.



تدريبات

بَيِّنِ التَّوْرِيَّةَ فِيمَا يَلِي مِنْ شَوَاهِدَ وَأَمْثَلَةٍ:

١ - قول الشاعر لأحمد شوقي:

يقولون إن الشوق نار ولوعة فما بال شوقي اليوم أمسى باردًا

٢ - فَرَدَّ شَوْقِي:

يَا حَافِظَ الْفُصْحَى وَحَارِسَ مَجْدِهَا وَإِمَامَ مَنْ نَجَبَتْ مِنَ الْبُلْغَاءِ

٣ - مثل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَا بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ [الأنعام: ٦٠].

٤ - قول ابن نباتة:

أَقُولُ وَقَدْ شُنُّوا إِلَى الْحَرْبِ غَارَةً دَعُونِي فَإِنِّي أَكُلُ الْعَيْشَ بِالْجُبْنِ

٥ - قول الشاعر:

وَهَفَا بِالْفُؤَادِ مِنْ سَلْسِيلٍ ظَمًا لِلَسَّوَادِ مِنْ عَيْنِ شَمْسٍ

٦ - مَا رَأَيْتُ أَبَى.

٧ - لَا تَرُدُّ السَّائِلَ.



رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الحادي عشر براعة الاستغلال

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الحادى عشر براعة الاستهلال

تعريف براعة الاستهلال:

وَهِيَ أَنْ تَبْدَأَ بِبِدَايَةِ مُثِيرَةٍ، تُشَدُّ السَّامِعَ، وَتُحَرِّكُ فِي نَفْسِهِ الرَّغْبَةَ فِي الِاسْتِمَاعِ وَالتَّفَاعُلِ، وَلَنَا أَنْ نَقْتَدِيَ فِي ذَلِكَ بِالْأَسْلُوبِ الْقِرَآنِيِّ الْمَعْجَزِ فِي مَطَالَعِ وَبِدَايَاتِ السُّورِ الْقِرْآنِيَةِ الْمُبَارَكَةِ.

مثل قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ ﴾ [الفيل: ١].

وقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۚ ﴾ [الغاشية: ١].

وقوله تعالى: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ ﴾ [النحل: ١].

وقوله تعالى: ﴿ أَفْتَرَبِ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ ﴾ [القمر: ١].

ومثل ذلك كثير جداً، ويتحقق ذلك بطرح المشكلة أو القضية التي يراد الحديث عنها بجملة من الأسئلة والاستفسارات.

ولنا في أحاديث الرسول ﷺ أسوة حسنة، فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ» رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا، أَوْ مَوْتًا

مُجَهَّزًا، أَوِ الدَّجَالُ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةُ فَالسَّاعَةُ أَدَهَى وَأَمْرٌ» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن .

وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسِبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلَاتُهُ فَإِنْ وَجِدَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ تَامَّةً وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْءٌ قَالَ انظُرُوا هَلْ نَجِدُونَ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ يُكْمِلُ لَهُ مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرِيضَةٍ مِنْ تَطَوُّعِهِ ثُمَّ سَائِرُ الْأَعْمَالِ تَجْرِي عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ» رواه الطبراني.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكَ الرِّبَاطُ» رواه مسلم والترمذي والنسائي.

فَكُلُّ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ بَدَأَتْ بِبَرَاةِ الْاسْتِهْلَالِ، وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقٍ بَدَايَةِ مُثِيرَةٍ، تُشَدُّ السَّامِعَ، وَتُحَرِّكُ فِي نَفْسِهِ الرَّغْبَةَ فِي الْاسْتِمَاعِ وَالتَّفَاعُلِ.

وَمِمَّا سَبَقَ يَتَبَيَّنُ أَنَّ بَرَاةَ الْاسْتِهْلَالِ هِيَ أَنْ يَجْعَلَ الْمُتَكَلِّمُ أَوَّلَ كَلَامِهِ حَسَنَ الرَّصْفِ، عَذَبَ اللَّفْظِ، صَحِيحَ الْمَعْنَى. مُشْتَمِلًا عَلَى إِشَارَةٍ لَطِيفَةٍ إِلَى الْمُقْصُودِ. حَتَّى يَجْذِبَ الْأَسْمَاعَ، وَيَسْتَرْعِي الْإِنْتِبَاهَ. وَيَجْعَلُهُ يُقْبَلُ عَلَى الْإِصْغَاءِ، وَيَسْتَهْوِي اللَّبَّ.

وقول أحمد شوقي في الأزهر الشريف:

قُمْ فِي قِمِّ الدُّنْيَا وَحَيِّ الْأَزْهَرَا وَانْثُرْ عَلَى سَمْعِ الزَّمَانِ الْجَوْهَرَا

وقول حافظ إبراهيم في تحية عام هجري:

أَطْلَ عَلَى الْأَكْوَانِ وَالْخَلْقِ تَنْظُرُ هِلَالٌ رَأَاهُ الْمُسْلِمُونَ فَكَبَّرُوا

تَجَلَّى لَهُمْ فِي صُورَةٍ زَادَ حُسْنَهَا عَلَى الدَّهْرِ حُسْنًا أَتَاهَا تَكَرَّرَ

وما أَجْمَلَ بَرَاةَ الاستِهْلالِ إِذَا أَشارَ فيها المتكلم إلى ما يُريدُ دون أن يُصرِّحَ بالطلب. مثل قول الشاعر:

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ سُكُونِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخَطَابُ

ومثل قول أبي تمام يهنئ المعتصم بالله بفتح عمورية وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ
بِضُّ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي مُتُونِنَ جَلَاءِ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَنَى: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ، أَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَلَدٌ حَرَامٌ أَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهْرٌ حَرَامٌ»، قَالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا» رواه البخاري.

فقال لهم: (أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ أَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ أَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟) فلما أقرروا بحُرْمَةِ ما تقدم قال لهم: (فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ).

وَمِمَّا سَبَقَ نَحْنُ أَنْ الْحَدِيثَ بَدَأَ بِبَرَاةِ الاستِهْلالِ حَتَّى يَجْذِبَ الْأَسْمَاعَ، وَيَسْتَرْعِي الْأَنْتِبَاهَ، وَيَسْتَهْوِي اللَّبَّ.

وفي هذه المقدمة والجمل من الفوائد الشيء الكثير نقتطف منها:

١ - قال القرطبي: سؤاله عن الثلاثة، وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار أَفْهَامِهِمْ، وليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم به، ولذلك قال بعدها: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ»، مبالغة في بيان تحريم هذه الأشياء.

٢ - فيه حسن أدب وأخلاق الصحابة رضوان الله عليهم؛ حيث سأكهم «أي شهر هذا؟ أي بلد هذا؟

فكانوا يقولون في الجميع: الله ورسوله أعلم، مع أنهم قد علموا في السؤال الأول أن الإجابة هي على حسب ما يعرفونه، وليس فيه شيء جديد، فليت شعري لو تأدّب طلابُ العِلْمِ اليومَ وَقَتَ الطلبِ والتحصيل مع الأكابر كتأدّب الصحابة رضي الله عنهم حتى ينالوا ما نالوه.

وكقول أبي الفرج الساوي يرثي بعض الملوك من آل بويه أظنه فخر الدولة:
هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمِلءِ فِيهَا حَذَارِ حَذَارٍ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي

وقد روى أن أحسن ابتداء ابتداء به مولد قصيدة قول إسحاق بن إبراهيم الموصلّي، حيث يقول:

هَلْ إِلَى أَنْ تَنَامَ عَيْنِي سَبِيلُ إِنَّ عَهْدِي بِالنَّوْمِ عَهْدٌ طَوِيلُ

ومن إنشادات ابن المعتز في هذا الباب قول النابغة الذبياني:

كَلِّمْنِي لَهُمَّ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيٍّ الْكَوَكِبِ

براعة الاستهلال:

فتكون بالبداية بما يكون فيه إلماح إلى المقصود الأول من النص الأدبي، وإبداعٌ يَجْذِبُ الانتباه، ويأسِرُ المتلقّي سامعًا أو قارئًا، مع حُسْنِ سَبْكِ، وعدوبة لفظٍ، وصحّة معنًى، ومن البديع في البدء ذكْرُ مُجْمَلِ الموضوع أو مجمل القصة قبل التفصيل ومنه إجمال قصة أهل الكهف قبل تفصيلها في سورة (الكهف):

ومن أمثلة البدايات الحسنة ما يلي:

ومن ذلك قول التهامي في مرثية ولديه، وهي من غرر القصائد:

حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَارِي مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارٍ قَرَارِ
طُبَعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تَرِيدُهَا صَبُّوا مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَكْدَارِ

كان العلماء يهتمون ببراعة الاستهلال، وهو أن يقدم بين يدي موضوعه مقدمة فيها إشارة لما يريد أن يتكلم عنه، وما سيذكر فيه.

وبرز بعض الناس الذين إذا أرادوا الكلام في موضوعات أن يقولوا اعتذارات بارزة، ينبغي على الإنسان أن يحرص ويتنبه لها؛ لأنها أحياناً تعطي شيئاً من التزكية، كأن يقول: لَسْتُ بِخَطِيبٍ وَلَسْتُ بِكَذَا وَلَسْتُ بِكَذَا...، ونحو ذلك، يَذُمُّ نَفْسَهُ فِي الْمَلَأِ، وفيه شيء من المدح، أو أن يقول: ليس لدي ما أقوله ويطنب في ذكر إفلاسه وفقره وإذا قلنا: إن بعض الناس سيكتشف ذلك فلا فائدة من الإخبار، وإذا قلت: إن بعضهم لن يكتشف ذلك فلا داعي للإخبار بالحقيقة المرة.

فمن الأمثلة القرآنية على براعة الاستهلال: قوله تعالى:

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨]

﴿صَبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]

ومن أمثال السنة النبوية: عن النعمان بن بشير قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ فِيهِ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِيهَا وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَزْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَا حَرَّمَ أَلَا وَإِنَّ فِي الْإِنْسَانِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» رواه أحمد.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» رواه ابن
ماجة.

اتبه !

١ - براعة الاستهلال يستخدمها الناظم والناثر . أي أنها تأتي شعراً ونثراً .

٢ - يجوز أن يجتمع محسنان بديعيان في تعبير واحد .



تدريبات

بَيِّنْ بَرَاةَ الاسْتِهْلَالِ فِيْمَا يَلِي:

١ - قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ [الفيل: ١].

٢ - قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ [الغاشية: ١].

٣ - قوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ١].

٤ - قوله تعالى: ﴿ أَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١].

٥ - عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ» رواه البخاري.

٦ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًّا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًّا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوْ الدَّجَالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةُ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمْرٌ» رواه الترمذي، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

٧ - عَنْ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلَاتُهُ فَإِنْ وَجِدَتْ تَامَةً كُتِبَتْ تَامَةً وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْءٌ قَالَ انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ يَكْمُلُ لَهُ مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرِيضَةٍ مِنْ تَطَوُّعِهِ ثُمَّ سَائِرُ الْأَعْمَالِ تَجْرِي عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ» رواه الطبراني.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى

الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَأَنْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمْ الرَّبَاطُ»
رواه مسلم والترمذي والنسائي.

٨ - قول أحمد شوقي في الأزهر الشريف:

قُمْ فِي فَمِ الدُّنْيَا وَحَيِّ الْأَزْهَرَ وَأَنْشُرْ عَلَى سَمْعِ الزَّمَانِ الْجَوْهَرَ

٩ - قول حافظ إبراهيم في تحية عام هجري:

أَطْلَ عَلَى الْأَكْوَانِ وَالْخَلْقُ تَنْظُرُ هَلَالٌ رَأَى الْمُسْلِمُونَ فَكَبَّرُوا
تَجَلَّى لَهُمْ فِي صُورَةٍ زَادَ حُسْنَهَا عَلَى الدَّهْرِ حُسْنًا أَتَهَا تَتَكَرَّرُ

١٠ - قول الشاعر:

وفي النفس حاجات وفيك فطانةً سكوتي بيان عندها وخطاب ملاحظة

١١ - ومثل قول أبي تمام:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصفائح في متونهن جلاء الشك والريب

١٢ - عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَنَى: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»

قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ، أَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَلَدٌ حَرَامٌ أَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهْرٌ حَرَامٌ»، قَالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا» رواه البخاري.

١٣ - قول أبي الفرج:

هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بَمَلٍ فِيهَا حَذَارٍ حَذَارٍ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي

١٤ - قول النابغة الذبياني:

كَلِّينِي لَهُمَّ يَا أُمِيمَةً نَاصِبٍ وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ بَطْيِ الْكَوَاكِبِ

١٥ - قول التهامي:

حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَارِي مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بَدَارٍ قَرَارِ
طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تَرِيدُهَا صَفْوًا مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَكْدَارِ



الفصل الثاني عشر الاقتباس

الفصل الثاني عشر

الاقتباس

الاقتباس في اللغة:

قَبَسَ يَقْبِسُ قَبْسًا، قَبَسَ النَّارَ: أَوْقَدَهَا .

قَبَسَ الْعِلْمَ: اسْتَفَادَ، قَبَسَ الرَّجُلُ عِلْمًا أَوْ نُورًا: أَفَادَهُ إِيَّاهُ.

اقتَبَسَ فلانٌ نارًا: أَوْقَدَهَا، أَوْ طَلَبَهَا.

اقتَبَسَ منه عِلْمًا: اسْتَفَادَهُ، جِئْتُ لِأَقْتَبِسَ مِنْ أَنْوَارِكَ.

قَالَ اللَّهُ عز وجل: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد: ١٣].

هو طَلَبُ الْقَبَسِ. وهو الشُّعْلَةُ مِنَ النَّارِ. وَيُسْتَعَارُ لِطَلَبِ الْعِلْمِ.

قال الجوهري في الصحاح: اقتبست منه علما: أي استفدته.

الاقتباس اصطلاحًا:

أَنْ يَتَّصِمَنَّ الْمُتَكَلِّمُ فِي كَلَامِهِ عَلَى أَلْفَاظٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَوْ جُمَلًا تُوَافِقُ لَفْظَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوْ الشُّعْرِ أَوْ النَّثْرِ.

وهذا الاقتباس يكون من القرآن المجيد، أو من أقوال الرسول ﷺ، أو من الأمثال السائرة، أو من الْحِكَمِ المشهورة، أو من أقوال كبار البلغاء والشعراء المتداولة، دون أن يعزو المقتبس القول إلى قائله.

والاقتباس مِنْهُ ما هو حسن بديع يقوي المتكلم به كلامه، ويُحْكِمُ به نظامه، ولا سيما ما كان منه في الخطب، والمواعظ، وأقوال الحكمة، ومقالات الدعوة والإرشاد، ومقالات الإقناع والتوجيه للفضائل في نفوس المؤمنين بكتاب الله وكلام رسوله.

وبعض الأدباء يقتبس من القرآن المجيد أو من أقوال الرسول ﷺ مستنصرًا بما اقتبس لتقوية فكرته، أو لتزيين كلامه في أغراض مختلفة كالمدح والهجاء والوصف والإخوانيات...، ونحو ذلك، فإذا لم يُحَرِّف في المعنى، ولم يكن في اقتباس سوء أدب مع كلام الله أو كلام الرسول ﷺ فلا بأس باقتباسه، وإذا كان في اقتباسه تحريف في المعنى، أو سوء أدب فهو ممنوع ويأثم به المقتبس، وقد يصل بعض الاقتباس إلى دركة الكفر والعياذ بالله.

أمثلة على الاقتباس:

١ - قول ابن الرومي:

لَئِنْ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِكَ مَا أَخْطَأْتُ فِي مَنْعِي
لَقَدْ أَنْزَلْتُ حَاجَاتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ

السطرة الأخيرة مقتبسة من قول الله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

٢ - قول الأبيوردي:

وقصائد مثل الرياض أضعتها في باخل ضاعت به الأحساب
فإذا تناشدها الرواة وأبصروا الممدوح قالوا ساحر كذاب

وهذا مقتبس من قول الله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَجَرٌ كَذَابٌ ۝﴾ [ص: ٤].

٣ - قول الآخر:

لا تعاشر معشرا ضلوا الهدى فسواء أقبلوا أو أدبروا
بدت البغضاء من أفواههم والذي يخفون منها أكبر

وهذا مقتبس من قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ۝﴾ [آل عمران: ١١٨].

٤ - قول بديع الزمان الهمداني:

لِلْ فَرِيغُونَ فِي الْمَكْرُمَا تِ يَدُ أَوْلَا وَاغْتِدَارُ أَخِيرَا
إِذَا مَا حَلَلْتَ بِمَغْنَاهُمُو رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرَا

فَهَذَا مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝﴾ [الإنسان: ٢٠].

٥ - قول الحماسي:

إِذَا رُمْتُ عَنْهَا سَلْوَةٌ قَالَ شَافِعُ مِنْ الْحُبِّ مِيعَادُ السُّلُوكِ الْمَقَابِرُ
سَبَقَى لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا سَرِيرَةُ حُبِّ يَوْمِ تَبْلَى السَّرَائِرُ

فَهَذَا مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ ۝﴾ [الطارق: ٩].

٦ - قول أبي جعفر الأندلسي:

لَا تُعَادِ النَّاسَ فِي أَوْطَانِهِمْ قَلَمًا يُرَعَى غَرِيبُ الْوَطَنِ
وَإِذَا مَا شِئْتَ عَيْشًا بَيْنَهُمْ خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنِ

الشرطة الأخيرة مأخوذة من حديث ميمون بن أبي شبيب عن معاذ أنه قال يا رسول الله ﷺ: «أوصني قال: «اتق الله حيثما كنت - أو أينما كنت» قال: زدني قال: «أتبع السيئة الحسنة تمحها»، قال: زدني، قال: «خالق الناس بخلق حسن» رواه أحمد.

٧ - قول الصاحب بن عباد:

قَالَ لِي: إِنَّ رَقِيبِي سَيِّئُ الْخُلُقِ فَدَارِهِ
قُلْتُ دَعَزِي وَجْهُكَ الْجَنَّةُ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ

الشرطة الأخيرة مقتبسة من حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» رواه مسلم.

٨ - قول الصاحب بن عباد:

أَقُولُ وَقَدْ رَأَيْتُ لَهُ سَحَابًا مِنْ الْهَجْرَانِ مُقْبِلَةً إِلَيْنَا
وَقَدْ سَحَّتْ غَوَادِيهَا بِهَطْلٍ حَوَالَيْنَا الصُّدُودَ وَلَا عَلَيْنَا

الشرطة الأخيرة مقتبسة من حديث أنس بن مالك قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: قَحَطَ الْمَطَرُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَنَا، فَدَعَا فَمَطَرْنَا فَمَا كِدْنَا أَنْ نَصِلَ إِلَى مَنَازِلِنَا فَمَا زِلْنَا نُمَطِّرُ إِلَى الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ قَالَ فَقَامَ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَوْ غَيْرُهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَضْرِفَهُ عَنَّا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا»، قَالَ فَلَقَدْ رَأَيْتُ السَّحَابَ يَتَقَطَّعُ يَمِينًا وَشِمَالًا يُمْطَرُونَ وَلَا يُمْطَرُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ. رواه البخاري.

٩ - قول الشاعر:

خلة الغانيات خلة سوء فاتقوا الله يا أولي الألباب
وإذا ما سألتموهن شيئًا فاسألوهن من وراء حجاب

وهذا مقتبس من قول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩] ، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

١٠ - قول الآخر:

إن كنت أزمعت على هجرنا من غير ما جرم فصبر جميل
وإن تبدلت بنا غيرنا فحسبنا الله ونعم الوكيل

وهذا مقتبس من قول الله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] ، وقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

١١ - قول الشاعر:

قد كان ما خفت أن يكون ————— إننا إلى الله راجعون

الشرطة الأخيرة مقتبسة من قول الله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

١٢ - قال الشيخ صفي الدين الحلي:

هَذِي عَصَايَ الَّتِي فِيهَا مَارِبٌ لِي وَقَدْ أَهْشُ بِهَا طَوْرًا عَلَى غَنَمِي

هذا مقتبس من قول الله: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَقَارِبٌ أُخْرَى﴾ [طه: ١٨].

الخلافاً الفقهي في المسألة:

نقل السيوطي - رحمه الله - أنه اشتهر عن المالكية تحريمه وتشديد النكير على فاعله، أما الشافعية فلم يتعرض له المتقدمون ولا أكثر المتأخرين منهم، مع شيوع الاقتباس في أعصارهم، واستعمال الشعراء له قديماً وحديثاً وتعرض له جماعة من المتأخرين، فسئل عنه الشيخ: عز الدين بن عبد السلام فأجازه، واستدل بها ورد عن الرسول ﷺ من قوله في الصلاة وغيرها: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» رواه مسلم.

وفي رسالة الرسول ﷺ إلى كِسْرَى التي أرسلها مع عبد الله بن حذافة جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كِسْرَى عظيم الفرس سلامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى وَأَمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ اللَّهِ فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، لَأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ».

وهو اقتباس من قول الله تعالى: ﴿لَيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٧٠].

وفي رسالة الرسول ﷺ إلى هرقل الروم، جاء: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فَإِنِّي أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين أي الفلاحين، ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون».

وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقال السيوطي في قول الرسول ﷺ يوم «خير»: «إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين».

قال: هو من أدلة جواز الاقتباس من القرآن وهي كثيرة لا تحصى.

ورد في سياق وصية أبي بكر رضي الله عنه قوله: «أني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب فإن يعدل فذاك ظني به ورجائي فيه وإن يجر ويبدل فلا أعلم الغيب، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» نقلها ابن كثير في تفسيره عند تفسير هذه الآية .

بعض الفقهاء رأى أن الاقتباس في الشعر غير جائز أصلاً، لأنه يجب أن ينزه القرآن عن الشعر مطلقاً وإن حَسُنَ الغرض وشرَّفَ المقصد إذ كيف يجوز ذلك في ضوء نفي وصف الشعر عن القرآن الكريم بمقتضى آيات القرآن الكريم والتي منها قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤١].

وقد أثر القرآن في زيادة الثروة اللغوية ما يلحظ من استعمال عوام الناس لألفاظ القرآن الكريم وتعبيراته في كلامهم، من ذلك قولهم: (صُمُّ بُكْمٌ)، في مقام عدم الاستجابة وقصور الفهم.

وقولهم: (والصُّلْحُ خَيْرٌ)، في مقام الدعوة إلى الصلح.

وقولهم: (ما على الرسول إلا البلاغ)، حين يبلغون ما يستثقله المخاطب ويعترض عليه.

وقولهم: ذهب (هباء مثورًا)، و(طامة كبرى)، و(لا يسمن ولا يغني من جوع)، و(قاب قوسين)، و(ما على المحسنين من سبيل)، و(وأن تعفوا أقرب للتقوى)، و(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، و(الذكرى تنفع المؤمنين)، و(إن بعض الظن إثم)، و(الإنسان على نفسه بصيرة)، و(ويخلق ما لا تعلمون)... وغير ذلك.

ويُذكر في هذا المقام القصة المشهورة عن المتكلمة بالقرآن، التي تُروى عن عبد الله بن المبارك مع عجوز لا تجيب عن أسئلته إلا بجمل أو آيات من القرآن، فلما سأل أبناءها عن شأنها قالوا: هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن؛ مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن. قال ابن المبارك: فقلت: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وبغض النظر عن جواز الفعل - إن صحت القصة - فإن هذه العجوز لم تكن لتتلق بالقرآن وتستحضره في كل أجوبتها إلا لملازمتها له تلاوةً وحفظاً.



تدريبات

عين الاقتباس فيما يلي:

١ - قول الآخر:

إن كنت أزمعت على هجرنا من غير ما جرم فصبر جميل
وإن تبدلت بنا غيرنا فحسبنا الله ونعم الوكيل

٢ - قال الشيخ صفى الدين الحلي:
هَذِي عَصَايَ الَّتِي فِيهَا مَارِبٌ لِي
وَقَدْ أَهْشُ بِهَا طَوْرًا عَلَى غَنَمِي

٣ - قول أبي جعفر الأندلسي:

لَا تُعَادِ النَّاسَ فِي أَوْطَانِهِمْ قَلَّمَا يُرْعَى غَرِيبُ الْوَطَنِ
وَإِذَا مَا شِئْتَ عَيْشًا بَيْنَهُمْ خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنِ

٤ - قول الصّاحب بن عبّاد:

قَالَ لِي: إِنَّ رَقِيبِي سَيِّءُ الْخُلُقِ فَدَارِهِ
قُلْتُ دَعْنِي وَجْهْكَ الْجَنَّةُ حُقَّتْ بِالْمَكَارِهِ

٥ - قول ابن الرومي:

لَئِنْ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِكَ مَا أَخْطَأْتُ فِي مَنَعِي
لَقَدْ أَنْزَلْتُ حَاجَاتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ

٦ - قول الآخر:

فسواء أقبلوا أو أدبروا
والذي يخفون منها أكبر

لا تعاشر معشرا ضلوا الهدى
بدت البغضاء من أفواههم

٧ - قول بديع الزمان الهمذاني:

تَ يَدُ أَوَّلًا وَاغْتِذَازٌ أَخِيرًا
رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا

لَا لَ فَرِيغُونَ فِي الْمَكْرُمَا
إِذَا مَا حَلَلْتَ بِمَغْنَاهُمُو

٨ - قول الحماسي:

مِنَ الْحُبِّ مِعَادُ السُّلُوِّ الْمَقَابِرُ
سَرِيرَةُ حُبٍّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ

إِذَا رُمْتُ عَنْهَا سَلْوَةٌ قَالَ شَافِعٌ
سَتَبْقَى لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا

٨ - قول الصاحب بن عباد:

مِنَ الْهَجْرَانِ مُقْبِلَةٌ إِلَيْنَا
حَوَالَيْنَا الصُّدُودُ وَلَا عَلَيْنَا

أَقُولُ وَقَدْ رَأَيْتُ لَهُ سَحَابًا
وَقَدْ سَحَّتْ غَوَادِيهَا بِهَطْلٍ

٩ - قول الشاعر:

إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَ

قد كان ما خفت أن يكون

١٠ - قول الأبيوردي:

في باخل ضاعت به الأحساب
الممدوح قالوا ساحر كذاب

وقصائد مثل الرياض أضعتها
فإذا تناشدها الرواة وأبصروا

١١ - قول الشاعر:

خلة الغانيات خلة سوء فاتقوا الله يا أولي الألباب
وإذا ما سألتموهن شيئاً فاسألوهن من وراء حجاب



جدول توضيحي للمحسنات البديعية من حيث الشعر والنثر

نوع المحسن البديعي	الشعر	النثر
الطباق	✓	✓
المقابلة	✓	✓
السجع	×	✓
الازدواج	✓	✓
الجناس	✓	✓
التصريح	✓	×
حسن التقسيم	✓	×
الالتفات	✓	✓
تأكيد المدح بما يشبه الذم	✓	✓
التورية	✓	✓
براعة الاستهلال	✓	✓
الاقتباس	✓	✓



تدريبات على المحسنات البديعية

(١) بين نوع المحسن اللفظي (البديعي) مع ذكر الفائدة البلاغية فيما يلي:

١- قول الله عز وجل: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَنَاسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴾ [الكهف: ١٨].

٢- قول الله: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٦].

٣- عن أنس قال: قدم على رسول الله ﷺ بهال من البحرين فتسامعت به المهاجرون والأنصار فغدوا إلى رسول الله ﷺ وذكر حديثا طويلا فيه: وقال للأنصار: «إنكم ما علمت تكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع». (كنز العمال).

٤- قول الله: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾ [الروم: ٥٥].

٥- قول الله عز وجل: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة: ٨٢].

٦- قول الله: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٣، ١٤].

٧- قول الشاعر:

اختلاف النهار والليل ينسي اذكر لي الصبا وأيام أنسي

٨- قول سيدنا علي رضي الله عنه: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب».

٩- عَنْ عُرْوَةَ الْبَارِقِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» رواه البخاري.

١٠- قول الله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿١٠﴾ لِّسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ﴿١١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٢﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١٣﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٤﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٥﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٦﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٧﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الغاشية: ٨-١٦].

١١- قول الله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ تَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴿١﴾ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُونِ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَآيَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴿٢﴾ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

١٢- قول الله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١-١٠].

١٣- قول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْنَوْنَ عَنْهُ ﴿١﴾ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنعام: ٢٦].

١٤- قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١﴾﴾ [الكهف: ١٠٤].

١٥- يقول المنصور: «لا تخرج من عزِّ الطاعة إلى ذلِّ المعصية».

١٦- قول الله: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴿١﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿٢﴾﴾ [النساء: ١٠٨].

١٧- قول الله عز وجل: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿١﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢﴾ وَظِلِّ مَّمْدُودٍ ﴿٣﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٤﴾﴾ [الواقعة: ٢٨-٣١].

١٨- قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَبَلِّ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةً ﴿١﴾﴾ [الذي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾]

تَحَسَّبْ أَنْ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ❷ كَلَّا لِيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ❶ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ❸ نَارُ اللَّهِ
الْمُوقَدَةُ ❹ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفِيدَةِ ❺ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ❻ فِي عَمْدٍ مُّمدَّدةٍ ❼
[الهمزة: ١ - ٩].

١٩ - صَلَّيْتُ الْمَغْرِبَ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ.

٢٠ - قول الشاعر:

متفرد بصباتي متفرد بكآبتي متفرد بعنائتي

٢١ - عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُ وَنَهَا» قَالُوا:
يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي
لَكُمْ» رواه البخاري.

٢٢ - قال أمين الريحاني وهو يودع صنعاء: (قد أكلنا من ثمارك، وشربنا من مائك،
ونعمنا تحت سمائك، وانتعشنا بعليل هوائك).

٢٣ - رأيت اليوم سائلاً .

٢٤ - قول أبي تمام:

بيض الصفائح لاسود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

٢٥ - عن أبي محمد يحيى بن ثمامة بن حجر القرشي ثنا محمد بن زكريا بن دينار ثنا
ابن عائشة عن أبيه قال: خطب النبي ﷺ ذات يوم فقال: «ليأخذ العبد من
نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الممات، فما
بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار».

٢٦ - قول الشاعر:

مِنْ بَحْرِ شَعْرِكَ أَغْتَرِفُ وَبِفَضْلِ عِلْمِكَ أَغْتَرِفُ

٢٧ - قول ابن الرومي في ابنه الفقيد:

طواه الردي عني فأضحى مزاره بعيدا علي قرب قريبا علي بعد

٢٨- قول المتنبي:

واحر قلباه ممن قلبه شميم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

٢٩- قول أبي فراس الحمداني:

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهى عليك ولا أمر

٣٠- ليس في القائد عيب سوى أنه يحسن التخطيط.

٣١- العدل محبوب، والظلم مكروه.

٣٢- قول الفرزدق:

والشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارٌ

٣٣- صولة الباطل ساعة، و صولة الحق إلى قيام الساعة.

٣٤- قول شوقي:

اختلاف النهار والليل ينسى اذكر لي الصبا وأيام أنسى
وسلا مصر هل سلا القلب منها أو اسأجر حه الزمان المؤسى ؟

٣٥- قول الله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ ﴾

[الليل: ٥- ١٠].

٣٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلی الله علیه وسلم قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ» .

٣٧- قول شوقي:

نَفْسِي مِرْجَلٌ وَقَلْبِي شِرَاعٌ بُهْمًا فِي الدُّمُوعِ سِيرِي وَأَرْسِي

٣٨- قول الله: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۚ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝ ﴾ [الكوثر: ١-٣].

٣٩- قول الشاعر:

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطى الكواكب

٤٠- قول المتنبي:

الخيّل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

٤١- قول الله: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

٤٢- قول الشافعي:

قلبي برحمتك اللهم ذو أنسٍ في السرّ والجهر والإصباح والغلسِ
وما تقلبتُ من نومي وفي ستي إلا وذكرك بين النفس والنفسِ
لقد مننتَ على قلبي بمعرفةٍ بأنك الله ذو الآلاءِ والقدسِ
وقد أتيتُ ذنوباً أنت تعلمها ولم تكن فاضحي فيها بفعلٍ مسي
فأمننُ عليّ بذكر الصالحين ولا تجعل عليّ إذا في الدين من لبسِ
وكن معي طول دنياي وآخرتي ويوم حشري بما أنزلت في عبسِ

٤٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتَحَّتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ» رواه البخارى.

٤٤- قول الله تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَرْدٍ كَذَلِكَ يُضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يُضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ۝ ﴾ [الرعد: ١٧].

٤٥- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ فَخَطَبَ فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»، قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ قَالَ: غَطُّوا رُءُوسَهُمْ وَهُمْ خَائِفُونَ، قَالَ: فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، قَالَ: فَقَامَ ذَاكَ الرَّجُلُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ فَلَانٌ»، فَزَكَتْ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١]. رواه مسلم.

٤٦- قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (٢) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (٣) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (٤) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٥) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٦)﴾ [ق: ١٦-٢١].

٤٧- قول أبي العلاء المعري:

أرى اللبّ مرآة اللبيب، ومن يكن	مرائيه الإخوان يصدّق ويكذب
أأخشى عذاب الله، والله عادل	وقد عشت عيش المستضام المعذب
نعم! إنها الأرزاق، والمرء جاهل	يهذب، من دُنياه، ما لم يهذب
فإن حبال الشمس لسن ثوابتاً	لشدّ رحال، أو قوابض جذب



الباب الرابع عِلْمُ الْمَعَانِي

الأسلوب الخبري والإنشائي

تعريف علم المعاني:

هو علمٌ يَدْرُسُ ظواهرَ تعبيريةً كثيرةً، كالأَسَالِبِ والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والذِّكْر والحذف، والتعريف والتنكير، والتأكيد وعدمه، والقصر وعدمه، والإيجاز والإطناب.

نَزَلَ القرآنُ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، عَلَى أَفْصَحِ العربِ وأَقْوَمِهِمْ لِسَانًا، وكان القرآنُ الكريمُ هو الْمُعْجِزَةُ الْكُبْرَى لِلرَّسُولِ ﷺ حيثَ تَحَدَّاهُمُ اللَّهُ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، بل أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْهُ، وَعَجَزَ الْعَرَبُ وَأَدْعَنُوا وَاسْتَسْلَمُوا لِهَذَا الْإِعْجَازِ الْبَيَانِيِّ الرَّائِعِ، وَاسْتَمَرَّتْ تِلْكَ الْمُعْجِزَةُ الْبَيَانِيَّةُ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ وَالْأَجْيَالِ شَاهِدَةً عَلَى صِدْقِ النَّبِيِّ ﷺ وَقُوَّةِ رِسَالَتِهِ.

وهذا القرآنُ الْمُعْجِزَةُ لِلْبَشَرِيَّةِ يَقِفُ الْمُسْلِمُ أَمَامَهُ مُنْهَرًا، يَقِفُ بَيْنَ الْإِعْجَازِ وَبَيْنَ سَلَاسَةِ الْأَسْلُوبِ وَسَهُولَةِ الْعِبَارَةِ وَقُوَّةِ نَفَازِهَا إِلَى أَعْمَاقِ الْقُلُوبِ، لَا تَعْقِيدَ وَلَا تَكْلُفَ وَلَا تَرَكِيبَ.

يَقْرَأُ الْعَالَمُ الْمُتَخَصِّصُ فَيَشْعُرُ بِالضَّعْفِ أَمَامَ رَوْعَةِ أُسْلُوبِهِ وَبَيَانِهِ، وَيَسْمَعُهُ الْأُمِّيُّ فَيَزْدَادُ إِيمَانَهُ وَخُشُوعَهُ، وَيَتْلُوهُ الْأَعْجَمِيُّ فَيَخِرُّ لِلَّهِ سَاجِدًا دُونَ أَنْ يَجِدَ تَفْسِيرًا لِقُوَّةِ سُلْطَانِهِ عَلَى قَلْبِهِ.

وَلَا غَرَوَ، وَلَا عَجَبَ، فَهَذَا كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

وهذا الكتابُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وَلَئِنْ هَذَا الْقُرْآنُ كِتَابٌ هِدَايَةٌ وَبَيَانٌ وَدَلَالَةٌ وَإِرْشَادٌ، فَقَدْ عُرِضَتْ آيَاتُهُ بِأَسْلُوبٍ رَصِينٍ، بَلْ

بأساليب متعددة؛ لِئَلَّا تَمَلَّ الْقُلُوبُ، أَوْ تَكِلَ الْأَفْهَامُ. تَبْدَأُ الْآيَةُ بِأُسْلُوبٍ رَائِعٍ ثُمَّ
تُنْتَهِي بِأُسْلُوبٍ أَخَازٍ، وَتَزْدَادُ نَبْضَاتُ الْقَلْبِ فِي تَنَقُّلِهِ بَيْنَ آيَاتِهِ وَمَعَانِيهِ، فَلَا تَمُجُّهُ
الْأَذَانُ، وَلَا تَتَعَبُ فِيهِ الْأَذْهَانُ، تَنْزِيلٌ مِنْ عَزِيزٍ حَكِيمٍ.

فَالْعَاقِلُ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ يُدِيرُ الْكَلَامَ عَلَى ذِهْنِهِ وَيَعْرِضُهُ عَلَى تَفَكِيرِهِ، فَتَأْتِي
النِّسْبَةُ فِي ذِهْنِهِ، وَيَنْطِقُهَا لِسَانُهُ، وَهَذِهِ النِّسْبَةُ قَبْلَ أَنْ يُفَكِّرَ فِيهَا وَيَنْطِقَ بِهَا هَا
وَاقِعٌ.

فَمَثَلًا حِينَ تَقُولُ: مُحَمَّدٌ مُجْتَهِدٌ.

قَبْلَ أَنْ تَنْطِقَ بِهَا جَالٌ فِي خَاطِرِكَ اجْتِهَادُ مُحَمَّدٍ، وَهَذِهِ تُسَمَّى نِسْبَةً ذَهْنِيَّةً، فَإِنْ
قُلْتَ: (مُحَمَّدٌ مُجْتَهِدٌ) أَصْبَحَتْ نِسْبَةً كَلَامِيَّةً، فَإِنْ وَجَدَ شَخْصًا اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، وَهُوَ
مُجْتَهِدٌ فَعَلًا، فَإِنَّ النِّسْبَةَ الدَّهْنِيَّةَ الْكَلَامِيَّةَ أَصْبَحَتْ نِسْبَةً وَاقِعِيَّةً، وَالْخَبْرُ بِهَا خَبْرٌ
صَادِقٌ.

فَإِنْ كَانَتْ النِّسْبَةُ الْكَلَامِيَّةُ لَا وَاقِعَ لَهَا كَأَنْ لَا يُوجَدُ شَخْصٌ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ أَوْ
وُجِدَ، لَكِنَّهُ غَيْرُ مُجْتَهِدٍ، فَالْخَبْرُ هُنَا كَاذِبٌ. وَهَذَا هُوَ الْأُسْلُوبُ الْخَبْرِيُّ الَّذِي يَحْتَمِلُ
الصَّدَقَ أَوِ الْكَذِبَ.

وَهُنَاكَ الْأُسْلُوبُ الْإِنْشَائِيُّ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ الصَّدَقَ، وَلَا يَحْتَمِلُ الْكَذِبَ؛ لِأَنَّ
النِّسْبَةَ الْوَاقِعِيَّةَ فِيهِ مَتَأَخِّرَةٌ عَنِ النِّسْبَةِ الْكَلَامِيَّةِ كَمَا لَوْ قُلْتَ: (ذَاكِرٌ دُرُوسَكُ).
فَوَاقِعُ هَذِهِ الْعِبَارَةِ سِيحْدُثٌ فِي الْمُسْتَقْبَلِ؛ لِذَلِكَ لَا يُوصَفُ الْإِنْشَاءُ بِالصَّدَقِ أَوْ
بِالْكَذِبِ.

وَالْتَدَقِيقُ الْعِلْمِيُّ يَقُولُ: الصَّدَقُ الْحَقِيقِيُّ أَنْ تَطَابَقَ النِّسْبَةُ الْكَلَامِيَّةُ الْوَاقِعُ
وَالْإِعْتِقَادُ، فَإِنْ اعْتَقَدْتَ شَيْئًا وَلَمْ يَحْدُثْ، فَالنِّسْبَةُ كَاذِبَةٌ وَأَنْتَ غَيْرُ كَاذِبٍ؛ لِأَنَّ
هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَ الْخَبَرِ وَالْمُخْبِرِ.

تعريف الأسلوب:

الأسلوب هو الطريق الذي يُعبّر به الكاتب أو الأديب عما يدور في نفسه من أفكار. وينقل مشاعره وأحاسيسه إلى القارئ والسامع.

وينقسم الأسلوب إلى:

أسلوب خبري .

أسلوب إنشائي.

أولاً: الأسلوب الخبري:

والخبر هو القول الذي يُوصف بالصدق إن طابق الواقع، ويُوصف بالكذب إن خالف.

أو هو قول يُراد إفادة السامع فائدةً ما. وهو كُلُّ ما يحتمل الصدق والكذب لذاته. مثل: سَتَمَطِرُ السَّمَاءُ غَدًا - كَثْرَةُ الطَّعَامِ مُفِيدَةٌ - قَدْ تَغْفُو الدَّوْلَةُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَسَاجِينِ هَذَا الْعَامَ .

الفائدة الحقيقية للأسلوب الخبري:

هو إفادة المخاطب بحكم لم يعرفه المخاطب من قبل، وهذا ما يسمى (فائدة الخبر) وقد يلقي الخبر لإفادة المخاطب أن المتكلم عالم بهذا الحكم ويسمى (لازم الفائدة).

الفائدة البلاغية للأسلوب الخبري:

قد يخرج الخبر عن فائدته الحقيقية إلى فوائد بلاغية. منها:

١ - الفخر والإعجاب: مثل قول الشاعر:

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدِيبٍ وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ

٢ - المدح: مثل قول الشاعر:

نَثَرْتَهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَدِ نَثْرَةً كَمَا نَثَرْتُ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمُ

الأحيد: موضع، وقيل: اسم الجبل الذي عليه مدينة الحدث.

يقول: إنك قتلت الأبطال في كل موضع من هذا الجبل، ونثرتهم عليه كما نثر الدرَاهِم فوق العُرُوس.

٣ - التحسر والحزن وإظهار اللوعة. مثل قول الشاعر:

ذَهَبَ الصَّبَا وَتَوَلَّتِ الْأَيَّامُ فَعَلَى الصَّبَا وَعَلَى الزَّمَانِ سَلَامٌ

٤ - التوبيخ والتأنيب: مثل قولك لمن سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ: الْمِصْبَاحُ فِي يَدِكَ .

٥ - الوعظ والإرشاد: مثل قولك: كُلُّ مَذْكُورٍ سَيُنْسِي. وَكُلُّ مَشْهُورٍ سَيَفْنَى، لَيْسَ غَيْرُ اللَّهِ يَبْقَى.

ثانياً: الأسلوب الإنشائي:

وهو الكلام الذي لا يحتمل الصدق أو الكذب. أو لا يمكن أن يوصف صاحبه بالصدق أو الكذب.

الكلام العربي مُقَسَّم إلى خبر وإنشاء، فالخبر نسبة كلامية، فإن كان لها معنى ومدلول فهي نسبة واقعية.

أما الإنشاء فهو مقابل الخبر يعني: قَوْلٌ لَا يُوصَفُ بِصَدَقٍ وَلَا بِكَذِبٍ، كَأَن تَقُولَ لِإِنْسَانٍ: قِفْ، فهذا أمر لا يقال لقائله: صادق، ولا كاذب .

أنواع الأسلوب الإنشائي:

١ - طلبي: وهو (الأمر - النهي - الاستفهام - التمني - النداء).

٢ - غير طلبي: وهو (التعجب - المدح والذم - القسم) .

ولكل نوع من هذه الأنواع صوره وأغراضه الحقيقية والبلاغية، وإليك التفصيل:
الإِنْشَاءُ الطَّلَبِيُّ:

الْأَمْرُ

وله أربع صور:

١ - فعل الأمر. مثل: اِحْرِضْ عَلَى الْخَيْرِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلی الله علیه وسلم بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: «اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» رواه البخاري.

٢ - المضارع المقترن بلام الأمر. مثل: لِتَحْرِضْ عَلَى الْخَيْرِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلی الله علیه وسلم قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحْ بِالْكُمُ» رواه البخاري.

٣ - المصدر النائب عن فعل الأمر. مثل: حِرْصًا عَلَى الْخَيْرِ.

والتقدير: اِحْرِضْ حِرْصًا.

قال النبي صلی الله علیه وسلم: «صَبْرًا أَلْ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةُ» رواه الحاكم والطبراني والبيهقي.

٤ - اسم فعل الأمر. مثل: عَلَيْكَ بِالْخَيْرِ.

مثل قول الله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلٍّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المائدة: ١٠٥].

ومثل: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ.

الفائدة الحقيقية لفعل الأمر:

هو طلب تنفيذ الفعل على وجه الإلزام والإجبار والاستعلاء.

مثل قول الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

فكل من: (اتَّقُوا - ابْتَغُوا - جَاهِدُوا) فعل أمر، والأمر هنا حقيقي لا بلاغة فيه.

الفوائد البلاغية لفعل الأمر:

يَخْرُجُ الْأَمْرُ عَنْ مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيِّ؛ لِشِرِّ الْإِنْتِبَاهِ، وَيُوقِظُ الذَّهْنَ، وَيُعْمَلُ الْعَقْلُ، وَيَأْخُذُ الْمُتَلَقِّي إِلَى مَا وَرَاءَ الظَّاهِرِ، وَيُمْتِعَ النَّفْسَ بِالْمُشَارَكَةِ الْوُجْدَانِيَّةِ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالسَّامِعِ أَوْ الْمُتَلَقِّي لِيُفِيدَ الْفَوَائِدَ التَّالِيَةَ:

١ - الدعاء:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الْأَمْرُ مِنَ الْأَقْلِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، مِثْلَ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].
﴿اغْفِرْ﴾: فعل أمر يفيد الدعاء، والأحسن أن نقول: فعلٌ دعاء، إذ جاء الأمر من الأقل إلى الله سبحانه وتعالى.

٢ - الرجاء:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الْأَمْرُ مِنَ الْأَقْلِ إِلَى الْأَعْلَى.
مثل قولك للمعلم: اشرح هذا الدرس - أعطني الكتاب يا أباي.
اشرح - أعطني: كل منهما فعل أمر يفيد الرجاء، إذ جاء الأمر من الأقل إلى الأعلى، وهو المعلم - الأب.

٣ - الالتماس :

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الْأَمْرُ مِنْ شَخْصٍ إِلَى شَخْصٍ مُسَاوٍ لَهُ فِي الْمَكَانَةِ وَالْمُسْتَوَى.
 أَوْ بَيْنَ شَخْصَيْنِ مُتَسَاوَيْنِ فِي الدَّرَجَةِ وَالْمَنْزِلَةِ.
 مثل قَوْلِكَ لِصَدِيقِكَ: اِسْمَعْ إِلَى كَلَامِ الْأُسْتَاذِ يَا طَارِقُ.
 اِسمَعْ: فعل أمر يفيد الالتماس؛ إِذْ جَاءَ الْأَمْرُ بَيْنَ شَخْصَيْنِ مُتَسَاوَيْنِ فِي
 الدَّرَجَةِ وَالْمَنْزِلَةِ وَالْمَكَانَةِ.

٤ - النصيحة والإرشاد :

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الْأَمْرُ يَشْمَلُ نُصْحًا وَإِرْشَادًا، مثل قول الأب لابنه: اجْتَهِدْ فِي
 دِرَاسَتِكَ يَا وَلَدِي.
 اجْتَهِدْ: فِعْلٌ أَمْرٌ يُفِيدُ النَّصِيحَ وَالْإِرْشَادَ؛ إِذْ جَاءَ يَحْمِلُ النَّصِيحَ.
 ومثل قول شوقي:

فَخُذُوا الْعِلْمَ عَلَى أَعْلَامِهِ وَاطْلُبُوا الْحِكْمَةَ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ

٥ - التهديد والوعيد :

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الْأَمْرُ بِمَا يُخَالِفُ الْوَاقِعَ، وَيَتَضَمَّنُ مَا يُخِيفُ.
 مثل قول الأب لابنه: اَلْعَبْ وَاتْرُكْ دُرُوسَكَ وَأَهْمِلْهَا - اِظْلِمْ كَمَا تَشَاءُ يَا ظَالِمُ
 قَالَ لَهُ مُطَّلِعٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .
 اَلْعَبْ - اَتْرُكْ - أَهْمِلْ - اِظْلِمْ: كل منها فعل أمر يفيد التهديد والوعيد، إِذْ
 جَاءَ بِمَا يُخَالِفُ الْوَاقِعَ، وَيَتَضَمَّنُ مَا يُخِيفُ.

ومثل قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ
 يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾
 [فصلت: ٤٠].

٦ - التعجيز:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الْأَمْرُ مُشْتَمِلًا عَلَى الْمُسْتَحِيلِ وَالْمُحَالِ، مِمَّا يَضَعُ عَلَى
الْمُخَاطَبِ عَمَلُهُ.

مثل: امشِ عَلَى الْحَائِطِ - انْقُلِ الْأَهْرَامَاتِ مِنَ الْجِيزَةِ إِلَى مَدِينَةِ نَصْرِ .

ومثل قول الله: ﴿ أَمَّنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ
أَعْلَاهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [النمل: ٦٤] .

ومثل قوله: ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا ﴾ [الإسراء: ٥٠] .

وقوله: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا
شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣] .

وقول الشاعر:

أروني بخيلا طال عمرا ببخله وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

٧ - التمني:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الْأَمْرُ مُوجَّهًا لِغَيْرِ الْعَاقِلِ .

مثل قولك: تَكَلِّمِي يَا نَحْلَةً - إِشْهَدِي يَا مِنْضِدَةٌ أَنِّي شَرَحْتُ الدَّرْسَ .

تَكَلِّمِي - إِشْهَدِي: كل منهما فعل أمر يفيد التمني؛ إِذَا جَاءَ الْأَمْرُ مُوجَّهًا لِغَيْرِ
الْعَاقِلِ .

ومثل قول الشاعر:

يَا دَارَ عِبْلَةٍ، بِالْجَوَاءِ، تَكَلِّمِي وَعَمِي صَبَاحًا، دَارَ عِبْلَةٍ، وَاسْلَمِي

٨ - الذمُّ وَالتَّحْقِيرُ:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ الْأَمْرُ مُشْتَمِلًا عَلَى اسْتِهْزَاءٍ وَسُخْرِيَةٍ .

مثل قولك: قِفْ مَكَانَكَ فَلَسْتَ أَهْلًا لِلْمَجْدِ .

ومثل قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٣] ،
وذلك في قصة موسى عليه السلام، وهو يخاطبُ السَّحَرَةَ، أي أن السَّحَرَ مقابلُ
المُعْجَزَةِ حقير.

وتتضح الأغراضُ البلاغيةُ للأمرِ من خلال معرفة الجَوِّ النفسي المسيطر
على المَشاعِر ومن السياق والقرائن التي تحيط به.



النَّهْيُ

لِلنَّهْيِ صُورَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ الْمُضَارِعُ الْمَسْبُوقُ بِـ (لَا) النَّاهِيَةِ.

مثل: لَا تَمْدَحْ أَحَدًا فِي وَجْهِهِ .

عَنْ وَائِلَةَ عَنْ أَبِي مَرْثِدٍ الْغَنَوِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا» رواه مسلم.

الفائدة الحقيقية للنهي:

هُوَ طَلَبُ الْكَفِّ عَنْ شَيْءٍ عَلَى وَجْهِ الْإِلْزَامِ وَالِاسْتِعْلَاءِ .

مثل قول الله: ﴿ وَلَا تُطْعَمْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ [القلم: ١٠] .

وقوله: ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْشِيَاءَ هُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٥] .

وقوله: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ [الحجرات: ١١] .

والنهي الحقيقي: لَا بَلَاغَةَ فِيهِ، وَإِنَّمَا قَصْدُهُ مُجَرَّدُ النَّهْيِ وَالْكَفِّ وَالْمَنْعِ .

الفائدة البلاغية للنهي:

يَخْرُجُ النَّهْيُ عَنْ مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيِّ؛ لِشَيْرِ الْإِنْتِبَاهِ، وَيُوقِظُ الذَّهْنَ، وَيُعْمِلُ الْعَقْلَ، وَيَأْخُذُ الْمُتَلَقِّي إِلَى مَا وَرَاءَ الظَّاهِرِ، وَيُمْتَعِ النَّفْسَ بِالْمُشَارَكَةِ الْوُجْدَانِيَّةِ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِ وَالسَّامِعِ أَوْ الْمُتَلَقِّي لِإِفِيدَةِ فَوَائِدِ بَلَاغِيَّةٍ، وَهِيَ نَفْسُهَا الْفَوَائِدُ الْبَلَاغِيَّةُ لِفِعْلِ الْأَمْرِ الَّتِي سَبَقَتْ مَعَ تَغْيِيرِ الْأَمْرِ (افْعَلْ) إِلَى صِيغَةِ النَّهْيِ (لَا تَفْعَلْ)، وَهَذِهِ الْأَغْرَاضُ هِيَ:

١ - الدعاء:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ مِنَ الْأَقْلِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

مثل قوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تَوَاخِذْنَا إِنْ نُسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿ لَا تَوَاخِذْنَا ﴾: أسلوب نهى للدعاء، والأحسن أن نقول: أسلوب دعاء؛ إذ جاء النَّهْيُ مِنَ الْأَقْلِ إِلَى اللَّهِ. وكذلك ﴿ وَلَا تَحْمِلْ ﴾، ﴿ وَلَا تُحَمِّلْنَا ﴾.

٢ - الرجاء:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ مِنَ الْأَقْلِ إِلَى الْأَعْلَى.

مثل قولك للمعلم: لا تُسْرِعْ فِي الشَّرْحِ - لا تَغْضَبْ يَا أَبِي.

لا تُسْرِعْ - لا تَغْضَبْ: كل منهما نهى يفيد الرجاء، إذ جاء النَّهْيُ مِنَ الْأَقْلِ إِلَى الْأَعْلَى، وهو المعلم - الأب.

ومثل: (لا تُهْمِلْ شَعْبَكَ يَا سَيَادَةَ الرَّئِيسِ).

٣ - الالتماس:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ مِنْ شَخْصٍ إِلَى شَخْصٍ مُسَاوٍ لَهُ فِي الْمَكَانَةِ وَالْمُسْتَوَى. أَوْ بَيْنَ شَخْصَيْنِ مُتَسَاوَيْنِ فِي الدَّرَجَةِ وَالْمَنْزِلَةِ.

مثل قَوْلِكَ لِصَدِيقِكَ: لَا تَتَكَلَّمْ أَثْنَاءَ كَلَامِ الْأُسْتَاذِ يَا طَارِقُ.

لا تَتَكَلَّمْ: أسلوب نهى يفيد الالتماس؛ إذ جاء النهى بَيْنَ شَخْصَيْنِ مُتَسَاوَيْنِ فِي الدَّرَجَةِ وَالْمَنْزِلَةِ وَالْمَكَانَةِ.

٤ - النصيحة والإرشاد:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ يَشْمَلُ نَصْحًا وَإِرْشَادًا.

مثل قول الأب لابنه: لَا تُهْمَلِ دِرَاسَتِكَ يَا وَلَدِي.

لَا تُهْمَلِ: أسلوبٌ نَهْيِيٌّ يُفِيدُ النَّصْحَ وَالْإِرْشَادَ؛ إِذْ جَاءَ يَحْمِلُ النَّصِيحَةَ.

ومثل قول الشافعي:

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ

٥ - التهديد والوعيد:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ بِمَا يُخَالِفُ الْوَاقِعَ، وَيَتَضَمَّنُ مَا يُخِيفُ.

مثل قول الأب لابنه: لَا تُذَاكِرْ وَلَا تَحْفَظْ - لَا تُصَلِّ وَلَا تَأْخُذْ دَوَاءَكَ .

لَا تُذَاكِرْ - لَا تَحْفَظْ - لَا تُصَلِّ - لَا تَأْخُذْ: كل منها نَهْيٌ يفيد التهديد والوعيد؛ إِذْ جَاءَ بِمَا يُخَالِفُ الْوَاقِعَ، وَيَتَضَمَّنُ مَا يُخِيفُ.

٦ - التّعجيز:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ مُشْتَمِلًا عَلَى الْمُسْتَحِيلِ وَالْمُحَالِ، مِمَّا يَصْعُبُ عَلَى الْمُخَاطَبِ عَمَلُهُ. مثل:

- لَا تَتَنَفَّسَ يَوْمَيْنِ

- لَا تَشْرَبْ مَاءً عِشْرِينَ يَوْمًا .

٧ - التمني:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ مُوجَّهًا لِغَيْرِ الْعَاقِلِ.

مثل قولك: لَا تُثْطِرِّي يَا سَمَاءُ - لَا تَتَحَرَّكِي يَا مِنْضَدَةُ.

لَا تُثْطِرِّي - لَا تَتَحَرَّكِي: كل منهما نَهْيٌ يفيد التمني؛ إِذْ جَاءَ الْأَمْرُ مُوجَّهًا لِغَيْرِ

الْعَاقِلِ. ومثل قول الخنساء:

أَعَيْنِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى

٨ - الذم والتحقير:

وَذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّهْيُ مُشْتَمِلًا عَلَى اسْتِهْزَاءٍ وَسُخْرِيَةٍ .

مثل قولك: لَا تَصْعَدْ إِلَى الْمَجْدِ فَلَسْتَ أَهْلًا لَهُ .

لَا تَصْعَدْ: أسلوبٌ نَهْيٌ يُفِيدُ التَّحْقِيرَ وَالذَّمَّ .

وتتضح الأغراض البلاغية للنهي من خلال معرفة الجوّ النفسي المسيطر على المَـشاعـر ومن السياق والقرائن التي تحيط به .

لا يقتصر النهي على هذه الأغراض؛ بل إن هناك أغراضاً أخرى تُفهم من سياق الكلام .



الاستفهام

تعريفه:

هو من أنواع الإنشاء الطلبي، وَالْأَصْلُ فِيهِ طَلَبُ الْإِفْهَامِ وَالْإِسْتِفْسَارِ لِمَعْرِفَةِ شَيْءٍ مَجْهُولٍ لَدَى الْمُسْتَفْهِمِ أَوْ السَّائِلِ.

أدوات الاستفهام:

الهمزة - مَا - هَلْ - مَنْ - مَتَى - أَيْنَ - كَيْفَ - كَمْ - أَى - أَيَّانَ - أَنَّى.

الفائدة الحقيقية للاستفهام:

هى الاستفسار عن شيء مجهول للسائل، ويحتاج لجواب، مثل: هل ظهرت النتيجة أم لا ؟

والاستفهام الحقيقي لا بلاغة فيه.

ومثل: مَتَى قَامَتِ الْحَرْبُ الْعَالَمِيَّةُ الثَّانِيَّةُ؟

الفوائد البلاغية للاستفهام:

يخرج الاستفهام عن أصل دلالته إلى معانٍ أخرى، كثيرًا ما يخرج الاستفهام عن إرادة طلب الإفهام والاستفسار إلى معانٍ أخرى أشار إليها، ويُسْتَدَلُّ عَلَيْهَا مِنْ قَرَائِنِ الْحَالِ أَوْ قَرَائِنِ الْمَقَالِ، إِذْ يَسْتَعْنِي الْبُلْغَاءُ بِعِبَارَاتِ الْإِسْتِفْهَامِ عَنْ ذِكْرِ الْأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ دَلَالَةً صَرِيحَةً عَلَى مَا يُرِيدُونَ التَّعْبِيرَ عَنْهُ مِنَ الْمَعَانِي، وَبِلَاغَةِ الدَّلَالَةِ عَلَى هَذِهِ الْمَعَانِي بِأَسْلُوبِ الْإِسْتِفْهَامِ آتِيَةً مِنَ التَّعْبِيرِ عَنْهَا بِصُورَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ وَهِيَ دَلَالَاتٌ تُتَصَيَّدُ بِالذِّكَاءِ.

وقد أحصى البلاغيون معانٍ كثيرة خرج الاستفهام فيها عن حقيقته، إِذْ تَنَبَّهُوا

إليها لدى دراسة مُخْتَلِفِ النصوص، وهي ما يلي:

- ١ - الإنكار.
- ٢ - التوبيخ.
- ٣ - التقرير.
- ٤ - التعجب.
- ٥ - العتاب.
- ٦ - التذكير.
- ٧ - الافتخار.
- ٨ - التعظيم.
- ٩ - التسوية.
- ١٠ - الأمر.
- ١١ - التنبيه.
- ١٢ - الترغيب.
- ١٣ - النهي.
- ١٤ - الدعاء.
- ١٥ - الاسترشاد.
- ١٦ - التمني.
- ١٧ - الترجي.
- ١٨ - الاستبطاء.
- ١٩ - العرض.
- ٢٠ - التحضيض.
- ٢١ - التجاهل.
- ٢٢ - المدح.
- ٢٣ - الذم.
- ٢٤ - الاكتفاء.
- ٢٥ - الاستبعاد.
- ٢٦ - التهكم والسخرية.
- ٢٧ - التهديد والوعيد.
- ٢٨ - التحقير والاستهانة.
- ٢٩ - التهويل والتخويف... إلخ.

ومن طبيعة الإنسان إذا لم يُرد التصريح بالمعنى الذي يَقْصده، فإنه يتخذ للإشعار به أسلوبًا غير مباشر.

ومن الأساليب الذكيّة غير المباشرة أن يحاول جعل المخاطب هو الذي يعبر بنفسه عن المعنى، أو يُدركه بنفسه ولو لم يُعبر عنه بكلامه.

والطريق السهل للوصول إلى هذه الغاية، أن يطرح على المخاطب جملةً استفهاميةً موجهةً توجيهاً خاصاً، إذ يحيطها بقرائن تجعله يدرك المعنى بنفسه، سواء عبّر عنه بالجواب أو لم يُعبّر.

ولمّا كانت المعاني التي يمكن الإشارة إليها من طرفٍ خفيٍّ كثيرةً جدّاً، ويُمكنُ استدعاؤها إلى الذهن عن طريق طرح السؤال الذي لا يُصرّح فيه بالمراد، كان من الأمر الطبيعيّ في الكلام أن يُصاغ فيه جُمْلٌ استفهاميةٌ محفوفةٌ بقرائن الحال أو المقال، بغيةً استدراج المخاطب لإدراكها، وقد يُصرّح في جوابه بما أدرك من معنى، أو يكتفي بإدراك المراد، ويعلم أن السؤال قد طُرِحَ لمجرد إفهامه الغرض من السؤال.

والمحققون من علماء البلاغة يَرَوْنَ أَنَّ معنى الاستفهام يبقى ولكن ينضم إليه ما يُستفاد منه من المعاني التي يُدَلُّ به عليها.

ويخرج الاستفهام عن أغراضه الحقيقية إلى أغراض بلاغية، منها ما يلي:

١ - التشويق :

إذا كان الاستفهام يُشْمَلُ مَا يُثِيرُ الانتباه ويدعو إلى التشويق.

مثل قول الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرَ عَلَىٰ تَحْرِيرِ تَنجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠].

أي: ارغبوا في هذه التجارة العظيمة الرابعة.

ومثل قول الله: ﴿قُلْ أُوْنِتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ۖ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥].

وعندما نتأمل قول الله: ﴿قُلْ أُوْنِتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ﴾ قد يقول قائل: ألم

يَكُنْ مِنَ الْمُنْطَقِ أَنْ يُخْبِرَنَا اللَّهُ مُبَاشِرَةً بِمَا يَرِيدُ أَنْ يُخْبِرُنَا بِهِ، بَدَلًا مِنْ أَنْ يَسْأَلَنَا: أَيْخِبُنَا بِهَذَا الْخَيْرِ، أَمْ لَا؟

ونقول: أنت لم تلتفتْ إِلَى التَّشْوِيقِ بِالْأَسْلُوبِ الْجَمِيلِ، وَحَنَانِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ. إِنَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ لَنَا: أَلَا تَرِيدُونَ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ عَلَى أَشْيَاءٍ تَفْضُلُ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَسِيرُكُمْ فِي الدُّنْيَا. فَكَأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ نَبَّهَ مَنْ لَمْ يَنْتَبِهْ. وَلَمْ يَنْتَظِرْ اللَّهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ: قُلْ لَنَا يَا رَبِّ.

لَا، إِنَّهُ يَقُولُ لَنَا دُونَ طَلْبِ مَنْأٍ، وَيُقَالُ عَنْ هَذَا الْأَسْلُوبِ فِي اللُّغَةِ إِنَّهُ (اسْتِفْهَامٌ لِلتَّقْرِيرِ)، فَالْإِنْسَانُ حِينَ يَسْمَعُ: ﴿أَوْتَيْنَاكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ﴾ ۖ فَالذَّهْنُ يَنْشَغِلُ، فَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ النَّبَأَ، فَلَسَوْفَ يَظَلُّ الذَّهْنُ مَشْغُولًا بِالنَّبَأِ، وَيَأْتِي الْجَوَابُ عَلَى اسْتِثْقَاءٍ فَيَتِمَّكَنُ مِنَ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ.

٢ - النفي:

إِذَا أَمَكْنَ وَضَعَ أَدَاةَ نَفْيٍ مَكَانَ أَدَاةِ الْاسْتِفْهَامِ، مِثْلَ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ ۖ [الحجر: ٥٦].

هَذَا اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارٌ مِنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ بِمَعْنَى النَّفْيِ، أَيُّ: لَا أَحَدٌ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ.

﴿الضَّالُّونَ﴾: التَّائِهُونَ عَنِ الْحَقِّ.

وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لَمَّا جَاءَتْهُ الْمَلَائِكَةُ فِي صُورَةِ أَضْيَافٍ يَرِيدُونَ إِهْلَاكَ قَوْمِ لُوطَ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كَرِيمًا مَّضِيئًا، فَلَمَّا جَاءَهُ هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ بَادِرَ إِلَى ضِيَافَتِهِمْ، وَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ، وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَأْكُلُوا؛ لِأَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ، وَالْمَلَائِكَةُ لَا يَأْكُلُونَ؛ فإِبْرَاهِيمُ خَافَ أَنَّهُمْ أَعْدَاءُ، لَكِنَّهُمْ طَمَآنُوهُ، وَأَخْبَرُوهُ بِمَهْمَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ جَاءُوا لِإِهْلَاكِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ.

مثل قول الله: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩] ؟.

وقد يدل الاستفهام على الإنكار مع النفي، ويُسمَّى استفهامًا إنكاريًا، ويراد منه النفي، مع الإنكار، مثل قول الله: ﴿ فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] أي: لَا يَهْلِكُ إِلَّا هَؤُلَاءِ عَامًّا شَامِلًا بِعُقُوبَةِ دُنْيَوِيَّةٍ مُعَجَّلَةٍ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ.

ومثل قول الله: ﴿ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ [الروم: ٢٩].

أي: لَا أَحَدٌ يَحْكُمُ بِالْهُدَايَةِ لِمَنْ حَكَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِم بِالضَّلَالِ، وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ يَنْصُرُونَهُمْ فَيُدْفَعُونَ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ. فجاء في هذه الآية عطف الجملة المنفية على الاستفهام الإنكاري، إذ معناه النفي.

٣ - الفخر:

إذا كان الاستفهام يشمل الأجداد والمفاخر بضمير كالمتكلم، مثل: أنا - نحن، مثل قول الشاعر:

نَحْنُ هَلْ تَذَرُونَ مَنْ نَحْنُ هُنَا؟ نَحْنُ صُنَاعُ الْغَدِ الْمُبْتَسِمِ

٤ - التعجب:

إذا كان الاستفهام عما يثير الإعجاب والدهشة.

مثل قول الله: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨].

الاستفهام في هذه الآية استفهامٌ تعجيبِيٌّ فيه معنى التوبيخ والتلويم والتأنيب والتقريع، فالمعنى أَنَّ كُفْرَكُمْ بِاللَّهِ مَعَ كَوْنِكُمْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ وَلَمْ تُحْيُوا أَنْفُسَكُمْ، أَمْرٌ يَنْبَغِي أَنْ تَعْجَبُوا مِنْهُ قَبْلَ غَيْرِكُمْ، وَأَمْرٌ يَتَعَجَّبُ مِنْهُ كُلُّ الْعُقَلَاءِ

من أهل الرشد. فحالكم يثير التعجب والاستغراب، كيف يصدّر من ذوي عقول وأفكار؟!.

وقول الله لعلماء بني إسرائيل: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

فلا استفهام في ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ الذي يخاطب الله به علماء بني إسرائيل استفهام فيه معنى التعجب من حالهم مع التوبيخ والتلويم والتقريع، إذ يأمرُونَ الناسَ من عامة بني إسرائيل بالبرّ (أي: بالتوسّع في أعمال الخير فوق الواجبات) وأن يتركوا مع ذلك أنفسهم فلا يؤدّوا ما فرض الله عليهم وأخذ عليهم به العهد من الإيمان بالرسول الخاتم واتباعه، وهم يتلون كتاب التوراة.

وقول الله عز وجل: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ [النمل: ٢٠].

استفهام تعجّبي، إذ تعجّب سليمان عليه السلام من عدم رؤية الهدهد مع أنواع الطير وليس من عادته أن يتخلف.

وقول الشاعر:

مَالِي أَرَاكُمْ تُنْكِرُونَ مَكَانَتِي؟! الشَّمْسُ لَا تَخْفَى مَعَ الْإِشْرَاقِ

قول إحدى نساء العرب تشكو ابنها، وتظهر التعجب من عمله:

أَنْشَأَ يَمَزُقُ أَثْوَابِي يُؤَدِّبُنِي أَبْعَدَ شَيْبِي يَبْغِي عِنْدِي الْأَدْبَا؟!

أي: إنّ تأديب من شاب من العجب العجّاب.

مثل قول الشاعر:

مَالِي أَكْتَمَ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي وَتَدَّعَى حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأُمِّ

٥ - التعظيم:

إذا كان الاستفهام يشمل التمجيد والإشارة، مثل قول الشاعر:

أَيْنَ الْأَكْلِ سَجَّلُوا فِي الصَّخْرِ سِيرَتَهُمْ وَصَغَّرُوا كُلَّ ذِي مُلْكٍ وَسُلْطَانٍ

تندفع نفس المتكلم حين يرى شيئاً عظيماً فخماً للتعبير عن عظمته وفخامته، بأسلوب التَّعَجُّبِ أحياناً، وبأسلوب الاستفهام أحياناً أخرى، فإذا رَأَى قَصْراً عَظِيماً فَخْماً، قَالَ:

مَا هَذَا الْقَصْرُ؟

كَيْفَ بُنِيَ هَذَا الْقَصْرُ؟

مَنْ بَنَى هَذَا الْقَصْرَ؟

وإذا سمع شاعراً مُبْدِعاً، قال:

ما هذا الشاعر؟

مِنْ أَيْنَ لَهُ بِهَذَا الشَّعْرِ الْبَدِيعُ؟

وهو لا يريد الإجابة على استفهاماته، إنما يريد التعبير عن عظمة ما رأى، أو سَمِعَ.

قول الشاعر:

وَمَنْ الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرْءَ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعَايِيهُ؟

أي: إِنَّ الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا رَجُلٌ عَظِيمٌ.

وقول المتنبي يمدح كافوراً:

وَمَنْ مِثْلُ كَافُورٍ إِذَا الْخَيْلُ أَحْجَمَتْ؟ وَكَانَ قَلِيلاً مَنْ يَقُولُ لَهَا أَقْدَمِي

أي: هو عظيم قليل النظر في الحث على وُرُودِ المَعَارِكِ، فأورد الاستفهام والغرض منه التعظيم، والقرينة المدح.

وقول الشاعر:

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا ؟ لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَسَدَادٍ تُغْرِ

وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا ؟: أي أضاعوا فتى عظيمًا، فالشاعر يعظم من أمر شجاعته. الكريهة: الشدة المكروهة في الحرب.

وَسَدَادٍ تُغْرِ: أي: وَسَدَّ ثَغْرَةٍ مِنْ تُغُورِ الْبِلَادِ لِحِمَايَتِهَا مِنَ الْعَدُوِّ.

٦ - التقرير:

إذا كان الاستفهام عن جُمْلَةٍ مَنْفِيَّةٍ تَحْمِلُ الْمُخَاطَبَ عَلَى الْإِقْرَارِ.

مثل قول الله: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ ﴾ [الشرح: ١]؟

بلى، شَرَحْتَ صَدْرِي.

ومثل: أَلَمْ تَنْجَحْ فِي الْعَامِ الْمَاضِي ؟ بلى، نَجَحْتُ.

ومثل قول الله: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۖ ﴾ [الضحى: ٦-٨]؟

عَاطِلًا فَأَغْنَى ۖ ﴾ [الضحى: ٦-٨]؟

بلى، وَجَدَنِي يَتِيمًا فَآوَى.

وقول الله عز وجل للمكذِّبين بيوم الدين: ﴿ أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ۖ ﴾

فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۖ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ۖ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ ۖ ﴾ [الأنعام: ٢٠-٢٤]؟

لِلْمُكَذِّبِينَ ۖ ﴾ [المرسلات: ٢٠-٢٤]؟

بلى، خَلَقْتَنَا مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ .

وقول الله: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: ٣٦]؟
بلى، الله كافٍ عبده.

وقول الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فلاستفهام في الشواهد السابقة مُسْتَعْمَلٌ لجعل المخاطب يُقَرُّ ويعترف بمُحتوى السؤال.

٧ - التوبيخ:

إذا كان الاستفهام يفيد التوبيخ والتحقير.

مثل قول الله: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥]. الاستفهام يفيد التوبيخ.

ومثل قول الله: ﴿ أَفَبِالْبِطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٢]،
الاستفهام يفيد التوبيخ.

وقول الله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٢].

﴿ آيِنَ شُرَكَائِكُمْ ﴾: استفهام للتوبيخ لهم.

٨ - السخرية والتهكم:

ويستعمل الاستفهام عند إرادة التهكم أو السخرية.

ومثل حديث قوم شعيب عليه الصلاة والسلام له، كما حكى الله: ﴿ قَالُوا يَشُعَيْبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [هود: ٨٧].

وقول إبراهيم عليه السلام: لَا إِلَهَ قَوْمِهِ مِنَ الْأَوْتَانِ كَمَا حَكَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿١١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿١٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿١٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿١٥﴾ [الصفات: ٩١ - ٩٥].

﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ؟: استفهامٌ تهكميٌّ ساخر.

وكذلك: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ ؟

ومثل قول أبي تمام عن المنجمين عندما قرَّرَ المعتصم - الخليفة العباسي - أن ينتقم لشرف امرأة مسلمة، رفع عِلْجٌ من علُوجِ الرُّومِ ثَوْبًا عَنْ جَسَدِهَا، فَقَالَتْ: وامعتصماه! مستغيثةٌ بالمعتصم، وقد استدعى المعتصم المنجمين، ليروا: متى يستطيع أن يفتح عمورية - بَلَدُ ذَلِكَ الْعِلْجِ ؟ فقالوا: لن تفتح قبل نُضْجِ التَّيْنِ وَالْعِنَبِ!

يَبْدَأُ أَنَّ الْمَعْتَصِمَ ضَرَبَ بِكَلَامِهِمْ عُرْضَ الْحَائِطِ، فَأَعَدَّ جَيْشًا، وَتَوَجَّهَ لِعَمُورِيَّةٍ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ لِلْهَجْرَةِ، فَفَتَحَهَا، وَحَرَّقَهَا، وَسَجَّلَ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ الْعَظِيمَةَ الشَّاعِرِ الْعَبَّاسِيِّ أَبُو تَمَامٍ، ثُمَّ.. تَحَدَّثَ عَنِ الْمُنْجِمِينَ، فَسَخِرَ مِنْ عِلْمِهِمْ، فَقَالَ:

أَيْنَ الرِّوَايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبٍ

٩ - الحسرة والحزن:

إذا كان الاستفهام يفيد الندم والحزن على شيء ضاع.

مثل قول الشاعر:

أَيْنَ أَيَّامٍ لَدُنِّي وَشَبَابِي ؟ أَتَرَاهَا بَعْدَ الذَّهَابِ ؟

يمكن معرفة أغراض الاستفهام البلاغية من خلال السياق وحال المخاطب والَجَوِّ الشعوري المسيطر على الموقف.

وتتعدد الصيغُ الخبريةُ، وكُلُّها تُعَرِّضُ بأسلوبٍ جميلٍ، فمرةً تأتي بسياقِ الأمرِ،
وأخرى في مَعْرِضِ النَّهْيِ وثالثة مسبوقةً بجملَةٍ استفهامية.

١٠ - العتاب:

إذا كان الاستفهام يشمل اللومَ والعتابَ، مثل قول الله: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ
قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦].
﴿ أَلَمْ يَأْنِ ؟؟ : أي: أَلَمْ يَحِنْ الْوَقْتُ ؟ يُقَالُ لُغَةً: أَنَّى يَأْنِي أَنِّيَا وَإِنِّي وَأَنَاءٌ، إذا
حَانَ وَقَرَّبَ.

الاستفهام في هذا النص يتضمَّن عتابًا لطائفةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَرَّتْ عَلَيْهِمْ بعد
إيمانهم مُدَّةً كافيةً، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَقُوا فيها من دَرَجَةِ إِيْمَانِ الْوَجَلِ إلى دَرَجَةِ
إِيْمَانِ الْخَاشِعِ.

الوجلُّ: هو الخوف، والخوف يرافقه قلقٌ واضطرابٌ في القلب.

الخشوع: هو الخضوع مع سُكُونِ القلب، وهو درجةٌ في الإِيْمَانِ أعلى من
درجةِ الوجَلِ. وفوقهما درجة الطُّمَأْنِينَةِ.

وقول الله عزَّ وجلَّ خطابًا لرسوله مُحَمَّدٍ ﷺ بشأنِ إِذْنِهِ لطائفةٍ من المنافقين
عن الخروج معه إلى غزوة تبوك: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ
الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ ﴾ [التوبة: ٤٣].

فقول الله له: ﴿ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ ؟ من أَلْطَفِ صُورِ العتاب.

١١ - التهويل والتخويف:

وذلك إذا كان المُسْتَفْهَمُ شَيْئًا مُحْيِفًا، مثل قول الله: ﴿ الْحَاقَّةُ ۝ الْحَاقَّةُ ۝ مَا الْحَاقَّةُ ۝
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝ ﴾ [الحاقة: ١ - ٣].

فلا استفهام هنا للتخويف والتهويل.

وكذلك قول الله: ﴿ الْقَارِعَةُ ۚ مَا الْقَارِعَةُ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۚ ﴾ [القارعة: ١ - ٣].

١٢ - التهديد والوعيد:

وقد يُهدّد المتكلم باستخدام أسلوب الاستفهام، وقد يتوعدّ به. كأن يقول القاضي للمتهمين الذين لم يثبت جرمهم: أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا قَطَعْنَا أَيْدِي الَّذِينَ ثَبِتَتْ عَلَيْهِمْ جَرِيمَةُ السَّرَقَةِ؟.

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا قَتَلْنَا مَنْ ثَبِتَتْ عَلَيْهِمْ جَرِيمَةُ الْقَتْلِ عَمْدًا وَعُدْوَانًا؟
مثل قول الله عزّ وجلّ: ﴿ أَلَمْ يَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۚ ثُمَّ نَبَعَهُمُ الْآخِرِينَ ۚ ﴾ [المرسلات: ١٦، ١٧].

أي: كما فعلنا بالمجرمين الأولين من مكذّبي القرون الأولى سنفعل بأمثالهم من الأمم اللاحقة.

وقول الله: ﴿ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ۚ ﴾ [يونس: ١٠٢].

١٣ - الإنكار:

مثل قول الله تعالى: ﴿ أَيَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ۚ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ۚ ﴾ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢].

هذا استفهام، معناه: الإنكار.

﴿ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا ﴾ أي: هذا الشرك باطل؛ بدليل أن هذه المعبودات من دون الله لا تخلق شيئاً، فهي عاجزة؛ لأن الذي يستحق العبادة هو الخالق، فالذي يقدر على الخلق هو الذي يستحق العبادة، أما الذي لا يقدر على الخلق فهذا لا يستحق العبادة.

وهكذا يكون الاستفهام بأنواعه أحد الأساليب البلاغية، وتتنوع أغراضه البلاغية، وهي أكبر من أن توضع في قوالب جامدة، والحقيقة أن الأغراض البلاغية للاستفهام متروكة لِذَوْقِ الْمُتَلَقِّي، وليس شرطاً أن تتفق هذه الأذواق.



التَّمَنِّي

تعريفه:

هو طلب أمرٍ محبوبٍ أو مرغوبٍ فيه، يصعب تحقيقه لاستحالته في تصوُّر المُتَمَنِّي، وقد يكون ممكنًا، وله أداة أصلية، وهي (ليت). وتستعمل له أدوات أخرى، وهي: (هل - لو - لعل - عسى).

الفائدة الحقيقية للتمني:

هي طلب شيء محبوب. لكنه مستحيل بعيد المنال، كما تمنى الشاعر أن تدنو له الكواكب؛ لينظم منها عقود مدح لمدوحه فقال:

لَيْتَ الْكَوَائِبَ تُدْنُو لِي فَأَنْظِمَهَا عُقُودَ مَدْحٍ فَمَا أَرْضَى لَكُمْ كَلِمِي

فالأداة المستعملة في هذا التمني هي (ليت)، والتمني في كلامه ظاهر.

وتستعمل له أدوات أخرى، وهي: (هل - لو - لعل - عسى).

الفائدة البلاغية للتمني:

تتحقق الفائدة البلاغية للتمني باستخدام الأدوات غير الأصلية، مثل:

(هل - لو - عسى - لعل).

هل - لعل:

مثل قول الله على لسان الكافرين: ﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٣].

جاءت (هل) للتمنى؛ لأن الأمر لا يمكن حدوثه، غير أن شدة التعلق بالأمل والحرص عليه جعل المتمنى يستخدم (هل) متوهماً إمكانية الحدث، والمقصود على لسان الكافر.

ومثل قول الشاعر:

أَسْرَبَ الْقَطَا هَلْ مَنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ؟ لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ

ويطلب الشاعر هنا من جماعة الطيور أن تعيره جناحها؛ ليذهب إلى من يحب، وهو أمر مستحيل في الواقع. والقَطَا هو اليمام (طائر أصغر من الحمام) جاء في الحديث.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قِطَاةٍ لَبَيَّضَهَا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» رواه أحمد.

المفحص: الموضع الذي تجلس فيه القطة وهى اليمامة وتبيض.

القِطَاة: اليمامة، واحده «قطة» وهو نوع من اليمام يفضل الحياة في الصحراء، ويطير جماعات، ويقطع مسافات شاسعات.

واستعمل الشاعر أداتين لِلتَّمَنَّى في البيت السابق (هل - لعل)، وهاتان الأداتان ليستا للتمنى أصلاً، إلا أن الشاعر استعملهما مُعَبَّرًا عن التمنى.

وقول الله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقَدْ لِي يَهْمَمَنُ عَلَى الْطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأُظَنُّهُ مِنْ الْكَذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

وهذه الأداة ليست للتمنى أصلاً، إلا أنها اسْتُعْمِلَتْ للتمنى.

لو:

هو حرف امتناع الجواب بسبب امتناع الشرط، والمراد أن الجواب لم يحدث لأن الشرط لم يتحقق، ويستخدمها الأديب لبيان صعوبة المطلوب.

مثل قول الله عز وجل على لسان الكافرين: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

قال جرير:

وَلِيَ الشَّبَابُ حَمِيدَةً أَيَّامُهُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ يُشْتَرَى أَوْ يَرْجَعُ

والأداة المستعملة في هذا التمني حرف (لو) وتمنى جرير أن تعود أيام الشباب، وَيُشْتَرَى هذا الشباب بالمال ليشتريه، أو أن يعود مَرَّةً أُخْرَى.

ودل على هذا التمني قول الله - سبحانه وتعالى - على لسان الكافرين: ﴿وَمَا أَصْلَنَّا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ [١٩] فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ [٢٠] وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ [٢١] فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [٢٢]﴾ [الشعراء: ٩٩-١٠٢].

والأداة المستعملة في هذا التمني حرف (لو) إذ لدى هؤلاء بعض أملٍ ضعيفٍ باستجابة طلبهم، أو أرادوا إظهاره في صورة الممكن عزيز المنال.

عسى:

وترجى الشاعر أن يفرج الله عنه الكرب النازل عليه، فقال:

عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أُمْسِيتُ فِيهِ يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبٌ

هذا الكلام من قسم الإنشاء الطلبي، وهو من نوع الترجي؛ لأن الفرج أمرٌ مترقبٌ مطموع فيه. وأداة الترجي فيه كلمة «عسى».

ملاحظة:

كل من: (لعل - عسى) أداتان للرجاء، وهو طَلَبُ أَمْرٍ مَحْبُوبٍ يُمَكِّنُ حُصُولَهُ. مثل: (أَجْتَهِدْ فِي الدِّرَاسَةِ لَعَلَّ اللَّهَ يَكْتُبُ لِي النِّجَاحَ - عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالنَّصْرِ).



النداء

تعريفه:

هُوَ جَهْرُ الصَّوْتِ بِدَعْوَةٍ أَحَدٍ لِيَحْضُرَ؛ ولذلك كانت حروف النداء نائبةً مناب «أدعو».

أو هو دعوة المخاطب وطلبُ الإقبالِ منه بحرف من حروف النداء أو ما يُنوبُ مناب (أدعو).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلی الله علیه وسلم قَالَ: «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَذْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأَذِينَ، فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا تُوبَّ بِالصَّلَاةِ أَذْبَرَ، حَتَّى إِذَا قَضَى التَّوْبَةَ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لَا يَذَرِي كَمْ صَلَّى» رواه البخاري.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صلی الله علیه وسلم رَجُلٌ أَعْمَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلی الله علیه وسلم أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ فَرَخِّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَجِبْ». رواه مسلم.

وأدوات النداء ثمان: أ - أي - يا - آ - آي - أيَا - هيَا - وَا .

ف (أ - أي) لنداء القريب.

و (أيَا - هيَا - آ - يا) لنداء البعيد.

و (وَا) للندبة، وهي التي يُنادى بها المندوبُ المُتَفَجِّعُ عليه، أو المتفجع منه.

وكثيراً ما تُحذفُ أداة النداء ولا سيما في نداء الله ودُعائه، فتكون مقدرة، مثل:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

والأداة التي تُقدَّرُ عند الحذف هي: (يا) فيما ذكر النحاة.

إِنَّ حَذْفَ أَدَاةِ النَّدَاءِ لَهُ دَلَالَةٌ فِي نَفْسِ الْبَلِغِ، وَهِيَ أَنَّ الْمُنَادِيَ هُوَ فِي أَقْرَبِ مَنَازِلِ الْقَرَبِ مِنَ الْمُنَادِي، حَتَّى لَمْ يَحْتَجْ إِلَى ذِكْرِ أَدَاةِ نَدَاءٍ لَهُ لَشِدَّةِ قُرْبِهِ، وَهَذَا يَلِيقُ بِمَقَامِ دُعَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِذَا قَالَ الدَّاعِي (يَا رَبِّ) فَهُوَ يُعَبِّرُ بِذِكْرِ أَدَاةِ النَّدَاءِ عَنْ شِدَّةِ حَاجَةِ نَفْسِهِ لِمَا يَدْعُو بِهِ، أَوْ يَعْبُرُ عَنِ الْمَلِكِ أَوْ اسْتِغَاثَتِهِ أَوْ ضَيْقِ صَدْرِهِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي.

لِذَلِكَ نَجِدُ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ كُلَّ نَدَاءٍ فِيهِ دُعَاءٌ لِلرَّبِّ قَدْ حُذِفَتْ مِنْهُ أَدَاةُ النَّدَاءِ، بِاسْتِثْنَاءِ نِدَائَيْنِ نَادَاهُمَا الرَّسُولُ ﷺ، فَقَدْ ذَكَرَ فِيهِمَا أَدَاةَ النَّدَاءِ (يَا) تَعْبِيرًا عَنْ حَالَةِ نَفْسِهِ الْحَزِينَةِ مِنْ أَجْلِ قَوْمِهِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا بَعْدَ أَنْ بَلَغَهُمْ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مِنْهُ، وَأَسْمَعَهُمْ آيَاتِهِ، وَأَعَادَهَا عَلَيْهِمْ مَرَاتٍ لِيَفْهَمُوا دِلَالَاتَهَا فَأَصْرَوْا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ حَتَّى رَأَى أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ مَعَهُمَا ذَكَرَهُمْ وَأَقْنَعَهُمْ وَحَذَّرَهُمْ وَأَنْذَرَهُمْ.

قول الله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

فَذَكَرَ الرَّسُولُ حَرْفَ النَّدَاءِ (يَا) مَعَ أَنَّهُ يُنَادِي رَبَّهُ الَّذِي هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، لِيُعَبِّرَ بِمَدِّ صَوْتِهِ بِأَدَاةِ النَّدَاءِ عَنْ حَزْنِهِ مِنْ أَجْلِ قَوْمِهِ، وَتَلَهُّفِهِ لَاسْتِجَابَتِهِمْ، وَحِرْصِهِ عَلَى نَجَاتِهِمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ فِي جَهَنَّمَ دَارِ عَذَابِ الْكَافِرِينَ يَوْمَ الدِّينِ.

وقوله: ﴿وَقِيلِهِ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨].

أي: تَصَلَّبُوا على العناد والكفر، فَهُمْ لَا يَتَحَرَّكُونَ حركةً جديدةً يُشْعِرُونَ فيها باقترابهم من الإيمان، فعَبَّرَ بأداة النداء عن تلهُّفِهِ لإيمانِهِم ونجاتِهِم، وتوجُّعِ قلبه من أجلهم.

قال الزمخشري: «كثُرَ في القرآن النداء بـ(يا أيُّها) دون غيرها لأنَّ فيها أوجهًا من التأكيد، وأسبابًا من المبالغة، منها:

١ - ما في (يا) من التأكيد والتنبيه.

٢ - ما في (ها) من التنبيه.

٣ - وما في التدرُّج من الإيهام في (أي) إلى التوضيح.

وَالْمَقَامُ يُنَاسِبُ الْمُبَالَغَةَ والتَّأْكِيدَ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا نَادَى اللَّهُ لَهُ عِبَادَهُ مِنْ أَوْامِرِهِ، وَنَوَاهِيهِ، وَعَطَائِهِ، وَرَوَاجِرِهِ، وَوَعِيدِهِ، وَوَعِيدِهِ، وَمِنْ اقْتِصَاصِ أَخْبَارِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَنْطَقَ اللَّهُ بِهِ كِتَابِهِ، أَمُورٌ عَظَامٌ، وَخُطُوبٌ جَسَامٌ، وَمَعَانٍ وَاجِبٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّقِظُوا لها، وَيَمِيلُوا بِقُلُوبِهِمْ وَبَصَائِرِهِمْ إِلَيْهَا، وَهُمْ غَافِلُونَ، فَاقْتَضَى الْحَالُ أَنْ يُنَادُوا بِالْأَكْدِ الْأَبْلَغِ.

ونلاحظ في خطاب الله لعباده في القرآن أَنَّهُ يُنَزِّلُهُمْ مَنَزَلَةَ الْبَعِيدِينَ عَنْهُ، فَيُنَادِيهِمْ بِحَرْفِ النِّدَاءِ (يا) مع أَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، مِرَاعَةً لِمَقَامِ الرُّبُوبِيَّةِ الرَّفِيعِ، فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالتَّوَجُّهِ، إِذْ هُوَ سَبْحَانَهُ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى.

فجاء في النصوص القرآنية: ﴿يَعْبَادِي﴾، ﴿يَمْعَشَرِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ﴾، ﴿يَا حَيُّ﴾، ﴿يَا عِيسَى﴾، ﴿يَا دَاوُدُ﴾، ﴿يَا زَكَرِيَّا﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾.

مثل قول الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَزْمِلُ ۝ قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نَصَفَهُ ۚ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْفُرْعَانَ تَرْتِيلًا ۝﴾ [المزمل: ١ - ٤].

وافتحاح الكلام بالنداء إذ كان المخاطب واحدا ولم يكن بعيدا يدل على الاعتناء بما سيلقى إلى المخاطب من كلام.

والأصل في النداء أن يكون باسم المنادى العلم إذا كان معروفا عند المتكلم فلا يعدل من الاسم العلم إلى غيره من وصف أو إضافة إلا لغرض يقصده البلغاء من تعظيم وتكريم، مثل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ﴾.

أو تلمظ وتقرّب مثل: يا بني ويا أبت، أو قصد تهكم، مثل قوله: ﴿وَقَالُوا يَتَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝﴾ [الحجر: ٦].

فإذا نُودِيَ المَنَادِي بوصفٍ هَيَّئَتْهُ مِنْ لُبْسِهِ أَوْ جَلَسَةٍ أَوْ ضَجْعَةٍ كان المقصودُ في الغالبِ التلطفَ بِهِ وَالتَّحَبُّبَ إِلَيْهِ وَهَيَّئَتْهُ، ومنه قول النبي ﷺ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدْ وَجَدَهُ مُضْطَجِعًا فِي الْمَسْجِدِ وَقَدْ عَلِقَ تَرَابُ الْمَسْجِدِ بِجَنْبِهِ «قُمْ أَبَا تُرَابٍ» وقوله لحذيفة بن اليمان يوم الخندق: «قم يا نومان»، وقوله لعبد الرحمن بن صخر الدوسي، وقد رآه حاملا هِرَّةً صَغِيرَةً فِي كُمِّهِ «يا أبا هريرة».

فنداء النبي بـ ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَزْمِلُ﴾، نداء تلطف ورفق ورحمة، ومثله قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمُدِيرُ﴾

نُودِيَ النَّبِيُّ ﷺ بوصفه حالة خاصة تَلَبَّسَ بها حين نزولِ السورة، وهي أنه لما رأى الملك بين السماء والأرض فرق من رؤيته فرجع إلى خديجة، فقال: «دَثْرُونِي دَثْرُونِي، أَوْ قَالَ: زَمَلُونِي زَمَلُونِي» فدَثْرُونِي، على اختلاف الروايات.

والنداء من الإنشاء؛ لأنك تريد أن تنشئ شيئا من عندك، فلو قُلْتَ: (يا محمد) فأنت تريد أن تنشئ إقبالا عليك، فالنداء إذن طلبُ الإقبال عليك، إنك لا تنادى إلا البعيد عنك الذي تريد أن تستدنية منك.

ككيف تنادى ربك تبارك وتعالى، وهو أقرب إليك من حبل الوريد؟ وكيف تناديه سبحانه وهو يسمعك حتى قبل أن تتكلم؟ فإذا كان إقباله عليك موجوداً في كل وقت، فما الغرض من النداء هنا؟

نقول: الغرض من النداء: الدعاء.

ووصف الله النداء بأنه: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]؛ لأنه ليس كنداء الخلق للخلق، يحتاج إلى رفع الصوت حتى يسمع، إنه نداء الله تبارك وتعالى الذي يستوي عنده السر والجهر، وهو القائل: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣].

ومن أدب الدعاء أن ندعوه سبحانه كما أمرنا: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وهو سبحانه ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧] أي: وما هو أخفى من السر؛ لأنه سبحانه قبل أن يكون سرّاً، علم أنه سيكون سرّاً.

وهو سبحانه ﴿الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٦] لذلك، جعل الله سبحانه أحسن الدعاء الدعاء الخفي؛ لأن الإنسان قد يدعو ربه بشيء، إن سمعه غيره ربما استنقصه، فجعل الدعاء خفياً بين العبد وربّه حتى لا يفتضح أمره عند الناس.

أما الله سبحانه فهو يحب السر حتى على العاصين، وكذلك ليدعو العبد ربّه بما يستحي أن يذكره أمام الناس، وليكون طليقاً في الدعاء فيدعو ربه بما يشاء؛ لأنه ربّه ووليه الذي يفرع إليه. وإن كان الناس سيحزنون ويتضجرون إن سألتهم أدنى شيء، فإن الله تعالى يفرح بك إن سألته.

الفائدة الحقيقية للنداء:

هي طلب الإقبال والمجيء والانتباه. مثل: يا طالب أقبل - يا ظالم أدبر . والنداء الحقيقي لا بلاغة فيه.

الفوائد البلاغية للنداء:

قد يخرج النداء عن فائدته الحقيقية إلى فوائد أخرى. منها:

١ - التعظيم:

مثل قول الشاعر:

يَا أُمَّةً مِنْ تُرَاثِ الدَّهْرِ خَالِدَةً مَضَتْ وَلَمْ تَقْتَبِسْ آثَارَهَا الْأُمَم

ومثل قول الشاعر:

يَا سَمَاءَ الشَّرْقِ طُوفِي بِالضِّيَاءِ وَأَنْشُرِي شَمْسَكَ فِي كُلِّ سَمَاءِ

٢ - الحسرة:

مثل قول الشاعر:

أَيَا قَبْرٍ هَذَا الضَّيْفِ آمَالُ أُمِّهِ فَهَلَّلْ وَكَبِّرْ وَأَلْقِ ضَيْفًا حَاشِيًا

ومثل قول الشاعر في ابنه الفقيد محمد:

مُحَمَّدٌ مَا شَيْءٌ تُوَهُمَ سَلْوَةٌ لِقَلْبِي إِلَّا زَادَ قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ

٣ - التمني:

إذا كان النداء للجهد أو لغير العاقل، مثل قول الخنساء:

أَعَيْنَيَّ جُودًا وَلَا تَجْمُدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرٍ النَّدَى

ومثل: يَا نَيْلَ مِصْرَ هَنِيئًا لَكَ.

٤ - التوبيخ:

مثل قول الشاعر:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلَّمُ غَيْرُهُ هَلَا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ

حيث يطلب الشاعر من المخاطب أن يعلم نفسه قبل غيره.

ملاحظات:

- ١ - معرفة الغرض البلاغي للنداء تعتمد على ذوق القارئ أو السامع إلى جانبي ما يحمله التعبير من مضمون .
 - ٢ - قد تستعمل أداة نداء القريب لنداء البعيد. مثل: (أصديقي بالهند. كيف حالك ؟) والغرض البلاغي هنا هو بيان قرب المنادى من نفس المتكلم.
 - ٣ - وقد تستعمل أداة نداء البعيد لنداء القريب، مثل: (هَيَّا جَارِي المخلص، نعم الرجل أنت - هيا جاري اللئيم، بئس الرجل أنت).
- فالغرض البلاغي هنا في المثال الأول تعظيم المنادى ورفع شأنه.
- وتجده في المثال الثاني تحقير المنادى وانحطاط قدره؛ لأنَّ هذا راجع إلى الناحية النفسية كما ترى في السياق.



الإنشاء غير الطلبي

تعريفه:

هو ما لا يراد به طلب شيء. ويشمل أربعة أشياء:

١ - التعجب.

٢ - المدح.

٣ - الذم.

٤ - القسم.



التعجب

تعريفه:

هو انفعالٌ أو دَهْشَةٌ دَاخِلَ النَّفْسِ بسببِ وُجُودِ صِفَةٍ بارزةٍ حُسْنًا أو قُبْحًا.

هل التعجب من الخبر أو من الإنشاء؟

اختلف العلماء في التعجب، هل هو من أقسام الخبر أو من أقسام الإنشاء، ورجح الكثيرون أنه من أقسام الخبر؛ لأنه إخبارٌ عن حالة التعجب القائم في النفس.

والقائلون بأنه من أقسام الإنشاء لاحظوا أنه صيغةٌ كلاميةٌ يُطَلَبُ بها تعظيم الأمر في نفس السامع.

نوعا التعجب:

تنقسم أساليب التعجب إلى قسمين:

١ - نوعٌ يُفْهِمُ بالقرينة، ويُدْرِكُهُ صَاحِبُ الفَصَاحَةِ والبَلَاغَةِ واللُّغَةِ، وَلَهُ عِبَارَاتٌ وَطُرُقٌ تَدُلُّ عَلَيْهِ.

مثل قوله: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦].

والمعنى: اَتَعَجَّبُ مِنْ هداية الله لقوم كافرين بعد أن ذاقوا حلاوة الإيمان وبعد أن جربوا صدق الرسول ﷺ.

مثل قول الله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَنًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

والمعنى: اَتَعَجَّبُ مِنْ كُفْرِكُمْ بِاللَّهِ.

عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيِّ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَرْوَرُهُ لَيْلًا فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَأَنْقَلَبْتُ فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي وَكَانَ مَسْكُنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ أَسْرَعَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى رَسُولِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيِّ» فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْدَفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا أَوْ قَالَ شَيْئًا» رواه البخاري.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ جُنُبٌ فَأَنْسَلَ فَذَهَبَ فَأَغْتَسَلَ فَتَفَقَّدَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ: «أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقِيتَنِي وَأَنَا جُنُبٌ فَكَرِهْتُ أَنْ أَجَالِسَكَ حَتَّى أَغْتَسَلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ» رواه مسلم.

عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنَّ أَصَابَتُهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» رواه مسلم.

ومثل قول العرب: لِلَّهِ دَرَّةٌ فَارِسًا.

والدَّر: اللبن الكثير، وحين تقول: (لله دَرَّةٌ فَارِسًا) فكأنَّ هذا الفارس رَضِعَ لبنًا غَيْرَ عَادِيٍّ، أعده الله له.

والمعنى: أَتَعَجَّبُ مِنْ هَذَا الْفَارِسِ.

لله: جار ومجرور خبر مقدم.

دَرَّةٌ: مبتدأ مؤخر، مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، والهاء ضمير مبني على الضم في محل جر مضاف إليه.

فَارِسًا: تمييز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة.

٢ - نوع قياسي أو اصطلاحى، وله صيغتان: مَا أَفْعَلَهُ - أَفْعَلُ بِهِ.

وهذان الوزنان يستعملان عند إرادة التعجب من شيء تنفعل به النفس على الوجه الذى شرحنه.

مثل: مَا أَجْهَلَ السَّمَاءَ !

ما: تعجبية مبنية على السكون، في محل رفع مبتدأ.

أَجْهَلَ: فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، لا محل له من الإعراب، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره: (هو) يعود على (ما).

السَّمَاءَ: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة، والجملة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر للمبتدأ (ما).

ومثل: أَجْهَلَ بِالسَّمَاءِ !

أَجْهَلَ: فعل ماضٍ، جاء على صورة الأمر؛ لإفادة التعجب.

بالسَّمَاءَ: الباء حرف جر زائد، (السَّمَاءَ): فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، فهو مجرور لفظاً مرفوع محلاً.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِبُرْدَةٍ، فَقَالَ سَهْلٌ لِلْقَوْمِ: أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ فَقَالَ الْقَوْمُ: هِيَ الشَّمْلَةُ، فَقَالَ سَهْلٌ: هِيَ شَمْلَةٌ مَنْسُوجَةٌ، فِيهَا حَاشِيَتُهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْسُوكَ هَذِهِ؟ فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَلَبَسَهَا، فَرَأَاهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَحْسَنَ هَذِهِ فَاكْسُيْنَهَا، فَقَالَ: «نَعَمْ» فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ لَأَمَّهُ أَصْحَابُهُ، قَالُوا: مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعُهُ، فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبَسَهَا النَّبِيُّ ﷺ لَعَلِّي أَكْفَنُ فِيهَا» رواه البخارى.

ما: تعجبية مبنية على السكون، في محل رفع مبتدأ.

أحسن: فعل ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، لا محل له من الإعراب، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره: (هو) يعود على (ما).

هذه: اسم إشارة مبني على الكسر في محل نصب مفعول به منصوب، والجملة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر للمبتدأ (ما).

وللعلماء في تعريف التعجب أقوال:

قال الزمخشري: معنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين؛ لأنّ التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله.

والتعجب يكون بصيغ تدلُّ عليه من لفظ المتعجب منه، وبصيغ أخرى من غير لفظه.

فالصيغ التي يُتعجب بها من لفظ المتعجب منه تأتي على وزن: (مَا أَفْعَلُهُ) مثل:

مَا أَكْرَمَ الصَّدِيقَ !

مَا أَشْجَعَ الْمُجَاهِدَ !

وعلى وزن: (أَفْعِلْ بِهِ) مثل: أَكْرِمَ بِالصَّدِيقِ ! أَشْجِعَ بِالْمُجَاهِدِ !

ومثل قول الله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَّا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ [مريم: ٣٧، ٣٨].

أي: مَا أَشَدَّ سَمْعَهُمْ ! وَمَا أَشَدَّ بَصَرَهُمْ ! يَوْمَئِذٍ.

قول الشاعر:

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا وَأَقْبَحَ الْكُفْرَ وَالْإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ

قولنا: مَا أَجْمَلَ الصَّدَقَ - أَكْرِمَ بِالْعَفِيفِ الشَّرِيفِ.

قال المحققون: إذا ورد التعجب في كلام الله صُرف إلى المخاطبين، ولهذا يُعبر بعض العلماء بالتعجب بدل التعجب، أي: هو تعجب من الله للمخاطبين.

قول الله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥].

أي: هؤلاء ينبغي أن تتعجبوا من شدة صبرهم على عذاب النار.

وقول الله عز وجل: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [مريم: ٣٨].

أي: تعجبوا من شدة سمعهم ومن شدة بصرهم.



الْمَدْحُ وَالذَّمُّ

هناك ألفاظٌ تدلُّ على المَدْحِ والذَّمِّ، ومن ذلك أفعال المدح، وهي: (نِعَمَ - حَبَّذا)، وأفعال الذم، وهي: (بئسَ - ساءَ - لا حَبَّذا).

وكلُّ أفعالِ المَدْحِ والذَّمِّ ماضية جامدة.

إذا أردنا مدحَ الصِّدِّقِ، نقولُ: نِعَمَ الخَلْقُ الصِّدِّقُ.

نِعَمَ: فعلٌ جامدٌ لإنشاءِ المدحِ مبنيٌّ على الفتح.

الخَلْقُ: فاعلٌ مرفوعٌ وعلامة رفعه الضمة، والجملةُ في محلِّ رفعٍ خبرٌ مقدَّم.

الصِّدِّقُ: مبتدأٌ مؤخَّرٌ مرفوعٌ وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، (مخصوصُ

بالمَدْحِ). أو تقول: حَبَّذا الصِّدِّقُ.

حَبَّ: فعلٌ ماضٍ للمدح.

ذا: اسم إشارة مبنيٌّ على السَّكونِ في محلِّ رفعٍ فاعلٌ. والجملةُ خبرٌ مقدَّم.

الصِّدِّقُ: مبتدأٌ مؤخَّرٌ مرفوعٌ وعلامة رفعه الضمة. وهو مَخْصُوصٌ بالمَدْحِ.

إذا أردنا ذمَّ الكَذِبِ، نقولُ: بئسَ الخَلْقُ الكَذِبُ.

بئسَ: فعلٌ جامدٌ لإنشاءِ الذَّمِّ مبنيٌّ على الفتح.

الخَلْقُ: فاعلٌ مرفوعٌ وعلامة رفعه الضمة، والجملةُ في محلِّ رفعٍ خبرٌ مقدَّم.

الكَذِبُ: مبتدأٌ مؤخَّرٌ مرفوعٌ وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، (مخصوصُ

بالذَّمِّ).

أو تقول: لا حَبَّذا الكَذِبُ.

لا حَبَّ: فعلٌ ماضٍ للذَّمِّ.

ذا: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع فاعل. والجملة خبرٌ مقدمٌ.
الكذب: مبتدأ مؤخرٌ مرفوعٌ وعلامة رفعه الضمة. وهو مخصوصٌ بالذم.

لغات في (نعم - بئس):

١ - كَسُرَ الْأَوَّلُ مع سكونِ الثاني، مثل: نَعَمْ - بئس.

٢ - فَتَحَ الْأَوَّلُ مع كَسْرِ الثاني، مثل: نَعَمْ - بئس.

٣ - فَتَحَ الْأَوَّلُ مع سُكُونِ الثَّانِي، مثل: نَعَمْ - بئس.

٤ - كَسُرَ الْأَوَّلُ والثاني، مثل: نَعَمْ - بئس.

إذا قُصِدَ ب (نعم - بئس) المدح والذم. فإنها تعرب أفعالاً جامدة ماضية مبنية على الفتح. أما إذا لم يقصد بهما المدح والذم منها فعلان ماضيان متصرفان لباقي الأزمنة.

الفعل الجامد: هو الفعل الذي يلزم صورةً واحدةً، ولا يَتَحَوَّلُ من هذه الصورة إلى صورةٍ أخرى، لكنه يبقى كما هو، مثل: لَيْسَ - عَسَى...، فهذان فعلان ماضيان جامدان، ولا يتحولان إلى المضارع.

الفعل المتصرف: هو الذي يمكنه التحول من صورة إلى أخرى لأداء المعاني في أزمنتها المختلفة. حيث يقال: (نَعَمْ - يَنْعَمُ فهو ناعم) ويقال: (بئس - يَبْأَسُ - فهو بائس). كل من «ناعم» و«بائس» هي صيغة اسم فاعل.

مثل قول الله: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ﴾

[الأنفال: ٤٠].

المولى: فاعل للفعل (نعم) مرفوع، وعلامة رفعه الضمة.

النصير: فاعل للفعل (بئس) مرفوع، وعلامة رفعه الضمة.

ومثل قوله: ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بئسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩].

الرِّفْد: فاعل للفعل (بئس) مرفوع، وعلامة رفعه الضمة.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلَهُ نِسَاؤُهُ عَنِ الْجِهَادِ فَقَالَ: «نَعَمْ الْجِهَادُ الْحَجُّ» رواه البخارى .

الْجِهَادُ: فاعل للفعل (نعم) مرفوع، وعلامة رفعه الضمة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: بئسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى إِلَيْهِ الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْمَسَاكِينُ فَمَنْ لَمْ يَأْتِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ. رواه مسلم.

الطَّعَامُ: فاعل للفعل (بئس) مرفوع، وعلامة رفعه الضمة.

الفعل (ساء):

يستعمل الفعل (ساء) للدلالة على الذم، ويكون بمعنى: (بئس).

مثل قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [إِنهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا] [الفرقان: ٦٥، ٦٦].

ساءت: فعل ماضٍ جامد يدل على الذم مبنى على الفتح، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره: هي.

مستقرًّا: تمييز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة.

حبذا - لا حبذا:

١ - الفعل (حبذا):

وهو فعلٌ يُسْتَعْمَلُ لِلْمَدْحِ، مثل (نعم)، وفاعله كلمة (ذا) وهي اسم إشارة مثل: أَحْتَرِمُ الطُّلَابَ حَبْدًا الْمُتَّقُونَ.

والمَعْنَى للفعل (حَبَّ) هو المدح مع الحُبِّ والتَّقْرِيبِ من الْقَلْبِ؛ لأنه مشتق من مادة (الحُبِّ)، وفاعله اسم إشارة للقريب. حَبَّ + ذَا = حَبَّذَا.

مثل: أُحِبُّ الْفَاكِهَةَ حَبَّذَا الْعِنَبُ.

حبذا: حب فعل ماضٍ جامد لإنشاء المدح، (ذا) اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع فاعل.

العنب: مخصص بالمدح مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة. والخبر جملة فعلية جملة (حبذا).



الْقَسَمُ

تعريفه:

الْحَلْفُ (الْحَلْفُ) أو اليمين.

مكوناته:

أسلوب القسم يتكون من:

- ١ - حُرُوفُ الْقَسَمِ، وهي: (الواو - الباء - التاء).
 - ٢ - مُقْسَمٌ بِهِ، وهو كُلُّ عَظِيمٍ يقسم به كلفظ الجلالة (الله).
 - ٣ - مُقْسَمٌ عَلَيْهِ، وهو جواب القسم.
- مثل: وَاللَّهِ إِنَّ الْإِسْلَامَ حَقٌّ.
- حَرْفُ الْقَسَمِ هو: (الواو).
- مقسم به، وهو كُلُّ عَظِيمٍ يقسم به كلفظ الجلالة (الله).
- مقسم عليه، وهو جواب القسم، وهو: (إِنَّ الْإِسْلَامَ حَقٌّ).
- إعراب: (وَاللَّهِ إِنَّ الْإِسْلَامَ حَقٌّ).

وَاللَّهِ: الواو حرف جر وقسم مبنى على الفتح لا محل له من الإعراب، الله: لفظ الجلالة اسم مجرور بالباء، وعلامة جره الكسرة، والجار والمجرور متعلق بفعل محذوف تقديره: أقسم.

إِنَّ: حرف ناسخ.

الْإِسْلَامَ: اسم (إِنَّ) منصوب، وعلامة نصبه الفتحة.

حَقٌّ: خبر (إِنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الضمة.

والجملة من (إِنَّ + اسمها + خبرها) لا محل لها من الإعراب جواب القسم.



تدريبات

(١) حدد الغرض البلاغي لصيغ الأمر فيما يلي:

١ - قول الله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» رواه مسلم.

٣ - قول الله: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ و﴿يَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ و﴿وَأَحِلْ لِي غُدُوَّةً مِنْ لَيْسَانِي﴾ [طه: ٢٥ - ٢٧].

٤ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: «اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» رواه البخاري.

٥ - قولك لزميل لك: أعطني الكتاب.

٦ - قولك: اتركني ومن يهملون فسوف أريهم عاقبة أمرهم.

٧ - قول الله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٩ - قول الشاعر:

أَرُونِي بِخَيْلٍ نَالَ مَجْدًا بِبُخْلِهِ وَهَاتُوا كَرِيمًا مَاتَ مِنْ كَثَرَةِ الْبَذْلِ

١٠ - قولك: اتق الله فينا يا أمير المؤمنين.

١١ - عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

عليه السلام : « يَا ابْنَ آدَمَ اَعْمَلْ كَأَنَّكَ تَرَى وَعُدَّ نَفْسَكَ مَعَ الْمَوْتَى وَإِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ » رواه أحمد.

(٢) اجعل الأفعال التالية صورًا مختلفة للأمر:

(يصبر - يخلص - نهض - استيقظ - صدق - يفتح).

(٣) عين صيغ النهي فيما يلي ووضح الغرض البلاغي:

١ - قول الله عز وجل: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۖ ﴾ [آل عمران: ٨].

٢ - قول الخنساء:

أَعَيْنِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى

٣ - لَا تَكُنْ رَطْبًا فَتُعْصِرَ ، وَلَا يَابِسًا فَتُكْسَرَ .

٤ - لَا تَحْتَجِبْ عَنِ الْعُيُونِ أَيُّهَا الْقَمَرُ .

٥ - لَا تَمْطُرِي يَا سَمَاءُ .

٦ - وَالِدِي الْعَظِيمُ لَا تَتْرُكْنِي دُونَ نَصِيحَةٍ .

٧ - يَا زَمِيلِي لَا تُخْلِفِ الْعَهْدَ .

٨ - لَا تَهْمَلُوا وَاجِبَكُمْ يَا أَبْنَائِي .

٩ - لَا تَخَفْ فَأَنْتَ بَطْلٌ عَظِيمٌ .

١٠ - رَبِّ لَا تُعَذِّبْنِي فَأَنْتَ عَلَيَّ قَادِرٌ .

(٤) عين كل استفهام فيما يلي ، وبين الغرض البلاغي له:

١ - هَلْ تُنْصِتُ لِي حَتَّى أَعْلَمَكَ طَرِيقَ النَّجَاحِ ؟

٢ - قول الشاعر:

أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ

٣ - قول الله: ﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الفتح: ١١].

٤ - قول الشاعر:

أَيَّنَ الرِّوَايَةَ بَلْ أَيَّنَ النُّجُومُ وَمَا صَاغُوهُ مِنْ زُخْرَفٍ مِنْهَا وَمِنْ كَذِبِ

٥ - أتزور مكة والمدينة ولا تتوب؟

٦ - هل تستوى الظلمات والنور؟

٧ - أتدرون من نحن؟ نحن من نسل الكرام الأشراف.

٨ - أتهمل دروسك وأنت طالب ثانوية؟

(٥) عين أساليب النداء وبين أغراضها البلاغية فيما يلي:

١ - قول الشاعر:

يَا ابْنَةَ أَلِيمٍ مَا أَبُوكَ بِخَيْلٍ مَا لَهُ مُوَلَعًا بِمَنْعٍ وَحَبْسٍ !؟

٢ - قول المتنبي يخاطب سيف الدولة:

لقد تركت أمير المؤمنين بها للنار يوماً ذليل الصخر والخشب
غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحي يشاد وسطها صبح من الذهب

٣ - قول الشاعر:

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنتم الخصم الحكم

(٦) عين الأساليب الإنشائية فيما يلي، مع ذكر الغرض البلاغي:

١ - قول الشاعر عن الوطن:

كيف يمشي في ثراها عاصبي ملأ الأفق جراحًا وأنينًا؟

٢ - قول أبي القاسم الشابي:

فما لك ترضى بذل القيود وتحني لمن كبلوك الحياة؟
أتخشي نشيد السماء الجميل؟ أترهب نور الفضا في ضحاه؟
ولا تخش شيئًا وراء التلاع فما ثم إلا الضحي في صباه

٣ - قول الشاعر أحمد هيكل:

يا بناء النصر صناع السلام يا حماة الحق من بغى اللئام

٤ - قول الشاعر:

يا أخي لا تمل بوجهك عني ما أنا فحمة ولا أنت فرقد
لا يكن للخصام قلبك مأوى إن قلبي للحب أصبح معبد

٥ - قول إبراهيم ناجي:

سلامًا شباب النيل في كل موقف على الدهر يحني المجد أو يجلب الفجرا
تعالوا نقل الصعب أهلا فإننا شباب ألفنا الصعب والمطلب الوعرا

٦ - قول الشاعر عن القدس:

ماذا نقول غدًا لأجيال لنا في الغيب ترتقب النهار وتنظر؟
وطني الكبير أسامع أم يا ترى صمّت بك الأذان لا تتأثر؟!

٧ - قول الشاعر:

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

٨ - هل لي من صديق مخلص؟!

٩ - ليت لي مالا فأبني مسجداً.

١٠ - قول الشاعر:

بكماؤكما يشفي وإن كان لا يجدي فجودا فقد أودي نظيركما عندي

توخى حمام الموت أوسط صبيتي فله كيف اختار واسطة العقد؟

١١ - قول الله: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

١٢ - قول الشاعر:

يا ليل طل يا نوم زل يا صبح قف لا تطلع

١٣ - ليت السماء تمطر ذهباً.

١٤ - قول الشاعر:

إن يشف هذا الجسم طيب هوائها أيلطف النيران طيب هواء؟

١٥ - اظلم كما تشاء يا ظالم فالله مطلع على كل شيء.

١٦ - انقل الأهرامات من الجزيرة إلى مدينة نصر.

١٧ - مثل قولك: قف مكانك فلست أهلاً للمجد.

١٨ - مثل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نُسِيْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ

عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾

[البقرة: ٢٨٦].

١٩ - مثل: لَا تُهْمَلْ شَعْبَكَ يَا سَيَادَةَ الرَّئِيسِ .

٢٠ - قول الشافعي:

إِذَا نَطَقَ السَّفِينَةُ فَلَا تُجِبُهُ فَخَيْرٌ مِنْ إِبَابَتِهِ السُّكُوتُ

٢١ - قولك: لَا تَصْعَدُ إِلَى الْمَجْدِ فَلَسْتَ أَهْلًا لَهُ.

٢٢ - قول الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَحِيَّةٍ تُنَجِّكُمْ مِنْ

عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [الصف: ١٠].

٢٣ - قول الله عز وجل: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾﴾

[الحجر: ٥٦].

٢٤ - قول الله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

٢٥ - قول الشاعر:

نحن هل تدرون من نحن هنا ؟ نحن صناع الغد المبتسم

٢٦ - قول الشاعر:

وَمَنْ الَّذِي تُرْضَىٰ سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِيهِ؟

٢٧ - قول الله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ [الشرح: ١].

٢٨ - قول الله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَنْ

يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۚ

وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة: ٨٥].



الإيجاز والإطناب

الإيجاز لغة:

اختصار الكلام، وتقليل ألفاظه مع بلاغته، يقال لغة: أَوْجَزَ الكلامَ إذا جعله قصيرًا ينتهي من نطقه بسرعة.

ويقال: كلامٌ وجيز، أي: خفيفٌ قصير. ويقال: أَوْجَزَ في صَلَاتِهِ إذا خَفَّفَهَا، ولم يُطِلْ فيها، فالمادة تدور حول التخفيف والتقصير.

والقصر في الصلاة هو أن يؤدي المؤمن كُلاً من صلاة الظهر والعصر والعشاء ركعتين بدلاً من أربع ركعات، أما الصبح والمغرب فكلاهما على حاله، الصبح ركعتان، والمغرب ثلاث ركعات.

وفي الحديث أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلرَّسُولِ ﷺ: عِظْنِي وَأَوْجِزْ، أَي: قُلْ لِي كَلَامًا خَفِيفًا قَصِيرًا أَحْفَظُهُ عَنكَ فِيهِ مَوْعِظَةٌ لِي.

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: عِظْنِي وَأَوْجِزْ، فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةً مُوَدَّعٍ، وَلَا تَكَلِّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَدِرُ مِنْهُ غَدًا، وَاجْمَعْ الْإِيَّاسَ يَمًّا فِي يَدَيْ النَّاسِ» رواه أحمد وابن ماجه.

فوعظه الرسول ﷺ بهذه الجملة الثلاث، وأَوْجَزَ له فيها.

الإيجاز في اصطلاح البلاغيين:

هو التعبير عن المراد بكلامٍ قصيرٍ ناقصٍ عن الألفاظ التي يُودَى بها عادةً في متعارف الناس، مع وفاء بالدلالة على المقصود.

أو هو صياغة كلامٍ قصيرٍ يدلُّ على معنى كثيرٍ وافٍ بالمقصود، عن طريق اختيار التعبيرات ذات الدلالات الكثيرات، كالأمثال، وجوامع الكلم.

فإذا كان الكلام غير وافٍ بالدلالة على المراد كان الإيجاز فيه إيجازاً مُحَلًّا؛ إذ رافق التقصير في الألفاظ تقصيرٌ في المعنى الذي أراد المتكلم التعبير عنه.

أو هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف، وأَوْجَزْتُ الكلام: قَصَرْتُهُ.

وَأَوْجَزَ أَي: أَسْرَعَ واقتَصَرَ. وتَوَجَّزْتُ الشيء: مثل تَنَجَّزْتُهُ. ورجل مُبْجَاز: يُوجِزُ في الكلام والجواب. وَأَوْجَزَ القولَ والعطاء: قَلَّلَهُ.

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: عَجِبْتُ لِمَنْ لَاحَنَ النَّاسَ كَيْفَ لَا يَعْرِفُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ؛ معناه كيف لا يَقْتَصِرُ على الإيجاز، وَيَتْرُكُ الْفُضُولَ من الكلام، وهو من قول النبي، ﷺ: أُوتِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ، يعني القرآن، وما جمع الله - عز وجل - بلطفه من المعاني الْجَمَّةِ في الألفاظ القليلة، كقوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وفي صفته ﷺ: أَنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، أَي أَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الْمَعَانِي قَلِيلَ الْأَلْفَاظِ.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدْعُو مَا سِوَى ذَلِكَ. رواه أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ.

الجوامع من الدعاء: هي التي تجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة، أو تجمع الشئ على الله تعالى وآداب المسألة.

والخيرُ أَنْ يَكُونَ التَّطْوِيلُ فِي مَكَانِهِ، وَالتَّقْصِيرُ فِي مَكَانِهِ، فَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْإِيجَازَ إِذَا كَانَ كَافِيًا كَانَ التَّطْوِيلُ غَثًّا، وَإِنْ كَانَ التَّطْوِيلُ وَاجِبًا كَانَ التَّقْصِيرُ عَجْزًا. وَحَدَّدَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْإِيجَازَ فَقَالَ: هُوَ تَقْلِيلُ الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِ إِخْلَالٍ؛ كَأَنَّهُ إِقْلَالٌ بِلا إِخْلَالٍ.

وقد يفكر إنسان في أن يكتب خطاباً، ثم يقول لنفسه: سأرسل بَرْقِيَّةً في الموضوع نفسه. وهنا لا بد أن يَحْتَرَلَ الكلمات ويَحْتَصِرُها؛ لتحملَ معاني كثيرة في ألفاظٍ موجزة.

والإسهابُ أو الإطنابُ - كما نعلم - لا يأخذ من الوقت مثلما يأخذ الإيجاز؛ فعندما يريد الإنسان الإيجازَ فهو يَعِصِرُ ذَهْنَهُ - في وقت أطول - ليصلَ إلى المعاني في كلمات أقل.

ويحكى عن سعد زغلول - زعيم ثورة ١٩١٩ المصرية - أنه كتب رسالة لصديق فأطال، وأنهى رسالته بهذه الكلمات: وإني أعتذر إليك عن التطويل، فليس عندي الوقت الكافي للإيجاز.

ويحكى التاريخُ عن الخليفة المسلم الذي أراد أن يُهَدِّدَ قائدَ الروم...، فكتب إليه؛ أما بعد: فسأتيك بجيشٍ أولُهُ عندك، وآخِرُهُ عندي. وهكذا أوجز الخليفة حجمَ الخطر الداهم الذي سيواجهه ملك الروم من جيش عرمرم سيملاً الأرض... إلخ.

والإيجاز تتسم به اللغة العربية والذي لا شبيه له في سائر لغات العالم والذي يُعدّ معجزةً لغويةً كما قال البيروني.

قالت المستشرقة الألمانية زيفر هونكة: «كيف يستطيع الإنسان أن يُقاومَ جَمَالَ هذه اللغةِ ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟! فَجِيرانُ العربِ أنفسهم في البلدان التي فَتَحُوهَا سَقَطُوا صَرَعى سِحَرَ تلكَ اللغةِ، فلقد اندفعَ الناسُ الذين بَقُوا على دينِهِم في هذا التيار يتكلمونَ اللغةَ العربيةَ بِشَغَفٍ، حَتَّى إِنَّ اللغةَ الْقِبْطِيَّةَ مثلاً مَاتَتْ تَمَاماً؛ بل إِنَّ اللغةَ الآراميةَ لُغَةً الْمَسِيحِ قد تَخَلَّتْ إِلَى الْأَبَدِ عَنْ مَرْكَزِهَا لِتَحْتَلَّ مَكَانَهَا لُغَةُ مُحَمَّدٍ». كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب).

قال المستشرق الألماني كارل بروكلمان: «بَلَّغَتِ العربيةُ بفضلِ القرآنِ من

الاتساع مَدَى لا تكاد تعرفه أَيُّ لُغَةٍ أُخَرَى من لُغَاتِ الدُّنْيَا، والمُسْلِمُونَ جَمِيعًا مُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْعَرَبِيَّةَ وَحْدَهَا اللِّسَانُ الَّذِي أُحِلَّ لَهُمْ أَنْ يَسْتَعْمِلُوهُ فِي صَلَاتِهِمْ...».

(من قضايا اللغة العربية المعاصرة - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم).

إِنْ كَانَ مَا يَدُورُ فِي عَقْلِ الْإِنْسَانِ مِنْ أَفْكَارٍ وَمُشَاعِرٍ يُمْكِنُ أَنْ يَعْبُرَ عَنْهُ بِأَحَدِ الطَّرِيقِ التَّالِيَةِ:

١ - الإيجاز: وهو لفظٌ قَلِيلٌ مُخْتَصَرٌ يَحْمِلُ مَعَانِيَ كَثِيرَةً. وهذا النَّوعُ يَتَنَاسَبُ مع الأذكياء.

٢ - الإطناب: وهو تأدية المعنى بأكثر من عبارة. بحيث يكون اللفظ زائداً عن المعنى. وهذا النوع يَتَنَاسَبُ مع الأغبياء.

٣ - المساواة: وهي أن تكون المعاني مساويةً للألفاظ. والألفاظُ مساويةٌ للمعاني. فلا يزيد بعضها على بعض. وهذا النوع يَتَنَاسَبُ مع متوسطي الذكاء.

أولاً: الإيجاز:

تقدم أن الإيجاز هو التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، وهو نوعان:

١ - الإيجاز بالحذف:

يتم هذا النوع بحذف كلمة. أو حذف جملة. أو أكثر من جملة.

مثل قولك: (أَكَلْتُ فَاكِهَةً وَمَاءً)، والتقدير: «أَكَلْتُ فَاكِهَةً وَشَرِبْتُ مَاءً».

ومثل قولك: (دَخَلْتُ الْامْتِحَانَ وَنَجَحْتُ)، والتقدير: دَخَلْتُ الْامْتِحَانَ.

وَقَرَأْتُ الْأَسْئَلَةَ. وَفَكَّرْتُ فِيهَا، وَبَدَأْتُ فِي الْإِجَابَةِ. ثُمَّ ...، ثُمَّ ... وَنَجَحْتُ.

ومثل: (دَرَسْتُ ثُمَّ دَخَلْتُ الْجَامِعَةَ فَعَمِلْتُ بِالتَّدْرِيسِ)، والتقدير: دخلت

الثانوية... فاجتهدت... وامتحنت... ونجحت...، ثم قدمت أوراقى...، ثم عملت بالتدريس.

ومثل قول الله عن قوم نوح: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥].

والتقدير: أغرقوا...، فماتوا...، فحوسبوا...، فعوقبوا...، فأدخلوا نارًا؛ فالذى يغرق يسقط في الماء، لا يسقط في النار.

ومثل قولك: (آسِفٌ) لمن تعتذر له، والتقدير: أنا آسِفٌ.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِمْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [يوسف: ٨٢].

أي: واسأل أهل القرية.

ومثل قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلُ لَيْعٍ أَلَّهُ بِهِ- وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ﴾ [المائدة: ٣].

أي: حُرِّمَ عليكم تناولها.

ومثل قول الله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [عینا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا] [الإنسان: ٥، ٦].

إِنَّ الفعل: (يَشْرَبُ) يُعَدَّى لغةً بحرف (مِنْ) لكنه جاء في الآية هنا متعديًا بحرف (الباء) فلمماذا؟

بالتأمل يظهر لنا أَنَّ الفعلَ (يشرب) ضَمَّنَ معنى الفعلِ: (يتلذَّذ) أو (يَرْتَوِي) الذي يُعَدَّى بحرف (الباء) فعَدِّي تعديته، والتقدير: عِينًا يَشْرَبُ مِنْهَا مُتَلَذِّذًا بِهَا عِبَادُ اللَّهِ، فأغنى (يَشْرَبُ بِهَا) عن عبارة: يشربُ مِنْهَا ويتلذَّذُ بِهَا يشربُ عباد الله.

وقول الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥] إِنَّ الفعلَ (يَقْبَلُ) يتعدَّى لغةً بحرف (مِنْ)، فيقال: قَبِلَ الله مِنْهُ تَوْبَتَهُ.

ولكن عُدِّي هنا بحرف (عَنْ)؛ لَأَنَّهُ ضُمِّنَ معنى الْفِعْلِ (عَمَّا) أو (صَفَحَ) فَعُدِّي تعديته، والتقدير: وهو الذي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ من عباده؛ إِذْ يَغْفُو وَيَصْفَحُ عَنْهُمْ.

٢ - الإيجاز بالقصر:

يتم هذا النوع بواسطة تضمين الألفاظ القصيرة معاني كثيرة بدون حذف.

وللقرآن الكريم في ذلك المنزلة العظيمة. مثل قول الله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأَوَّلِي آلَاءِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]، فإنَّ معناه كثيرٌ، ولفظه يسيرٌ، إِذِ المرادُ بأنَّ الإنسانَ إِذَا علم أَنَّهُ متى قَتَلَ قَتْلَ امْتَنَعَ عَنِ الْقَتْلِ، وفي ذلك حَيَاتُهُ وَحَيَاةُ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ الْقَتْلَ أَنْفَى لِلْقَتْلِ وبذلك تطوَّل الأعمارُ، وتكثرُ الذريةُ، ويقبَلُ كُلُّ واحدٍ على ما يعودُ عليه بالنفع، ويتمُّ النظامُ، ويكثرُ العمرانُ، فالقصاصُ هو سببُ ابتعادِ الناسِ عن القتلِ، فهو الحافظُ للحياةِ.

ومثل قول الله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

فقد استوعبت تلك الكلمات القليلة أنواع المتاجر وصفوف المرافق .

وكذلك قول الله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

فإن الآية الكريمة جمعت مكارم الأخلاق؛ لأن قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ أمرٌ بإصلاح قوة الشهوة، فإن العفو ضدُّ الجهل والطيش.

وقوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ أمرٌ بإصلاح قوة الغضب، أي: أَعْرِضْ عَنِ السَّفَهَاءِ، واحلم عنهم، ولا تُجَازِهِمْ عَلَى أَفْعَالِهِمْ.

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي: بالمعروف والجميل من الأفعال، ولهذا قال جعفر الصادق رضي الله عنه: أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وليس في القرآن آيةٌ أجمع لها من هذه الآية.

ولهذا كان الأوائل السابقون من أصحاب الفصاحة والبيان أَعْرَفَ الناس بكتاب الله، فها هو ذا أحدهم يقول: لو لم يَأْتِ من القرآن إلا قوله: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجُنَهِلِينَ ﴾ ﴿٣٣٣﴾ لَوَسَّعَتِ النَّاسَ وَكَفَّتَهُمْ، لِمَا فِيهَا مِنْ أَحْكَامِ الدِّينِ الَّتِي جُمِعَتْ.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فهذه الآية قد جُمِعَتْ أُمُورًا كثيرة جدًا، وانطوى تحتها كل دقيق وجليل.

كما للسُّنَّةِ النبوية من ذلك الحظ الأوفر، في قوله ﷺ حيث خَرَجَ أَبُو يَعْلَى الْمَوْصِلِي من حديثِ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قال: «إِنِّي أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَائِمَهُ، وَاخْتَصَرَ لِي الْكَلَامَ اخْتِصَارًا» أخرجه أحمد في مسنده، وعبد الرزاق والبيهقي.

مواضع يفضل فيها الإيجاز:

- ١ - رسائل الملوك والرؤساء إلى الولاة والعمال، خاصة في أوقات الحروب، وفي الشدائد والأزمات.
- ٢ - الأوامر والنواهي السلطانية.
- ٣ - كتب الوعد والوعيد.
- ٤ - الاعتذار، والتنصل من تُهْمَةِ الذَّنْبِ وَتَبِعَاتِهِ.
- ٥ - العتاب بين المحبين والأصحاب.
- ٦ - مخاطبة الأذكياء الذين يكفيهم التلميح، وتُفْنَعُهُم الإشارة.
- ٧ - المواطن التي يَحْسُنُ فيها الرَّمْزُ لِإِخْفَاءِ الْمَقَاصِدِ عَنْ غَيْرٍ مِنْ يُوَجِّهُ لَهُ الْقَوْلَ، مِنْ رِقْبَاءٍ أَوْ ذَوِي فَضُولٍ.

الفائدة البلاغية للإيجاز:

الاختصار، وإثارة الذهن، وتوفير الوقت.

ثانيًا: الإطناب:

الإطناب في اللغة:

يدور حول معنى الإطالة والإكثار والطول والكثرة والزيادة عن المعتاد. يقال لغة: أَطْنَبَ النهرُ إذا طال مجراه. وأطْنَبَتِ الرِّيحُ إذا اشتدت مثيرَةً غبارًا. وأطْنَبَتِ الدَّوَابُّ، إذا تَبَعَ بعضها بَعْضًا في السَّيرِ، وطَالَ تَتَابُعُهَا.

وأطْنَبَ الْعَدَاءُ في عَدُوِّهِ، إذا بَالَغَ فيه وابتعد.

ويقال أيضًا: أَطْنَبَ الرجلُ في الكلام أو الوصف أو الأمر، إذا بَالَغَ وأكثر وزاد في ذلك.

الإطناب في اصطلاح البلاغيين:

كَوْنُ الكلام زائدًا عما يُمكن أَنْ يُؤدَّى به من المعاني عند الفصحاء، لفائدة تُقصد. ويقال للمتحدث بالكلام الذي فيه إطناب: أَطْنَبَ في كلامه فهو مُطْنِبٌ.

واخترز بقيد: (لفائدة تُقصد) لإخراج الزيادة في الكلام دون فائدة تُقصد لدى البلغاء، وقد يطلق على هذه الزيادة لفظ «الإسهاب». والزيادة في الكلام بلا فائدة تُقصد تكون بالتطويل: كذكر المترادفين، أو بالحشو، وكلاهما أمران معيّبان، وَأُضِيفَ هنا أَنَّ الحشو قد يكون حشواً غير مفسد للمعنى، فهو كالتطويل، وقد يكون مفسداً للمعنى وهو حينئذٍ حشواً ساقطاً.

هو ما لو حذف منه شيءٌ بالنسبة إلى حال المخاطب به لفهم المراد فهماً تاماً، دون كدٍّ ذهني، ولا تأملٍ طويل، ولما حدث لديه أي ارتباك فكريٍّ أو غموض، ولما نقص لديه من الفهم شيءٌ.

مثل قول الله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۖ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ٦، ٧]. من الإطناب؛ لأنَّ المشركين لا يُزَكُّونَ.

والداعي لهذا الإطناب حثُّ المؤمنين على أداء الزكاة، وتحذيرهم من المنع إذ أبان الله أنَّه من صفات المشركين، وفيه دلالة على أنَّ من أثار الشرك جَفَافَ الرحمة على ذوي الحاجات، فهم لا يشعرون بمشاعر ذوي الحاجات، بخلاف المؤمنين بالله واليوم الآخر؛ إذ الإيمان يولّد في قلوبهم خلق الرحمة، وعاطفة حبِّ العطاء ومساعدة ذوي الحاجات.

وقول الله: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤].

إنَّ عبارة: (والرُّوح) وهو جبريل عليه السلام من الإطناب بالزيادة؛ لأنَّ جبريل داخلٌ في عموم الملائكة، ولكنها زيادة ذاتُ فائدة، إذ الغرض من تخصيصه بالذكر بعد دخوله في عموم الملائكة الإشعارُ بتكريمه وتعظيم شأنه، حتَّى كأنَّه جنسٌ خاصٌّ يُعْطَفُ على الملائكة.

تقدم أن الإطناب هو تأدية المعنى بعبارات زائدة، سواء أكانت الزيادة كلمة أم جملة بشرط أن تحقق هذه الزيادة غرضًا بلاغيًّا، وإلا كان حشوًّا يُنْقِصُ من قيمة الأسلوب، وللإطناب صور منها:

١ - ذكر الخاص بعد العام:

مثل قوله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

نلاحظ أنَّ الصَّلَاةَ الْوُسْطَى - وهي في أظهر الأقوال صلاةُ الْعَصْرِ - داخلَةٌ في عموم لفظ (الصَّلَوَاتِ) لكن خُصِّتْ بالذكر وعُطِفَتْ على عموم الصلوات اهتمامًا بشأنها، وتوجيهًا لتخصيصها بعناية فائقة خاصّة، وهذه فائدة الإطناب

بذكرها، إذ هي داخلة في عموم لفظ (الصَّلوات) الوارد قبلها في النص. هذا المثال من عطف الخاص على العام.

وقوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

فذكر الله - سبحانه - جبريل وميكال مع دخولهما في عموم الملائكة؛ تحذيرًا لليهود من معاداتهم له، وُصِّمَ إليه ميكائيل لقيامه بوظيفة أرزاق العباد التي بها حياة الأجساد، مقابل قيام جبريل بوظيفة الوحي الذي به حياة القلوب والنفوس. هذا المثال من عطف الخاص على العام أيضًا.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» رواه البخاري.

حيث ذكر العام، وهو قوله: (خمس)، ثم جاء الخاص بعد هذا العام، وهو:

١ - شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

٢ - وَإِقَامِ الصَّلَاةِ.

٣ - وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ.

٤ - وَالْحَجِّ.

٥ - وَصَوْمِ رَمَضَانَ.

٢ - ذكر العام بعد الخاص:

مثل قول الله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [١١].

[إبراهيم: ٤١].

لقد خَصَّ نوح - عليه الصلاة والسلام - نفسه بطلب المغفرة من ربه، وأتبعه بطلب المغفرة لوالديه، وأتبع ذلك بطلب المغفرة للمؤمنين، فكأنه شملهم بالدعاء الأخير، فأفاد هذا التعميم بعد التخصيص تأكيد الدعاء وتكريره لمن ذكروا سابقاً.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَإِلِمَامٌ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلَاءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» رواه البخاري.

حيث أجمل الرسول بقوله: (كُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)، ثم فَصَّلَ بقوله: (الإمام، والرجل، والمرأة، والخادم)، ثم أجمل مرة أخرى فقال: (فكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ).

مثل قول الله عز وجل: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعِمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

جاءت في هذه الآية عبارة: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ إجمالاً بعد تفصيل، لرفع توهم أن (الواو) في عبارة ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ هي بمعنى (أو) فتكون الثلاثة داخلة في السبعة، فجاء ذكر الأيام كلها جملةً بعبارة ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾.

٣ - التَّكْرَارُ:

مثل قول الله: ﴿كَلَّا سَيَعْمُونَ﴾ ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْمُونَ﴾ [النبا: ٤، ٥].

وقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ جاء إحدى وثلاثين مرة خطاباً للإنس والجنّ المخلوقين للامتحان في ظروف الحياة الدنيا.

والمعنى، أي: فبأيّ نعم ربكمَا عليكمَا تُكذِّبان. إنّ نعم الله على العباد لا يستطيع العباد إحصاءها، ومع كلّ فقرة من فقرات حياتهم بتتابع الساعات والأوقات تمرّ على كلّ فردٍ منهم نعم كثيرة وجليلة، وانصرافه الدائم إلى الاستمتاع بها دون ملاحظة خالقها والمتفضّل على عباده بها يحتاج تذكيراً بها، ليقوم بحقّ الله عليه في مقابلها، بالإيمان والطاعة والحمد والشكر.

ففي هذا التكرير عقب ذكر كلّ فقرة من فقرات آيات صفات الله في كونه، المشتملة على بعض نعمه، أو الإنذار، بعقابه وعذابه، تنبيهٌ على حاجة العبد المبتلى أن يذكر نعم الله عليه دوماً عند كلّ فقرة من فقرات حياته، وموجة من موجات نهرها الجاري، لئلاّ تجرّه الغفلات إلى النسيان، فالمعصية، فاحتياال الشياطين لفكره ونفسه وعواطفه، ودفعه إلى السبيل المزلقة إلى الشقاء، فالعذاب، فنار جهنّم.

فجعلت هذه العبارة فاصلة في السّورة، ولهذه الفاصلة تأثير فنيّ جماليّ مستطرف، مع ما تشتمل عليه من معنّى يدلّ على حاجة العباد إلى ذكر نعم الله عليهم مع كلّ موجة من موجات مَهَر حياتهم، سواءً أكانت ممّا يحبّون أو ممّا يكرهون، ممّا يطمعون فيه أو ممّا يحذرون منه.

وقوله: ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ جاء تسع مرّات، إنذاراً للمكذّبين بيوم الدين، وترهيباً من عذاب جهنم الذي سيلاقونه، إذا أصرّوا على كفرهم وتكذيبهم وماتوا على ذلك دون توبة.

٤ - الاعتراض:

وهو أن يؤتى في أثناء الكلام بجملّة أو أكثر لا محل لها من الإعراب.

مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧].

ومثل: (كان أبي - حفظه الله - رجلاً فاضلاً)، و(كان الشيطان - لعنه الله - عدواً لآدم)، و(كان على رحمته رابع الخلفاء الراشدين)، فكل من: (سبحانه - حفظه الله - لعنه الله - رضي الله عنه) جملة اعتراضية فيها إطناب.

٥ - التذييل:

وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة تشتمل على معناها تأكيداً لها.

مثل قول الله: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

وقوله: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

مواضع يفضل فيها الإطناب:

- ١ - الحاجة إلى الإقناع في مشكلات القضايا الفكرية، وفي تعليم مسائل العلوم الدقيقة الخفية الصعبة الفهم.
- ٢ - الوعظ بالترغيب والترهيب.
- ٣ - الخطب في الحماسة، وفي إثارة مشاعر الحب أو الكراهية، وفي استجلاب الرضا، أو استثارة الغضب، وذلك لأنَّ تحريك العواطف واستثارها يحتاج إطناباً، وبياناً مفصلاً مبسوطاً.
- ٤ - كتابة التاريخ وتدوين الحوادث.
- ٥ - الخطب في الصلح بين المتخاصمين، لإصلاح ذات البين، وإخراج ما في النفوس من ضغائن وأحقاد.

٦ - بعض مجالات المدح لمستحقّيه.

٧ - تعبيرات العشاق والمحبين عن مشاعرهم وأشواقهم.

٨ - تعبيرات ذوي الأحزان والآلام عن مشاعرهم.

٩ - كتابة العقود في البيوع والمدائنت ونحوها، إذ ينبغي فيها التفصيل الدقيق، لأمن الخلاف والتلاعب.

١٠ - شرح المعلم الدرس .

الفائدة البلاغية للإطناب:

توضيح المعنى في ذهن السامع أو القارئ.

ثالثاً: الْمُسَاوَاةُ:

الأصل في الكلام أن يُؤْتَى بِهِ مساوياً للمعاني التي يدلُّ عليها، دون أن تكون ألفاظُهُ زائدةً ولا ناقصةً.

أمّا القدرةُ على المطابقة التامة بين الجُمْل المنطوقة والمعاني المرادة منها، فهي من القدرات النادرة في المتكلمين من الناس؛ لأنَّ الناسَ في النسبة العظمى منهم:

إمّا أن يكونوا من ذوي القدرة على الكلام والرغبة فيه مع تمتّعهم بذاكرة كلامية واسعةٍ وفياضة، فتفيض لديهم منابع القول، وبذلك يزداد المنطوق من كلامهم عمّا يريدون التعبير عنه من المعاني.

وقد يصلُ بعض هؤلاء إلى مُستوى الإسرافِ والتبذيرِ في القول، والثرثرة بلا طائل، وللنساءِ النصيبُ الأكبرُ من هذا.

ومن أمثلة مراعاة مقتضيات الأحوال بكلّ من «المساواة والإيجاز والإطناب»

قول الله: ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ۖ ﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ

تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٧٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ
 اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ
 مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٠﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ
 شَيْئًا إِمْرًا ﴿٨١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ
 وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٨٣﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً
 بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٨٤﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٨٥﴾
 قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٨٦﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ
 إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ
 فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٨٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ
 مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٨﴾ [الكهف: ٦٦ - ٧٨].

نلاحظ في هذا النص أن الخضر قال لموسى عليهما السلام في بدء الأمر:
 ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ هذا كلام مؤكد مُساوٍ للمعنى المقصود ببيانه، لا
 إطناب فيه ولا إيجاز.

وحين اعترض موسى عليه السلام الاعتراض الأول على الخضر بشأن خرقه
 السفينة، قال له الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ هذا أيضًا كلامٌ
 مُؤَكَّدٌ ومُساوٍ للمعنى المقصود ببيانه، لا إطناب فيه ولا إيجاز.

وحين اعترض موسى عليه السلام الاعتراض الثاني على الخضر بشأن قتله
 الغلام، قال له الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

فَاطْنَبَ إِذْ أَضَافَ عبارة ﴿لَكَ﴾ مع أن هذه الزيادة لا لزوم لها في الكلام
 المساوي، فعبارة ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ بأسلوب الخطاب تَدُلُّ على أن
 الخطاب قَدْ وَجَّهَهُ الخضر، فما الداعي لأن يقول له: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ﴾ ؟

الجواب: إِنَّ الدَّاعِيَ البلاغيَّ لهذا الإطناب هو أن موسى عليه السلام تصرَّفَ

تَصَرَّفَ مِنْ لَمْ يُدْرِكْ أَنَّ الْخِطَابَ قَدْ كَانَ مُوجَّهًا لَهُ فِيمَا سَبَقَ، فَاعْتَرَضَ، فَاقْتَضَى حَالُهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ الْخَضِرُ: إِنِّي كُنْتُ وَجَّهْتُ الْخِطَابَ لَكَ بِأَنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا.

وَحِينَ اعْتَرَضَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الِاعْتِرَاضَ الثَّالِثَ عَلَى الْخَضِرِ بِشَأْنِ إِقَامَتِهِ الْجِدَارَ الْمَائِلَ فِي قَرْيَةِ أَبِي أَهْلُهَا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا، قَالَ لَهُ الْخَضِرُ: ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ ، فَأَوْجَزَ فِي كَلَامِهِ، إِذْ طَوَى مِنَ اللَّفْظِ عِبَارَةً: لِأَنَّكَ لَمْ تَسْتَطِعْ مَعِيَ صَبْرًا، وَقَدْ انْتَهَتْ مُدَّةُ الْإِتِّفَاقِ عَلَى مَصَاحِبَتِي.

وَبَعْدَ أَنْ أَبَانَ الْخَضِرُ لِمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ التَّأْوِيلَ الْحَكِيمَ لِلْأَحْدَاثِ الَّتِي أَجْرَاهَا بِأَمْرِ اللَّهِ أَوْ إِذْنِهِ قَالَ لَهُ: ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ .
فَأَوْجَزَ فِي بَيَانِهِ حَتَّى فِي كَلِمَةِ (تَسْتَطِعْ) إِذْ قَالَ: (تَسْتَطِعْ) بِحَذْفِ التَّاءِ الَّتِي بَعْدَ السِّينِ.

إِنَّ مُقْتَضَى الْحَالِ بَعْدَ انْتِهَاءِ أَجْلِ الْمَصَاحِبَةِ، إِذْ لَمْ يَلْتَزِمِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشُرُوطِهَا، أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مُوجَّزًا جَدًّا، إِذْ لَا دَاعِيَ لِلِإِطْنَابِ وَلَا لِلْمُسَاوَاةِ، وَمِثْلُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَكْفِيهِ مِنَ الْكَلَامِ عِبَارَةٌ: ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ فَهُوَ الْخَبِيرُ بِإِخْلَالِهِ بِشُرُوطِ الْمَصَاحِبَةِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا.

مَوَاضِعُ يَفْضُلُ فِيهَا الْمَسَاوَاةُ:

- ١ - مُتُونُ الْعُلُومِ الْمَحَرَّرَةِ.
- ٢ - نُصُوصُ الْمَوَادِّ الْقَانُونِيَّةِ وَالتَّشْرِيعِيَّةِ.
- ٣ - نُصُوصُ الْمَعَاهِدَاتِ بَيْنَ الدُّوَلِ.
- ٤ - الْقَرَارَاتِ وَالْمَرَاسِيمِ.
- ٥ - بَيَانَاتِ أَحْكَامِ الدِّينِ، وَمَطَالِبِ الشَّرِيعَةِ الْمَحَدَّدَةِ.
- ٦ - بَيَانَاتِ الْحَقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ.

ملحوظة:

عَلَى الدُّعَاةِ أَنْ يَكُونُوا عَلَى بَصِيرَةٍ بِمَحَاسِنِ الْإِيحَازِ وَالْإِطْنَابِ بَيْنَ الْجَمَلِ فِي الْكَلَامِ، حَتَّى يَكُونَ كَلَامُهُمْ أَرْفَعَ أَدَبًا، وَأَعْظَمَ تَأْثِيرًا، وَأَعْظَمَ مَعْلَمٌ لِمَحَاسِنِ الْإِيحَازِ وَالْإِطْنَابِ بَيْنَ الْجَمَلِ فِي كِتَابِ اللَّهِ ثُمَّ أَقْوَالُ الرَّسُولِ ﷺ.

رُويَ أَنَّ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيَّ أَحَدَ أئِمَّةِ اللَّغَةِ وَالْأَدَبِ قَالَ: «يُخْتَصَرُ الْكِتَابُ لِيُحْفَظَ، وَيُسَيِّطُ لِيُفْهَمَ».

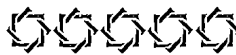
وَقِيلَ لِأَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ «وَهُوَ أَحَدُ أئِمَّةِ اللَّغَةِ وَالْأَدَبِ، وَأَحَدُ الْقُرَّاءِ وَوُصِفَ بِأَنَّهُ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْأَدَبِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالْقُرْآنِ وَالشَّعْرِ»: هَلْ كَانَتْ الْعَرَبُ تُطِيلُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، كَانَتْ تُطِيلُ لِيُسْمَعَ مِنْهَا، وَتُوجِزُ لِيُحْفَظَ عَنْهَا».

وَرُويَ أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى الْبَرْمَكِيَّ «أَحَدَ الْمُوصُوفِينَ بِفَصَاحَةِ الْمَنْطِقِ وَبِلَاغَةِ الْقَوْلِ» قَالَ: «مَتَى كَانَ الْإِيحَازُ أَبْلَغَ كَانَ الْإِكْثَارُ عِيًّا، وَمَتَى كَانَتْ الْكِفَايَةُ بِالْإِكْثَارِ كَانَ الْإِيحَازُ تَقْصِيرًا».

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «كَمَا يَجِبُ عَلَى الْبَلِغِ فِي مَظَانِّ الْإِجْمَالِ أَنْ يُجْمَلَ وَيُوجَزَ، فَكَذَلِكَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ فِي مَوَارِدِ التَّفْصِيلِ أَنْ يُفَصَّلَ وَيُشَبَّعَ».

وَقَالُوا: «لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ».

مِمَّا هُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ لَزُومُ اخْتِيَارِ أُسْلُوبِ (الْمَسَاوَاةِ) بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي، حَتَّى تَكُونَ الْأَلْفَاظُ مَسَاوِيَةً لِلْمَعَانِي دُونَ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ، فِي عِدَّةِ مَجَالَاتٍ.



تدريبات

(١) عين الإيجاز في الشواهد والأمثلة التالية:

- ١ - قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].
- ٢ - قولك: أكلت فاكهة وماء .
- ٣ - قولك (دخلت الامتحان ونجحت).
- ٤ - قول الله: ﴿ مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا ﴾ [نوح: ٢٥].
- ٥ - قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَسَعَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف: ٨٢].
- ٦ - قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ ﴾ [المائدة: ٣].
- ٧ - قول الله: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْآلِيبِ ﴾ [البقرة: ١٧٩].
- ٨ - قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].
- ٩ - أكلت فاكهةً وماءً.
- ١٠ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ ، فَخَطَبَا ، فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا أَوْ إِنَّ بَعْضَ الْبَيَانِ لِسِحْرٌ» رواه البخارى .

(٢) عَيِّنِ الإطناب في الشواهد والأمثلة التالية:

- ١ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «عَيْنَانِ لَا

تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» رواه الترمذي.

٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ سِالَهُ مَا تَنَفَّقَ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ» رواه البخاري.

٣ - قول الله: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤١].

٤ - قول الله: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ [فصلت: ٦، ٧].

٥ - قول الله: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [القدر: ٤].

٦ - قوله تعالى: ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

٧ - وقوله عز وجل: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٨].

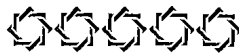
٨ - قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [النحل: ٥٧].

٩ - عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» رواه البخاري.

١٠ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْحَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، قَالَ فَسَمِعْتُ هَؤُلَاءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» رواه البخاري.

١١ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا أَوْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا؛ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». رواه البخاري.

١٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ وَعِزَّتِي لَا أَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» رواه الترمذي.



التوكيد والقصر

التوكيد في اللغة:

التقوية، تقول: (أَكَّدْتُ الشيءَ)، وتقول: (وَكَّدْتُه) أيضًا: إذا قويته.

المُخَاطَبُ لَهُ ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ:

١ - أَنْ يَكُونَ الْمُخَاطَبُ غَيْرَ مُتَرَدِّدٍ، وَلَا مُنْكَرٍ:

وَفِي هَذِهِ الْحَالِ لَا يُؤَكَّدُ لَهُ الْكَلَامُ، لِعَدَمِ الْحَاجَةِ إِلَى التَّوَكِيدِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

٢ - أَنْ يَكُونَ الْمُخَاطَبُ مُتَرَدِّدًا فِي الْخَبَرِ، شَاكًّا فِيهِ:

وَفِي هَذِهِ الْحَالِ يُفْضَلُ تَأْكِيدُ الْكَلَامِ؛ تَقْوِيَةً لِلْحُكْمِ، لِيَتِمَكَّنَ مِنْ نَفْسِهِ، وَيُلْقَى الشَّكُّ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، مِثْلُ: إِنَّ الْامْتِحَانَ قَرِيبٌ.

٣ - أَنْ يَكُونَ الْمُخَاطَبُ مُنْكَرًا لِلْخَبَرِ وَجَاهِدًا لَهُ:

وَفِي هَذِهِ الْحَالِ يَجِبُ تَأْكِيدُ الْكَلَامِ لَهُ بِمُؤَكِّدٍ أَوْ مُؤَكِّدِينَ أَوْ أَكْثَرَ، عَلَى حَسَبِ حَالِهِ مِنَ الْإِنْكَارِ، قُوَّةً وَضَعْفًا، مِثْلُ: (إِنَّ الْامْتِحَانَ قَرِيبٌ).

حَيْثُ أَكَّدَ الْكَلَامَ بِمُؤَكِّدٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ: (إِنَّ).

ومثل: (إِنَّ الْامْتِحَانَ لَقَرِيبٌ)؛ حَيْثُ أَكَّدَ الْكَلَامَ بِمُؤَكِّدَيْنِ، وَهُمَا:

١ - أَدَاةُ التَّوَكِيدِ (إِنَّ).

٢ - اللَّامُ الْمُتَّصِلَةُ بِ(قَرِيب).

ومثل: (وَاللَّهِ إِنَّ الْامْتِحَانَ لَقَرِيبٌ)؛ حَيْثُ أَكَّدَ الْكَلَامَ بِثَلَاثَةِ مُؤَكِّدَاتٍ، وَهِيَ:

١ - الْقَسَمُ (والله).

٢ - أداة التوكيد (إِنَّ).

٣ - اللام الْمُتَّصِلَةُ بـ (قريب).

ومثل: (وَاللَّهِ إِنَّ الْامْتِحَانَ إِنَّ الْامْتِحَانَ لَقَرِيبٌ).

حَيْثُ أَكَّدَ الْكَلَامَ بِأَرْبَعَةِ مُؤَكَّدَاتٍ، وَهِيَ:

١ - الْقَسَمُ (وَاللَّهِ).

٢ - أداة التوكيد (إِنَّ).

٣ - اللام الْمُتَّصِلَةُ بـ (قريب).

٤ - التوكيد اللفظي (إِنَّ الْامْتِحَانَ إِنَّ الْامْتِحَانَ).

ومثل: (وَاللَّهِ إِنَّ الْامْتِحَانَ إِنَّ الْامْتِحَانَ لَقَرِيبٌ قُرْبًا شَدِيدًا).

حَيْثُ أَكَّدَ الْكَلَامَ بِخَمْسَةِ مُؤَكَّدَاتٍ، وَهِيَ:

١ - الْقَسَمُ (وَاللَّهِ).

٢ - أداة التوكيد (إِنَّ).

٣ - اللام الْمُتَّصِلَةُ بـ (قريب).

٤ - التوكيد اللفظي (إِنَّ الْامْتِحَانَ إِنَّ الْامْتِحَانَ).

٥ - المفعول الْمُطْلَقُ «قُرْبًا».

ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُدًى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ [البقرة: ١٢٠].

حيث أكد الله - سبحانه وتعالى - الآية بالضمير المنفصل (هو).

ومثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦].

حَيْثُ أَكَّدَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الْآيَةَ بِمُؤَكَّدَيْنِ، وَهُمَا:

١ - أداة التوكيد (إِنَّ).

٢ - اللام الْمُتَّصِلَةُ بِ (ذُو).

ومثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦].

حَيْثُ أَكَّدَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الْآيَةَ بِمُؤَكَّدَيْنِ، وَهُمَا:

١ - أداة التوكيد (إِنَّ).

٢ - اللام الْمُتَّصِلَةُ بِ (شَدِيد).

واعلم أنه كما يكون التأكيد في الإثبات، يكون في النفي أيضًا.

مثل: (مَا رَبُّكَ بِظَالِمٍ)؛ حَيْثُ أَكَّدَ الْكَلَامَ بِمُؤَكَّدٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ:

حَرْفُ الْجَرِّ الزَّائِد (الْبَاء).

ومثل: (وَاللَّهُ مَا رَبُّكَ بِظَالِمٍ)؛ حَيْثُ أَكَّدَ الْكَلَامَ بِمُؤَكَّدَيْنِ، وَهُمَا:

١ - الْقَسَمُ (وَاللَّهِ).

٢ - حَرْفُ الْجَرِّ الزَّائِد (الْبَاء).

ولتوكيد الكلام أدوات كثيرة، أشهرها: (إِنَّ - أَنْ - لَامِ الْإِبْتِدَاءِ - أَحْرَفَ

التنبيه - القسم - نونا التوكيد - حروف الجر الزائدة - التكرار - قد - أمّا

الشرطية - إنما - ضمير الفصل - والتقديم والتأخير).

تقسيم الخبر إلى جملة فعلية وجملة اسمية:

١ - الجملة الفعلية:

هي ما تَرَكَّبَتْ مِنْ (فِعْلٍ + فَاعِلٍ)، مثل: يُكْرِمُ اللَّهُ الصَّادِقِينَ.

أو (فِعْلٍ + نَائِبِ فَاعِلٍ)، مثل: يُنْصَرُّ الْمَظْلُومُ.

٢ - الجملة الاسمية:

هي ما تركبت من (مبتدأ + خبر)، مثل: الإسلام دين الله.

مؤكدات الجملة الاسمية:

١ - لام الابتداء: وهي لام مفتوحة تأتي في بداية الجملة الاسمية لتوكيد مضمونها، هكذا: ل + جملة اسمية = لَمُحَمَّدٌ نَاجِحٌ - ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى: ٤].

٢ - إن: مثل: إِنَّ الْبُخْلَ مَذْمُومٌ.

٣ - أن: مثل: عَلِمْتُ أَنَّ الْبُخْلَ مَذْمُومٌ.

٤ - القسم: وَاللَّهِ إِنَّ الْبُخْلَ مَذْمُومٌ.

مؤكدات الجملة الفعلية:

١ - نون التوكيد: لَا تَظْلِمَنَّ أَحَدًا.

٢ - القسم واللام الواقعة في جواب القسم، هكذا: (قَسَمٌ + ل + فعل)، مثل: وَاللَّهِ لَا أَصْنَعَنَّ الْخَيْرَ.

يكون الفعل المضارع واجب التوكيد بشروط: إذا اتصل باللام، وسبق بالقسم، وكان مثبتاً، ويدل على المستقبل، كالمثال السابق.

ويكون جائز التوكيد إذا دل على طلب (أمر - نهي - استفهام - تمن - رجاء)، وهذا هو التفصيل.

أمر: مثل: اُكْتُبَنَّ الدَّرْسَ.

نهي: مثل: لَا تُهْمَلَنَّ الدَّرْسَ.

استفهام: مثل: هَلْ تَعْمَلَنَّ الْخَيْرَ؟

تَمَنَّ: مثل: لَيْتَكَ تَصُدَّقَنَّ.

رَجَاء: مثل: لَعَلَّ الْحَاكِمَ يَصُدَّقَنَّ.

٣ - قَدْ: قبل الفعل الماضي، مثل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١].

٥ - حرفا التنبيه: (أَمَّا - أَلَا).

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَمَّا يَخْشَى أَحَدُكُمْ أَوْ لَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ» رواه البخاري.

ومثل قول الله: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ [المطففين: ٤].

٦ - أَمَّا: وهي حرف شرط وتفصيل وتوكيد، مثل قول الله: ﴿وَأَمَّا السَّاهِلَ فَلَا

تَهَرَّ﴾ [الضحى: ١٠].

٧ - الأحراف الزائدة:

(إِنْ) بعد النَّفْيِ، مثل: (مَا إِنْ تَكَلَّمْتُ إِلَّا صِدْقًا).

و(أَنْ) بعد (لَمَّا)، مثل: (وَلَمَّا أَنْ جَاءَ الضَّيْفُ أَكْرَمْتُهُ).

و(مَا) بعد (إِذَا)، مثل: (إِذَا مَا أَخْلَصْتَ أَكْرَمَكَ اللَّهُ).

و(مِنْ) بعد النَّفْيِ، مثل: (مَا جَاءَ مِنْ أَحَدٍ).

و(مِنْ) بعد (هَلْ) الاستفهامية، مثل: (هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟).

و(الْبَاءُ) بعد (النَّفْيِ)، مثل: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨].

وقول الله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]. أو في فاعل كفى، مثل

قول الله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١].

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦]، وقوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾

[الفتح: ٢٨].

عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» رواه مسلم.

انتبه !

هناك ألفاظ تتضمن معنى التوكيد. مثل: (لَا شَكَّ - لَا رَيْبَ - لَا جِدَالَ - حَقًّا - صِدْقًا - يَقِينًا - لَا بُدَّ - لَا مِرَاءَ ..).

مثل قول الشاعر:

إِذَا الشَّعْبُ يَوْمًا أَرَادَ الْحَيَاةَ فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْتَحْيِبَ الْقَدَرَ

حَيْثُ أَكَّدَ الشَّاعِرُ كَلَامَهُ بِ (لَا بُدَّ)، إِلَّا أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ يُنَافِي عَقِيدَةَ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ الَّتِي هِيَ رَكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ؛ فَإِرَادَةُ الْبَشَرِ تَابِعَةٌ لِإِرَادَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - وَلَيْسَ الْعَكْسُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرَّضَهُ عَلَى الْمَاءِ» رواه مسلم.

ولكن هذا لا ينافي الأخذ بالأسباب والعمل بجهد واجتهاد.

فَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ شَيْئًا، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الْأَرْضَ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ»، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلَا تَتَكَلَّمُ عَلَيْنَا، وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُسِّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُسِّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» رواه البخاري ومسلم.

عن المغيرة بن أبي قرة السدوسي قال: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَتَرَكَ نَاقَتَهُ بِيَابِ الْمَسْجِدِ فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهَا، فَقَالَ أَطْلَقْتُهَا وَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ قَالَ: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ» رواه الترمذي وحسنه الألباني.

فَجَعَلَ إِرَادَةَ اللَّهِ - سبحانه - تَبَعًا لِإِرَادَةِ الشَّعْبِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَخَلَفَ، وَلَا يُمْكِنُ لِلْخَالِقِ أَنْ يَرُدَّهَا ..! وهذا غيرُ مقبولٍ؛ لأنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَعَالٌ لِّمَا يَرِيدُ، وَيَحْكُمُ بِمَا يَرِيدُ، وَلَا مُكْرَهَ لَهُ عَلَى شَيْءٍ لَا يَرِيدُهُ، وَإِرَادَتُهُ تَعَالَى غَيْرُ مَقْرُونَةٍ بِأَيِّ إِرَادَةٍ أَوْ قَدْرَةٍ، تَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ .

الْفَائِدَةُ الْبَلَاغِيَّةُ لِلتَّوَكُّيدِ:

يُقَوِّي الْمَعْنَى، وَيَزِيدُ تَأْثِيرَهُ فِي النَّفْسِ .



الْقَصْرُ

الْقَصْرُ لُغَةً:

هُوَ الْحَبْسُ وَالتَّخْصِصُ، مثل قول الله: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢].

أى: قَصَرْنَ وَخَصَّصْنَ وَحَبَسْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِأَزْوَاجِهِنَّ فَلَمْ يَطْمَحْنَ إِلَى غَيْرِهِنَّ. وقصر الشيء على نفسه، إذا خصَّ نفسه به، فلم يجعل لغيره منه شيئاً.

الْقَصْرُ اصْطِلَاحًا:

هو تخصيصُ أمرٍ بأمرٍ آخرٍ من خلال وسيلةٍ من وسائلِ القصر، مثل: (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، أى: لا يُوجدُ في الوجود كُله معبودٌ بحَقٍّ سوى الله.

أسلوب القصر يتكون من:

١ - المَقْصُور.

٢ - المقصور عليه.

٣ - أداة القصر.

مثل: إِنَّمَا حَاتِمُ الطَّائِي كَرِيمٌ.

أداة القصر: إِنَّمَا.

المقصور: حاتم الطائي.

المقصور عليه: كريم.

والمقصور والمقصور عليه هما طرفا القصر.

طُرُقُ الْقَصْرِ:

- ١ - النفي والاستثناء: يقع المقصور عليه بعد أداة الاستثناء، مثل: (ما طَارِقٌ إِلَّا وَزِيرٌ). فقد قَصَرَ (طارق)، وهو الموصوف على الْوِزَارَةِ، وهى الصفة.
- ٢ - إنها: يأتى بعدها المقصور. أما المقصور عليه فيأتى مؤخرًا، مثل: (إِنَّهَا طَارِقٌ وَزِيرٌ).
- ٣ - تقديم ما حَقُّهُ التأخير: ويكون المقصور عليه هو المقدم، مثل قول الله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ﴾ .

٤ - العطف بـ (لا) أو (بل) أو (لكن):

مثل: الْإِنْسَانُ بِإِيْمَانِهِ لَا بِشَكْلِهِ - لَيْسَ طَارِقٌ مُهَنْدِسًا بَلْ وَزِيرًا - مَا الْعَاصِي مُحَبُّوبٌ لَكِنْ الطَّائِعُ.

فإذا كان العطف بـ (لا) كان المقصور عليه ما قبلها، مثل: (الْإِنْسَانُ بِإِيْمَانِهِ لَا بِشَكْلِهِ). وإن كان العطف بـ (بل) أو (لكن) كان المقصور عليه ما بعدهما، مثل: لَيْسَ طَارِقٌ مُهَنْدِسًا بَلْ وَزِيرًا - مَا الْعَاصِي مُحَبُّوبٌ لَكِنْ الطَّائِعُ.

أقسام أسلوب القصر:

ينقسم أسلوب القصر إلى أقسام كثيرة، باعتبارات مختلفة، وذلك على التفصيل التالى:

أ - القصر من حيث الطرفين:

- ١ - قصر موصوف على صفة، مثل قولنا: (إِنَّهَا النَّاجِحُ عُمَرُ)، فنحن فى هذه الحالة قَصَرْنَا النَّجَاحَ عَلَى (عُمَرُ). وعندما تقصر إنسانًا على وَصْفٍ فذلك (قَصْرٌ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ).

ومثل: (مَا شَوْقِي إِلَّا شَاعِرٌ)، فقد قَصَرَ شَوْقِي، وهو الموصوف على الشاعرية، وهى الصفة.

٢ - قصر صفة على موصوف، مثل: قولك: (إِنَّمَا حَمَزُهُ كَاتِبٌ)، فهذا يعني أن (حَمَزَةً) كَاتِبٌ فَقَطْ، وهو ليس بطبيبٍ أو مُهندِسٍ أو ضابطٍ.

أما إن قلت: (إِنَّمَا الْكَاتِبُ حَمَزَةٌ)، فهذا يعني أنه لا يُوجَدُ كَاتِبٌ إِلَّا حَمَزَةً؛ فكَأَنَّكَ نَفَيْتَ عَنِ الْآخَرِينَ أَنَّهُمْ كُتَّابٌ، وأن حَمَزَةً فَقَطْ هو الْكَاتِبُ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّ يَكُونَ طَبِيبًا وَخَطِيبًا وَعَالِمًا مَعَ كَوْنِهِ كَاتِبًا.

ومثل: (لا شَاعِرَ إِلَّا شَوْقِي)، فَقَدْ قَصَرَ الشاعرية، وهى الصفة على شَوْقِي وهو الموصوف.

وحينها تقول: (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فَقَدْ قَصَرْتَ وَصَفَ الإِلَهِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ عَلَى موصوف، وهو الله وحده، وهذا من قَصْرِ الصِّفَةِ عَلَى الْمَوْصُوفِ.

وحينها تقول: (مَا لِإِبْلِيسَ مِنْ عَمَلٍ فِي النَّاسِ إِلَّا الْوَسْوَسَةُ وَالْإِغْوَاءُ)، فَإِنَّمَا قَصَرْتَ عَمَلَ إِبْلِيسَ فِي النَّاسِ عَلَى صِفَتَيْ الْوَسْوَسَةِ وَالْإِغْوَاءِ.

عَمَلُ إِبْلِيسَ فِي النَّاسِ موصوفٌ، والوسوسة والإغواء كل منهما صفةٌ، وهذا من قصر الموصوف على الصفة.

ب- القصر من حيث الحقيقة والواقع :

١ - القصر الحقيقي :

وهو أن يكون المقصور خاصًا بالمقصور عليه، مثل: (لا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ)، فهو قَصْرُ صِفَةٍ عَلَى موصوف، وإذا تأملت الصفة عرفت أنها لا تفارق؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ لا تكون إِلَّا لله، فهو قَصْرٌ حَقِيقِي.

٢ - القصر الإضافي :

هو أن يكون القصر فيه ليس حقيقيًا، وإنما بحسب القياس إِلَى شَيْءٍ مُعَيَّنٍ،

مثل: (إِنَّمَا الشَّاعِرُ زُهَيْرٌ) فَقَدْ قَصَرَ الصِّفَةَ (الشَّاعِرِيَّة) عَلَى الْمَوْصُوفِ (زُهَيْرٍ)، وليس معنى أن هذه الصفة لا توجد في أحد غير خالد، بل بالقياس إلى شخص آخر، مثل: إبراهيم ومحمد وطارق ومريم...، ولذلك يُسَمَّى الْقَصْرُ قَصْرًا إِضَافِيًّا. **أَمْثَلَةٌ عَلَى الْقَصْرِ:**

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] قَصَرَ الْعِبَادَةَ عَلَى ذَاتِهِ الْكَرِيمَةِ...؛ لأنه لو قال: (نعبدك وحدك) فهي لا تؤدي المعنى نفسه...؛ لأنك قد تقول: نعبدك وحدك ومعك كذا وكذا.

ولكن إذا قلت: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وقدمت إياك...، تكون قد حَسَمْتَ الْأَمْرَ بِأَنَّ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فلا يجوز العطف عليها. فهي تنفي العبودية لغير الله...، أي لا نعبد غير الله، ولا يعطف عليها أبدًا..

إذن: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أَعْطَتْ تَخْصِيصَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ.

وقول الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فهذا أسلوبٌ قَصْرٌ؛ لِأَنَّهُ - سبحانه وتعالى - يقصر محمدًا عَلَى الرِّسَالَةِ. فإذا قُصِرَ مُحَمَّدٌ ﷺ عَلَى الرِّسَالَةِ، فهذا يعني أن بعض المعاصرين له كانوا يعتقدون أن محمدًا أكبرُ من رسولٍ ولا يموتُ.

قول الله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

فكلمة: ﴿إِنَّمَا﴾ تُسَمَّى فِي اللُّغَةِ (أَدَاةَ قَصْرِ)، مثل قولنا: (إِنَّمَا يُوسُفُ مُجْتَهِدٌ)، وهذا يعني أننا قَصَرْنَا (يُوسُفَ) عَلَى الاجتهاد.

لكن إذا قلنا: (إِنَّمَا الْمُجْتَهِدُ يُوسُفُ)، فنحن في هذه الحالة قَصَرْنَا الاجتهاد

على (يُوصَف). وعندما تقصر إنساناً على وصفٍ فذلك يسمونه: (قَصُرَ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ).

وعندما نقول: (إِنَّمَا عَنَتَرُهُ شَاعِرٌ)، فهذا يعني أن (عَنَتَرَهُ) شَاعِرٌ فَقَطْ، وهو ليس بكاتبٍ أو خطيبٍ. أما إن قلت: (إِنَّمَا الشَّاعِرُ عَنَتَرُهُ)، فهذا يعني أنه لا يُوجَدُ شَاعِرٌ إِلَّا عَنَتَرَهُ؛ فكأنك نَفَيْتَ عَنِ الْآخَرِينَ أَنَّهُمْ شُعَرَاءُ، وَأَنْ عَنَتَرَهُ فَقَطْ هُوَ الشَّاعِرُ، ويحتمل أن يكون كاتباً وَخَطِيباً وَعَالِماً مَعَ كَوْنِهِ شَاعِراً.

قول الله: ﴿وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٧].

﴿وَأَنْفُسُهُمْ﴾: مفعول به تَقَدَّمَ عَلَى عَامِلِهِ الْفِعْلُ ﴿يَظْلِمُونَ﴾ وحين تجد معمولاً تقدم على عامله فاعلم أن هذا أسلوبٌ قَصْرٌ، وقد نقول: (يظلمون أنفسهم)، ويصح أن تعطف قائلاً: ويظلمون الناس. ولكن حين نقول: أنفسهم يظلمون، فمعنى ذلك أنه لا يتعدى ظلمهم أنفسهم، ويكون الكلام فيه قصر وتخصيص.

مثلاً نقول: (الله الأمر)، أي أن الأمر لا يتعدى إلى غيره أبداً.

وقول الله: ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٨٥].

فإذا تقدم الجار على المجرور فذلك أسلوبٌ قَصْرٌ وَحَصْرٌ للأمر، وهنا قَصُرَ وَحَصَرَ التوكل على الله تعالى، ولا توكل على سواه. ومن المُمْكِنِ أَنْ يُقَالَ: (تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ)، إِلَّا أَنَّ هَذَا لَا يَنْفِي التَّوَكَّلَ عَلَى غَيْرِهِ، فَيَصِحُّ الْعَطْفُ، فَيُقَالُ: تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ وَعَلَى غَيْرِهِ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُغْلِقَ هَذَا الْبَابَ، فَقَدِّمَ وَأَخَّرْ، فَقُلْ: (عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا) عَلَى الْقَصْرِ.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ

وَإِذَا أَمْسَى: حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَبْعَ مَرَّاتٍ كَفَاهُ اللَّهُ مَا أَهَمَّهُ صَادِقًا كَانَ بِهَا أَوْ كَاذِبًا» رواه أبو داود.

فالرسول لَمْ يَقُلْ: (توكلت عليه)؛ ولكنه قال: (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) والفارق بين الْقَوْلَيْنِ كبير، فحين تقول: (عليه توكلت) فأنت تَقْصُر التَّوَكَّلَ عليه وحده؛ ولكن إِنْ قُلْتَ: (توكلت عليه)، فأنت تستطيع أَنْ تضيف وتعطف عددًا آخر مِمَّنْ يَمَكِّنُكَ التَّوَكُّلَ عليهم.

ومنه قول الله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ﴾ [هود: ١٢٣].

فهذا أسلوبٌ قَصْرٌ بتقديم الْجَارِ والمجرور، أي قَصْرُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ عليه سبحانه، فلو قلنا مثلاً: (غيب السموات والأرض لله)، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: ولغير الله، أما: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ﴾ أي: له وحده لا شريك له.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

أسلوبٌ قَصْرٌ، يفيد قَصْرَ العبادة وإثباتها لله وحده، بحيث لا يشاركه فيها أحد. فلو قالت الآية: (وقضى ربك أن تعبدوه)، فَرَبٌّ قَائِلٌ يقول: ونعبدُ غيره؛ لِأَنَّ بَابَ الْعَطْفِ هنا مفتوحٌ لَمْ يُغْلَقْ، كما لو قُلْتَ: ضَرَبْتُ فُلَانًا وفُلَانًا وفُلَانًا. هكذا باستخدام العطف. لكن لو قُلْتَ: ما ضَرَبْتُ إِلَّا فُلَانًا، فقد أغلقت باب العطف.

إذن: جاء التعبير بأسلوب القصر ليقول: اقصروا العبادة عَلَيْهِ سبحانه، وَانْفُوهَا عَنْ غَيْرِهِ.

الْفَائِدَةُ الْبَلَاغِيَّةُ لِلْقَصْرِ:

يقوي المعنى، ويزيد تأثيره في النفس.

الأسلوبُ

تعريفه:

هو الطريقة التي يُعبّرُ بها الأديب (الشاعر - النّاثِر) عما يدور في نفسه من أفكار ومشاعر.

أقسامه:

وينقسم الأسلوب من حيث النوع إلى:

- ١ - أسلوب علمي.
- ٢ - أسلوب أدبي.
- ٣ - أسلوب علمي متأدب.

أولاً: الأسلوب العلمي:

هو ذلك الأسلوب الذي يعبر به الكاتب، أو المُؤلّف عن حقائق علمية ثابتة لا تقبل الجدل، وليس فيها صورٌ بلاغية. ويكون بطريقة خالية من المشاعر والأحاسيس.

مميزات الأسلوب العلمي:

أظهرُ ميزات هذا الأسلوب الوُضوحُ، فهدفُه إظهارُ الحقائق وكشفُها للسامع أو القارئ، ويمتازُ بالدقة والتحديد، والترتيب المنطقي، واستخدام الأدلة والبراهين، ويتعد عن الخيال والعاطفة؛ لأنه يُخاطبُ العقل، ويناجي الفكر، ويشرحُ الحقائق العلمية التي لا تخلو من غموضٍ وخفاءٍ، وتتخلله مصطلحاتٌ علميةٌ متصلةٌ بالموضوع الذي يتناوله.

وكتبُ الدراسة كالعلوم والحساب والطب...، على هذا النحو من الأساليب:

نموذج للأسلوب العلمي:

١- الربيع أحد فصول السنة الأربعة. يبدأ من يوم (٢١) مارس، وينتهي في يوم (٢١) يونية. وتكون الشمس عموديةً على خط الاستواء، ويتساوى فيه الليل والنهار.

٢ - الْحُمَّى أَثَرُ لِحْرَائِمَ تَدْخُلُ الْجِسْمَ، فترفعُ درجةَ حرارته، وتُسَبِّبُ له رِغْشَةً وَرِغْدَةً، حتى إذا قَرَعَتْ نَوْبَتَهَا تَصَبَّبَ الْجِسْمُ عَرَقًا.

٣ - في فناءِ القصرِ بركةٌ كبيرة، يزيدُ اتساعها عن مائة متر طولاً في مثلها عرضاً، وحوّلها سورٌ متوسطُ الارتفاع، يستطيعُ الإنسانُ أن يجلسَ على حافته، ويرى ماءَ البركةِ الذي يتدفقُ إليها بشدةٍ من النهرِ المجاور، وهو ماءٌ صافٍ، لا يحجبُ قرارَ البركةِ عن العينِ.

ثانياً: الأسلوب الأدبي:

وهو ذلك الأسلوب الذي يعبر به الكاتب، أو المُؤَلِّفُ، أو الأديب عن أفكارٍ أدبيةٍ بألفاظٍ موحية، وصورٍ بلاغيةٍ رائعةٍ وعاطفةٍ قويةٍ تؤثر في النفس.

أهمُّ مُمَيِّزَاتِ الأسلوبِ الأدبيِّ:

هدفه إثارةُ عاطفةِ السامع أو القارئ والتأثير في نفسه، ويمتازُ باختيار الألفاظ والتأثير فيها، ويمتازُ بامتزاجِ الفكرةِ بالعاطفةِ، ويمتازُ بالعناية بصور البيان من تشبيه واستعارة وكناية، ويمتازُ بالحرص على موسيقية العبارة، لتصوّر الإحساس وتهز المشاعر، فالجمالُ أبرزُ صفاتِ الأسلوبِ الأدبي.

فالمُتَنَبِّي يَرَى الْحُمَّى، كما يُصَوِّرُهَا فِي الْأَبْيَاتِ الْآتِيَةِ:

وَزَائِرِي كَأَنَّ هَـا حَيَاءً فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ

يريد حمى كانت تأتية ليلا يقول كأنها حية إذ كانت لا تزورني إلا في ظلام الليل.

بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَافَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي

يقول هذه الزائرة يعني الحمى لا تببت في الفراش، وإنما تببت في عظامي.
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْ هَا فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ

يقول جلدي لا يسعها، ولا يسع أنفاسي الصعداء، والحمى تُذهِبُ لَحْمِي، وتوسع جلدي بما تورده عليّ من أنواع السقام.

إِذَا مَا فَارَقْتَنِي غَسَلْتَنِي كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامٍ

يريد أنه يعرق عند فراقها، فكأنها تغسله لعكوفهما على ما يوجب الغسل، وإنما خص الحرام لحاجته إلى القافية، وإلا فالاجتماع على الحلال كالاجتماع على الحرام في وجوب الغسل.

وَفَارَقْتُ الْحَبِيبَ بِلَا وَدَاعٍ وَوَدَّعْتُ الْبِلَادَ بِلَا سَلَامٍ

أي وربما فارقت الحبيب بلا وداع يريد أنه قد هرب من أشياء كرهها دفعات فلم يقدر على توديع الحبيب ولا على أن يسلم على أهل ذلك البلد الذي هرب منه
يَقُولُ لِي الطَّبِيبُ أَكَلْتُ شَيْئًا وَدَاوَكُ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ

أي الطبيب يظن أن سبب دائي الأكل والشرب، فيقول: أَكَلْتُ كَذَا وَكَذَا مِمَّا يَضُرُّ.

تَمَتَّعَ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ وَلَا تَأْمُلُ كَرَى تَحْتَ الرَّجَامِ

الرجام: القبور المبنية من حجارة واحدها رجم يقول ما دمت حيا فتمتع من حالتي السهاد والنوم فلا ترج النوم في القبر.

نموذج الأسلوب الأدبي:

مَا أَجْمَلَ الرَّبِيعَ الْفَتَانَ ! فَصَلَ السَّحَرِ وَالْجَمَالَ . تَتَرَاقَصُ فِيهِ الْأَزْهَارُ . وَتَتَمَائِلُ فِيهِ الْأَغْصَانُ ، وَتَكْتَئِبِي بِأَجْمَلِ حُلِيِّهَا الْأَشْجَارُ . وَتَسْتَقِظُ الْوُرُودُ مِنْ سُبَاتِهَا . وَتَظَلُّ السَّمَاءُ فِي أَبْهَى صَفَائِهَا ؛ لِتَكُونَ الدُّنْيَا فِي أَرْوَعِ زِينَتِهَا وَبَهَائِهَا .

ثالثاً: الأسلوب العلمي المتأدب:

هو ذلك الأسلوب الذي يعبر به الكاتب، أو المؤلّف، أو الأديب عن أفكار واضحة في صياغة أدبية؛ ليكون وسطاً بين الأدبي والعلمي. كما ترى في بعض الكتب كالتاريخ والاجتماع والفلسفة.

نموذج الأسلوب العلمي المتأدب:

١ - الدين في بلادنا هو الدين الذي أنزله الله على رسوله، قبل أن يوحيه إلى محمد ﷺ. فمننا المسيحيون الذين يؤمنون برسالة عيسى عليه الصلاة والسلام. ومننا المسلمون الذين يؤمنون برسالة محمد ﷺ. ومننا الذين يؤمنون بالدين الذي أنزله الله على موسى. كل هؤلاء يعيشون في البلاد العربية إخوة متآلفين. لهم مثلٌ عليا واحدة مشتركة بينهم في أمور حياتهم الدنيوية والأخروية. مثلهم الأعلى قد أنزله الله في قلوبهم ووضع في أعماق نفوسهم.. جعل من الأمة العربية وحدة يتم بعضها بعضاً. أزال الفرقة. ومحا الخصومات.

٢ - قال الجاحظ يصف نوعاً من الثعابين: «زعموا أنها إذا انتصفَ النهار واشتدَّ الحرُّ في رمالٍ بلعنيرٍ، وامتنعت الأرض على الحافي والمتعلِّ، ورَمَضَ الجندبُ، غمست هذه الحيَّة ذنبها في الرَّمْل، ثم انتصبت كأنها رُمحٌ مركوزٌ، أو عودٌ ثابتٌ فيجيء الطائرُ الصغيرُ أو الجرادةُ، فإذا رأى عوداً قائماً وكرة الوقوع على الرَّمْلِ لشدة حرِّه، وقَعَ على رأسِ الحيَّة، على أنها عودٌ، فإذا وقَعَ على رأسها قبضت

عليه، فإن كان جرادةً أو جُعلاً أو بَعْضَ ما لا يُشبعها مثله، ابتلعتُه وبقيتُ على انتصابها، وإن كان الواقعُ على رأسها طائرًا يُشبعها مثله أكلته وانصرفتُ..».

ملاحظة:

يعتمد الأسلوب الأدبي على إثارة القارئ والسماع من خلال الألفاظ الفخمة والكلمات الضخمة والعبارات المشرقة والتعبيرات المتألّفة.

أما الأسلوب العلمي فإنه لا يهتم بالثياب المزخرفة والملابس المزركشة ذات الألوان الزاهية. وإنما يعتمد على الحقائق الناصعة يربطها تفكير سليم ومنطق قديم .

فالأسلوب الأدبي مثل نبات الخروب. في ثمره قنطار خشب. ودرهم حلاوة. والأسلوب العلمي كالتفاحة كلها شبع وري.



قال غير العرب عن العربية

العربية والإسلام:

قال المستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس: «إنَّ في الإسلام سَنَدًا هَامًّا لِللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَبْقَى عَلَى رَوْعَتِهَا وَخُلُودِهَا فَلَمْ تَنْلُ مِنْهَا الْأَجْيَالُ الْمُتَعَاقِبَةُ عَلَى نَقِيضِ مَا حَدَّثَ لِللُّغَاتِ الْقَدِيمَةِ الْمُثَالَّةِ، كَاللَّاتِينِيَّةِ حَيْثُ انْزَوَتْ تَمَامًا بَيْنَ جُذْرَانِ الْمَعَابِدِ.

ولقد كان للإسلام قُوَّةٌ تَحْوِيلٍ جَارِفَةٌ، أَثَّرَتْ فِي الشُّعُوبِ الَّتِي اعْتَبَقَتْهُ حَدِيثًا، وَكَانَ لِأُسْلُوبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَثَرٌ عَمِيقٌ فِي خِيَالِ هَذِهِ الشُّعُوبِ، فَاقْتَبَسَتْ آلَافًا مِنَ الْكَلِمَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، اِزْدَانَتْ بِهَا لُغَاتُهَا الْأَصْلِيَّةُ، فَازْدَادَتْ قُوَّةً وَنَمَاءً.

والعنصر الثاني الذي أَبْقَى عَلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ هُوَ مَرُونَتُهَا الَّتِي لَا تُبَارَى، فَالْأَلْمَانِي الْمَعَاوِرُ مَثَلًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْهَمَ كَلِمَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّهْجَةِ الَّتِي كَانَ يَتَحَدَّثُ بِهَا أَجْدَادُهُ مِنْذُ أَلْفِ سَنَةٍ، بَيْنَمَا الْعَرَبُ الْمُحَاثِرُونَ يَسْتَطِيعُونَ فَهْمَ آدَابِ لُغَتِهِمُ الَّتِي كَتَبَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ».

قال المستشرق الألماني يوهان فك: «إِنَّ الْعَرَبِيَّةَ الْفَصْحَى لِتَدِينُ حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا بِمَرْكَزِهَا الْعَالَمِيِّ أَسَاسِيًّا لِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ الثَّابِتَةِ، وَهِيَ أَنَّهَا قَدْ قَامَتْ فِي جَمِيعِ الْبُلْدَانِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ رَمْزًا لُغَوِيًّا لَوْحْدَةِ عَالَمِ الْإِسْلَامِ فِي الثَّقَافَةِ وَالْمَدِينَةِ، لَقَدْ بَرَّهَنَ جَبْرُوتُ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ الْخَالِدِ عَلَى أَنَّهُ أَقْوَى مِنْ كُلِّ مُحَاوَلَةٍ يَقْصِدُ بِهَا زَحْزَحَةُ الْعَرَبِيَّةِ الْفَصْحَى عَنْ مَقَامِهَا الْمُسَيِّطِرِ، وَإِذَا صَدَقَتِ الْبَوَادِرُ، وَلَمْ تَخْطِئِ الدَّلَائِلُ فَسَتَحْتَفِظُ الْعَرَبِيَّةُ بِهَذَا الْمَقَامِ الْعَتِيدِ مِنْ حَيْثُ هِيَ لُغَةُ الْمَدِينَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ».

قال جوستاف جرونيباوم: عِنْدَمَا أَوْحَى اللَّهُ رِسَالَتَهُ إِلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ أَنْزَلَهَا (قَرَأْنَا عَرَبِيًّا) وَاللَّهُ يَقُولُ لِنَبِيِّهِ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ

بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٤٧﴾ [مریم: ٩٧] وما مِنْ لُغَةٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَطَاوِلَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ فِي شَرَفِهَا، فَهِيَ الْوَسِيلَةُ الَّتِي اخْتِيرَتْ لِتَحْمِلَ رِسَالَةَ اللَّهِ النَّهَائِيَّةَ، وَلَيْسَتْ مَنْزِلَتُهَا الرُّوحِيَّةُ هِيَ وَحْدَهَا الَّتِي تَسْمُو بِهَا عَلَى مَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِي سَائِرِ اللُّغَاتِ مِنْ قُوَّةٍ وَبَيَانٍ، أَمَّا السَّعَةُ فَالْأَمْرُ فِيهَا وَاضِحٌ، وَمَنْ يَتَّبِعْ جَمِيعَ اللُّغَاتِ لَا يَجِدُ فِيهَا عَلَى مَا سَمِعْتَهُ لُغَةً تَضَاهِي اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ، وَيُضَافُ جَمَالُ الصَّوْتِ إِلَى ثَرَوَتِهَا الْمَدْهَشَةِ فِي الْمُرَادِفَاتِ .

وَتَزَيُّنُ الدِّقَّةِ وَوَجَازَةُ التَّعْبِيرِ لُغَةُ الْعَرَبِ، وَتَمْتَازُ الْعَرَبِيَّةُ بِهَا مِنْ كُنَايَاتٍ وَمَجَازَاتٍ وَاسْتِعَارَاتٍ لِيَزْفَعَهَا كَثِيرًا فَوْقَ كُلِّ لُغَةٍ بَشَرِيَّةٍ أُخْرَى، وَلِلُّغَةِ خَصَائِصُ جَمَّةٌ فِي الْأَسْلُوبِ وَالنَّحْوِ لَيْسَ مِنَ الْمُسْتَطَاعِ أَنْ يَكْتَشِفَ لَهُ نَظَائِرُ فِي أَيِّ لُغَةٍ أُخْرَى، وَهِيَ مَعَ هَذِهِ السَّعَةِ وَالْكَثْرَةِ أَخْصَرَ اللُّغَاتِ فِي إِيْصَالِ الْمَعَانِي، وَفِي النُّقْلِ إِلَيْهَا، يَبِينُ ذَلِكَ أَنَّ الصُّورَةَ الْعَرَبِيَّةَ لِأَيِّ مِثْلِ أَجْنَبِيٍّ أَقْصَرَ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ، وَقَدْ قَالَ الْخَفَّاجِيُّ عَنْ أَبِي دَاوُدَ الْمَطْرَانِ - وَهُوَ عَارِفٌ بِاللُّغَتَيْنِ الْعَرَبِيَّةِ وَالسَّرِيَانِيَّةِ - أَنَّهُ إِذَا نُقِلَ الْأَلْفَاظُ الْحَسَنَةُ إِلَى السَّرِيَانِي قُبِّحَتْ وَخَسَّتْ، وَإِذَا نُقِلَ الْكَلَامُ الْمُخْتَارُ مِنَ السَّرِيَانِي إِلَى الْعَرَبِي أَزْدَادَ طِلَاوَةً وَحَسَنًا، وَإِنَّ الْفَارَابِيَّ عَلَى حَقٍّ حِينَ يَبْرِّرُ مَدْحَهُ الْعَرَبِيَّةَ بِأَنَّهَا مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ الْمَنْزَهُ بَيْنَ الْأَلْسِنَةِ مِنْ كُلِّ نَقِيصَةٍ، وَالْمَعْلَى مِنْ كُلِّ خَسِيسَةٍ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ أَوْسَطُ الْأَلْسِنَةِ مَذْهَبًا وَأَكْثَرُهَا أَلْفَاظًا^(١).

العرب والمعاجم:

قال المستشرق الألماني أوجست فيشر: إذا استثنينا الصين فلا يوجد شعب آخر يحقُّ له الفَخَارُ بوفرةِ كتبِ علومِ لغتِهِ، وبشعوره المبكرِ بحاجته إلى تنسيقِ مفرداتها، بحسبِ أصولٍ وقواعدٍ غيرِ العرب^(٢).

(١) (الفصحى لغة القرآن - أنور الجندي ص ٣٠٦).

(٢) (مقدمة المعجم اللغوي التاريخي - أوغست فيشر).

قال هايوود: إنَّ العربَ في مجال المعجم يحتلّون مكان المركز، سواءً في الزمان أو المكان، بالنسبة للعالم القديم أو الحديث، وبالنسبة للشرق أو الغرب.

شمول العربية واكتمالها:

قال المستشرق الألماني نولدكه عن العربية وفضلها وقيمتها: «إن اللغة العربية لم تُصِرْ حقاً عالميةً إلا بسبب القرآن والإسلام، وقد وضع أماننا علماء اللغة العرب باجتهدهم أبنية اللغة الكلاسيكية، وكذلك مفرداتها في حالة كمال تام، وأنه لا بد أن يزداد تعجب المرء من وفرة مفردات اللغة العربية، عندما يعرف أن علاقات المعيشة لدى العرب بسيطةٌ جدًّا، ولكنهم في داخل هذه الدائرة يرمزون للفرق الدقيق في المعنى بكلمةٍ خاصّةٍ، والعربية الكلاسيكية ليست غنيّةً فقط بالمفردات ولكنها غنيّةٌ أيضًا بالصيغ النحوية، وتتمّ العربية بربط الجمل ببعضها... وهكذا أصبحت اللغة (البدويّة) لغةً للدين والمنتديات وشئون الحياة الرفيعة، وفي شوارع المدينة، ثم أصبحت لغةً المعاملات والعلوم، وإن كلّ مؤمنٍ غالبًا جدًّا ما يتلو يوميًّا في الصلاة بعض أجزاء من القرآن، ومعظم المسلمين يفهمون بالطبع بعض ما يتلون أو يسمعون، وهكذا كان لا بُدَّ أن يكون لهذا الكتاب من التأثير على لغة المنطقة المتّسعة ما لم يكن لأيّ كتابٍ سواه في العالم، وكذلك يقابل لغة الدين ولغة العلماء والرجل العادي بكثرة، ويؤدّي إلى تغيير كثيرٍ من الكلمات والتعابير في اللغة الشعبية إلى الصّحة».

قال المستشرق الفرنسي رينان: من أغرب المُدهِشات أن تنبت تلك اللغة القوميّة وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمةٍ من الرُّحّل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقّة معانيها وحسن نظام مبانيها، ولم يُعرف لها في كلّ أطوار حياتها طفولةٌ ولا شيخوخةٌ، ولا نكاد نعلم من شأنها إلاّ فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تُبارى، ولا نعرف شبيهاً بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملةً من غير تدرّج وبقيت حافظةً لكيانها من كلّ شائبة .

قال المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون: استطاعت العربية أن تبرز طاقة الساميين في معالجة التعبير عن أدق خلجات الفكر سواءً كان ذلك في الاكتشافات العلمية والحسابية أو وصف المشاهدات أو خيالات النفس وأسرارها.

واللغة العربية هي التي أدخلت في الغرب طريقة التعبير العلمي، والعربية من أنقى اللغات، فقد تفرّدت بتفردّها في طرق التعبير العلمي والفني، إنّ التعبير العلمي الذي كان مستعملاً في القرون الوسطى لم يتناوله القدم ولكنه وقف أمام تقدّم القوى المادية فلم يتطوّر.

أما الألفاظ المعبّرة عن المعاني الجدلية والنفسانية فإنها لم تحتفظ بقيمتها فحسب بل تستطيع أن تؤثر في الفكر الغربي وتنشّطه.

ثمّ ذلك الإيجاز الذي تتسم به اللغة العربية والذي لا شبيه له في سائر لغات العالم والذي يُعدّ معجزةً لغويةً، كما قال البيروني .

قالت المستشرقة الألمانية زيفر هونكة: كيف يستطيع الإنسان أن يُقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة، فلقد اندفع الناس الذين بقوا على دينهم في هذا التيار يتكلمون اللغة العربية بشغفٍ، حتى إنّ اللغة القبطية مثلاً ماتت تماماً، بل إنّ اللغة الآرامية لغة المسيح قد تخلّت إلى الأبد عن مركزها لتحلّ مكانها لغة محمد.

قال المستشرق الألماني كارل بروكلمان: بلغت العربية بفضل القرآن من الاتساع مدًى لا تكاد تعرفه أيُّ لغةٍ أخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعاً مؤمنون بأن العربية وحدها اللسان الذي أحلّ لهم أن يستعملوه في صلاتهم .

قال د. جورج سارتون: وهبَ الله اللغة العربية مرونةً جعلتها قادرةً على أن تدوّن الوحي أحسن تدوين .. بجميع دقائق معانيه ولغاته، وأن تعبر عنه بعباراتٍ عليها طلاوة وفيها متانة .

أكّد المستشرق أستاذ اللغات الشرقية بجامعة أستانبول: أن اللغة العربية أسهل

لغات العالم وأوضحها، فمن العبث إجهاد النفس في ابتكار طريقةٍ جديدةٍ لتسهيل السهل وتوضيح الواضح، إن الطلبة قبل الانقلاب الأخير في تركيا كانوا يكتبون ما أمليه عليهم من المحاضرات بالحروف العربية وبالسّعة التي اعتادوا عليها - لأن الكتابة العربية مختزلةٌ من نفسها - أما اليوم فإن الطلبة يكتبون ما أمليه عليهم بالحروف اللاتينية، ولذلك لا يفتأون يسألون أن أعيد عليهم العبارات مرارًا، وهم معذورون في ذلك؛ لأن الكتابة الإفرنجية معقدةٌ والكتابة العربية واضحةٌ كلّ الوضوح، فإذا ما فتحت أيّ خطابٍ فلن تجد صعوبةً في قراءةٍ أردأ خطًّا به، وهذه هي طبيعة الكتابة العربية التي تتسم بالسهولة والوضوح .

العالم اللغوي أفرام نعموم تشومسكي Afram Noam Chomsky ابن معلم اللغة العبرية وأحد خريجي جامعة بنسلفانيا (وهو أستاذٌ في معهد ماساشوست ومفكرٌ يهوديٌّ كبير) فإنه أقربَ بالحق العربي وبمكانة العربية، وقد تزعم الدراسات اللغوية المعاصرة وكوّن نظريةً جديدةً قلبت الفكر اللغوي رأسًا على عقب، أصدر كتابه الأول في التراكيب النحوية Syntactic Structure في سنة ١٩٥٧م نقد فيه مدرسة علم اللغة الوصفي Descriptive Linguistics التي كانت سائدةً في الغرب حتى عهد قريب، وقد ميّز بين بنيتين في الجملة هما البنية العميقة والتركيب السطحي، وأوضح أن البنية الأولى هي أساس الثانية.

نوّه تشومسكي في معرض ردّه على استفسارٍ وُجّه إليه في سنة ١٩٨٩م بأن تأثيرات النحو العربي كبيرةٌ على نظريته في دراسة اللغة، وأنه قرأ كتاب سيبويه كمرجع له .

أشاد ماريو بل مؤلف كتاب (قصة اللغات The Story of Language p155. 277) بأن العربية هي اللغة العالمية في حضارات العصور الوسطى، وكانت رافدًا عظيمًا للإنكليزية في نهضتها وكثير من الأوربيّات، وقد أورد قاموس Littre قوائم

بما اقتبسته هذه اللغات من مفرداتٍ عربية، وكانت أولها الإسبانية ثم الفرنسية والإيطالية واليونانية والمجرية وكذلك الأرمنية والروسية وغيرها، ومجموعها ٢٧ لغة، وتقدر المفردات بالآلاف.

قال المستشرق الألماني فرنباغ: ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب، بل إن الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتي عليهم العدّ، وإن اختلافنا عنهم في الزمان والسجيا والأخلاق أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية وبين ما ألفوه حجاباً لا يتبين ما وراءه إلا بصعوبة.

قال الأستاذ ميليه: إن اللغة العربية لم تتراجع عن أرض دخلتها لتأثيرها الناشئ من كونها لغة دين ولغة مدنية، وعلى الرغم من الجهود التي بذلها المبشرون، ولمكانة الحضارة التي جاءت بها الشعوب النصرانية لم يخرج أحد من الإسلام إلى النصرانية، ولم تبق لغة أوربية واحدة لم يصلها شيء من اللسان العربي المبين، حتى اللغة اللاتينية الأم الكبرى، فقد صارت وعاءً لنقل المفردات العربية إلى بناتها.

قال الفرنسي جاك بيرك: إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات، فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا، إن الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية، وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملاً قوياً في بقاء الشعوب العربية.

قال وليم ورك: إن للعربية ليناً ومرونةً يمكنانها من التكيف وفقاً لمقتضيات العصر.



تَطْبِيقَاتٌ عَامَّةٌ

التطبيق الأول

عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَأَاعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا؟ فَإِنْ تَرَكَوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا وَهَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا» رواه البخاري، وللمزمذ نحوها.

الاستهام: طلب السهم والنصيب، والمراد به: الاقتراع.

أخذوا على أيديهم: يقال: أخذتُ على يد فلان: إذا منعتَه عما يريد أن يفعله.

ما يتعلق بهذا الحديث الشريف من الجوانب البلاغية والنحوية وغيرها مما يتعلق بالدراسات اللغوية، وقد قدمت بيان المعنى الإجمالي للحديث، ثم شرحت بعض مفرداته، ثم ذكرت بعض ما فيه من الجوانب النحوية، ثم بينت ما فيه من الجوانب البلاغية.

شرح إجمالي للحديث:

هذا مثل عظيم يُشبه فيه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حال الناس وموقفهم مما يكون في المجتمع من منكرات بحال قوم ركبوا سفينة فاقسموا أماكنهم فيها بطريق القرعة، فكان من نصيب بعضهم الجزء الأعلى من السفينة، وكان من نصيب الآخرين الجزء الأسفل منها، وكان لابد لأهل السفلى من الماء، فكانوا يصعدون لأعلى السفينة ليستقوا الماء، ولما كان ممرهم على أهل العلو فقد تأذوا بهم؛ إذ ربما أصابهم شيء من رشاش الماء أو أفلقوا وقت راحتهم أو غير ذلك، فلما رأى أهل

السفل تأذي أهل العلو بهم عزموا على أن ينقبوا في نصيبهم نقباً يحصلون منه على الماء دون الحاجة إلى إيذاء من فوقهم، ولم يدر هؤلاء أن هذا الخرق الصغير سيؤدي إن ترك إلى هلاك الجميع ويكون معنى (أصغر خرق).

ويبين الرسول الكريم ﷺ أن الأمر لا يخلو حينئذ من إحدى نتيجتين: إما أن يقوم أهل العلو بواجبهم في منع هذه الكارثة فينجو الجميع؛ وإما أن يتركوهم وشأنهم بدعوى أن هذا نصيبهم يفعلون فيه ما يشاءون، وحينئذ تكون النتيجة الحتمية هي هلاك الجميع.

والحديث الشريف يبين أنه هكذا تكون حال الناس في المجتمع فإنه لا يخلو مجتمع من بعض صور المنكر والفساد التي يقدم عليها ضعاف الإيثار، وقد يلتمس بعضهم لنفسه مبرراً في ما يفعل كأن يقول هذه حرية شخصية، وأنا حر أصنع في ملكي ما أشاء، فإن قام أهل الرشد بواجبهم في إنكار هذه المنكرات والأخذ على أيدي الظالمين صلح المجتمع ونجا الجميع من غضب الله عز وجل، وأما إن تقاعسوا عن هذا الواجب وغلبت كلمة المداهنين فإن العقوبة الإلهية تعم الجميع. وتلك سنة إلهية لا تتغير، قال الحافظ: «وهكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه؛ وإلا هلك العاصي بالمعصية والساکت بالرضا بها» (فتح الباري).

أولاً: الدراسة اللغوية: (معاني المفردات):

المَثَل والمِثْل والمَثِيل: واحد ومعناه الشبيه.

حدود الله: المراد بالحدود هنا ما نهى الله عنه، وأصل الحد في اللغة المنع والفصل بين الشيئين، ومنه حد الدار وهو ما يمنع الغير من الدخول فيها، والحداد الحاجب والبواب.

استهموا: اقترعوا، والسهم في الأصل واحد السهام التي يضرب بها في الميسر وهي القداح، ثم أطلق على ما يأخذه الفائز في الميسر، ثم كثر حتى سمي كل نصيب سهماً.

خرقنا في نصيينا خرقاً: الخرق هو الشق أو الثقب.

أخذوا على أيديهم: أي منعوهم.

مسائل نحوية:

من المسائل النحوية التي يمكن الوقوف عندها في هذا الحديث ما يلي:

١ - قوله: (مَثَلٌ) مرفوع بالابتداء، وأما الخبر فإننا إذا اعتبرنا الكاف في قوله: (كمثل) اسماً فإنها تكون هي الخبر، وأما إذا اعتبرناها حرفاً فإن الخبر يكون محذوفاً تقديره مستقر أو موجود، وذلك مثل ما قيل في إعراب قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧]، أنه يمكن أن يكون الخبر في الكاف.

٢ - قوله ﷺ: «لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيِّنَا خَرْقًا»: أسلوب شرط، جوابه محذوف تقديره: لكان خيراً أو نحو ذلك، أو يكون قولهم (لم نؤذ) هو الجواب، وتكون الواو زائدة. وذلك كما قيل في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِمْ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]، فقد ذكروا أن جواب لما محذوف تقديره: (فعلوا به ما فعلوا)، أي: (لَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا فَعَلُوا بِهِ مَا فَعَلُوا)، وقيل: إن الجواب هو (أوحينا) والواو مقحمة، ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَلَّاهُ لَلْجَيْنِ﴾ [الصافات: ١٠٣] أي: (ناديناه).

٣ - قوله ﷺ: (فإن يتركوهم): إن شرطية جوابها هلكوا، وضمير الرفع (الواو) عائد على أهل العلو في السفينة، وضمير النصب (هم) عائد على أهل السفلى.

- ٤ - قوله ﷺ: (وما أرادوا)، الواو بمعنى مع، و(ما) مصدرية أو موصولة، فعلى الأول يكون المعنى: (وإرادتهم)، وعلى الثاني يكون المعنى: (والذي أرادوا).
- ٥ - قوله ﷺ: (هلكوا جميعاً)، الواو في (هلكوا) تعود على الفريقين معاً، و(جميعاً) حال.

٦ - قوله ﷺ: (نَجُوا ونَجُوا جميعاً)، الواو في (نَجُوا) الأولى عائد على الآخذين، وفي نَجُوا (الثانية) عائد على المأخوذين.

٧ - قوله ﷺ: في كتاب الشهادات: (فكان الذي في أسفلها يمرون)، وكذا ما جاء في بعض الروايات في كتاب الشركة (فكان الذي في أسفلها إذا استقوا مروا)، فيه إشكال من حيث إن قوله: (الذي) مفرد، فكيف قال في شأنه يمرون أو مروا، ولم يقل يمر أو مر؟

ويمكن أن يجاب عن ذلك بأحد الأجوبة التالية:

أ - أن يقال: إن (الذي) يقع عند بعض العرب للواحد والجمع؛ أي تكون بمعنى: (من - ما) فيعود الضمير إليه تارة بلفظ المفرد وتارة بلفظ الجمع، قال القرطبي: «قال ابن الشجري هبة الله بن علي: ومن العرب من يأتي بالجمع بلفظ واحد، كما قال الشاعر:

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

وقيل في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، إنه بهذه اللغة، وكذلك قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي﴾ [البقرة: ١٧] قيل: المعنى كمثل الذين استوقدوا، ولذلك قال: ذهب الله بنورهم، فحمل أول الكلام على الواحد وآخره على الجمع (تفسير القرطبي).

ب - أن يقال: إن الذي هنا مخففة من الذين، وقد قال الزمخشري ما حاصله

أن الذي لكونه اسم موصول يحتاج إليه في وصف كل معرفة بجمله، ويتكاثر وقوعه في كلامهم، فإنه يقبل التخفيف، فكذا يقبل جمعه (الذين) التخفيف، كما أن الياء والنون في (الذين)، ليستا كالياء والنون في جمع المذكر السالم في قوة الدلالة على الجمع؛ لذا ساغ حذفها ولم يمتنع كما هو الحال في جمع المذكر السالم وأشباهه. (الكشاف).

ج - غير أنه يمكن توجيه قوله (الذي) في الحديث الذي بين أيدينا توجيهًا آخر، وهو أن تكون (الذي) هنا صفة لموصوف مفرد اللفظ، ولكنه جمعٌ في المعنى وذلك كلفظ (الجمع) فكأنه قال: (فكان الجمع الذي في أسفلها يمرون) فلما اعتبر لفظه وصف بالذي، ولما اعتبر معناه أعيد عليه ضمير الجماعة، أفاد ذلك صاحب المصابيح، وقال فيما نقله عنه القسطلاني في شرحه على صحيح البخاري: «وهو أولى من أن يجعل الذي مخففًا من الذين بحذف النون».

نظرات بلاغية

لا يخفى أن الرسول الكريم ﷺ هو أفصح البشر لسانًا، وأبلغهم بيانًا، فقد كان كلامه كما قال الجاحظ: «هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه..، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعًا، ولا أصدق لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ».

ووصف الرافعي - رحمه الله - كلامه ﷺ من الناحية البيانية بأنه: حسن المعروض، بيّن الجملة، واضح التفصيل، ظاهر الحدود، جيد الرصف، متمكن المعنى، واسع الحيلة في تصريفه، بديع الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان، ثم لا ترى فيه إحالة ولا استكراهًا، ولا ترى اضطرابًا، ولا خطأ، ولا استعانة من عجز، ولا توسعًا من ضيق، ولا ضعفًا في وجه من الوجوه.

وقد حق علينا أن ننظر في هذا الحديث الشريف من الناحية البلاغية، لنحاول أن نكشف بحول الله عن بعض ما تضمنه من جوانب البلاغة العظيمة التي تعجز عن أن تدانيها فصاحة الفصحاء وبلاغة البلغاء.

وسوف نهج في هذا المضمار نهج علماء البلاغة حيث نذكر ما في الحديث من هذه العلوم الثلاثة.

أولاً: المعاني:

الأسلوب في هذا الحديث أسلوب خبري يخبر الرسول ﷺ فيه بحال الناس، ويشبههم براكبي سفينة، غير أن هذا الأسلوب الخبري قد خرج على خلاف مقتضى الظاهر، فليس المراد من الخبر هنا مجرد إفادة السامع بالخبر، ولا إفادته أن المتكلم عالم بالخبر، وإنما الغرض منه الحث وتحريك الهمة نحو القيام بواجب الأمر والنهي.

ثانياً: البديع:

في الحديث من المحسنات المعنوية: الطباق في جمعه بين (القائم) و(الواقع)، وبين: (أعلاها) و (أسفلها)، وبين: (هلكوا) و (نجوا).

والطباق هنا من نوع طباق الإيجاب، وهو الذي يُعرّفه البلاغيون بأنه ما جُمع فيه بين الشيء وضده؛ فالقائم ضد الواقع، والأعلى ضد الأسفل، والهلكة ضد النجاة.

وليس من شك في أن هذا الطباق قد أبرز المعنى وزاده وضوحاً، فإن الضد - كما يقولون - يُظهر حسنه الضد، ويزيد من حسنه أنه أتى في كلامه ﷺ عفواً لا يحس المرء فيه شيئاً من التكلف المذموم، فإنّ تكلف المحسنات البديعية وتعمدها مما يفقد الكلام سلاسته ويحبس المعاني والأفكار.

ثالثاً: البيان:

اشتمل الحديث من الصور البيانية على ما يلي:

١ - الاستعارة في قوله: (القائم على حدود الله)، وهي استعارة مكنية، شبهت فيها المعاصي بوهدة من الأرض محدودة بحدود وحوها رجال يحرسونها، ويمنعون الناس من الوقوع فيها، ثم حذف المشبه به وأتى بلازمة من لوازمه وهي الحدود.

ونفس الشيء يقال في قوله: (الواقع فيها).

وهذا تعبير يوحي بمدى الهوة السحيقة التي يهوي إليها أصحاب المنكر المخالفين لأمر الله، ومدى خطورة الواجب الملقى على عاتق المصلحين في الأمة فهم حراس الفضيلة القائمون على حدود بئر الرذيلة، مانعين الناس من التساقط فيها.

٢ - الكناية في قوله ﷺ: (أخذوا على أيديهم)، فإن الأخذ على اليد كناية عن استعمال الشدة والقوة، والتعبير بعلى يفيد الاستعلاء والفوقية، كما ذكر الحافظ ابن حجر في حديث: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)، حيث قال: قوله: (تأخذ فوق يديه) كنى به عن كفه عن الظلم بالفعل إن لم يكف بالقول، وعبر بالفوقية إشارة إلى الأخذ بالاستعلاء والقوة.

٣ - التشبيه التمثيلي في قوله: (مثل القائم على حدود الله...) إلخ، وهو تشبيه معقول بمحسوس؛ شبهت فيه الهيئة الحاصلة من قيام المسلمين بواجبهم في تغيير المنكر بالهيئة الحاصلة من قيام أهل السفينة بمنع من يريد خرقها من الإقدام على ما يريد، كما شبهت الهيئة الحاصلة من التقاعس عن تغيير المنكر بحال أهل السفينة إن تركوا من يريد خرقها يفعل ما يشاء.

ووجه الشبه هنا صورة منتزعة من متعدد؛ وهي منتزعة في الحالة الأولى من هيئة النجاة المترتبة على قيام قوم بما يجب عليهم، وفي الحالة الثانية من هيئة الهلاك الناجم عن تقصيرهم في ما يجب عليهم؛ فكما أن أهل السفينة سينجون إن أخذوا على يد من يريد خرقها، فإن النجاة ستكون مصير الجميع في مجتمع يأخذ أهله على يد العابثين، وكما أن الغرق سيكون مصير أهل السفينة إن تركوا مريد الخرق يفعل ما يريد فإن مجتمع المداهين الساكتين عن أهل المنكر سيؤول إلى هلاك محتم.

ومن أجل هذا قلنا إن هذا التشبيه هو من نوع تشبيه التمثيل، وذلك جرياً على اصطلاح جمهور البلاغيين الذين يرون أن التشبيه التمثيلي ما كان وجه الشبه فيه منتزعا من متعدد.



التطبيق الثاني

قال الشاعر:

كذا صاغك الله يابن الوجود وألقتك في الكون هذه الحياه
فما لك ترضى بذل القيود وتحنى لمن كبلوك الجباه
ألا انهض وسر في طريق الحياه فمن نام لم تنتظره الحياه

(١) ما الذى ينكره الشاعر على الإنسان ؟ وبم نصحه ؟

(٢) هات مرادف (صاغك - وكبلوك)

(٣) عين في البيت الثالث أسلوبًا وبين الغرض منه، ووضح ما في قوله: (تحنى لمن كبلوك الجباه) من بيان.

(٤) ما العلاقة بين الشطر الأخير من البيت الثالث والشطر الأول منه ؟

(٥) ألقتك في الكون هذه الحياه، أكد هذه الجملة بمؤكدين .

الإجابة

(١) ينكر الشاعر على الإنسان أن يقبل حياة الذل والاستعباد وأن يرضى بحياة العبودية وقهر المستعمرين.

(٢) مرداف (صاغك): خلقك، و(كبلوك): قيدوك.

(٣) الأسلوب الإنشائي قول الشاعر (انهض - وسر)، وهو أمر الغرض منه النصح والحث والإرشاد.

وفي قوله: (وتحنى لمن كبلوك الجباه): كناية عن الذل والهوان والحياة الوضيعة التى يعيشها المغلوب على أمره، كما تفيد شدة بطش المستعمرين وظلمهم.

(٤) العلاقة وطيدة بين الشطر الأخير من البيت الثالث والشطر الأول منه فقد نصح الشاعر من يعيش ذليلاً مقيداً أن ينهض وأن يخلص من قيوده ليعيش حياته الكريمة ويتبوأ مكانته تحت الشمس ثم نراه في الشطر الأخير يبين له نتيجة القانعين والخاملين الذين يحاولون الوصول إلى الحياة الكريمة وكيف أن الحياة تلفظهم ولا تحفل بهم.

(٥) لقد ألفتك في الكون هذه الحياه.



التطبيق الثالث

قال العباس بن الأحنف:

وإني لأستهدي الرياح سلامتكم وإذا أقبلت من نحوكم بهبوب
وأسألها حمل السلام إليكم فإن هي يومًا بلغت فأجيبي
أرى البين يشكوه المحبون كلهم فيا رب قرب دار كل حبيب

- (١) ما لون العاطفة المسيطرة في الأبيات ؟ وما أثرها في ألفاظ الشاعر؟
- (٢) عين من الأبيات أسلوبًا خبريًا. وآخر إنشائيًا. وبين الغرض البلاغي لكل منهما.
- (٣) استخرج من الأبيات صوره بلاغية. ووضحها. وبين أثرها في المعنى.
- (٤) عين ماورد في الأبيات من مؤكدات.

الإجابة

- (١) العاطفة المسيطرة في الأبيات عاطفة صادقة. وهي عاطفة الشوق، والحنين. مما جعل الشاعر في حيرة واضطراب من أمره، وقد كان لها أثر في ألفاظه، فجاءت موحية، مثل: (أستهدي الرياح - أسألها حمل السلام - أجيبي - البين - يارب قرب ..).
- (٢) الأسلوب الخبري: «وإني لأستهدي الرياح» وهو خبري إنكاري. أكد بأكثر من مؤكد واحد والغرض منه التحسر. والاستعطاف. وإظهار الحيرة والضعيف.

الأسلوب الإنشائي: (يارب قرب دار كل حبيب)، وهو نداء الغرض منه الالتماس والاستعطاف.

(٣) الصورة البلاغية: (أستهدي الرياح سلامكم) استعارة مكنية تصور الرياح إنساناً يحمل السلام. ثم يقول: (إذا أقبلت)، وذلك ترشيح لها.

أثرها قي المعني: توضيح المعنى بتشخيص الرياح. وجعلها إنساناً.

(٤) من المؤكدات: (إن) في: (إني لأستهدي). و(كل) في (المحبون كلهم).



التطبيق الرابع

قال الشاعر:

سأحمل روحي على راحتى وألقي بها في مهاوى الردى
فإما حياة تسر الصديق وإمامات يغيظ العدا
ونفس الشريف لها غايتا ن، ورود المنايا، ونيل المنى

(١) ما العاطفة المسيطرة على الشاعر في الأبيات؟ وما أثرها في تعبيره؟

(٢) اشرح الأبيات في عبارة أدبية بأسلوبك .

(٣) عين في الأبيات صورة بلاغية. ومحسنًا بديعيًا. واذكر أثر كل منهما.

(٤) لنفس الشريف غايتان، أكد هذه الجملة بإن. واكتبها صحيحة.

الإجابة

(١) العاطفة المسيطرة على الشاعر: عاطفة حب شديد لوطنه. دفعته إلى شرف الدفاع عن الوطن وطنه السليب «فلسطين» فَتَفْسُهُ أَبْيَّةٌ. وشجاعته فائقه. وقد جاءت ألفاظه معبرة عن مشاعره، من ذلك (أحمل روحي - مهاوي الردى - حياة - ممات - نفس الشريف - المنايا - المنى).

(٢) شرح الأبيات: لقد عقدت العزم على الدفاع عن أرضي وأهلي.

لأحقق إحدى غايتين: إما حياة حرة كريمة تسر الأحاب والأصدقاء. وإما موت شريف يغضب الأعداء. ويغيظهم.

والجدير بالذكر: أن الشاعر فاز بشرف الاستشهاد في حرب فلسطين سنة

(٣) الصورة الخالية: الكناية في قول الشاعر (أحمل روحي على راحتني. ألقى بها في مهاوى الردى): كناية عن الشجاعة، والبطولة.

والمحسن البدعي في البيت الثاني: الطباق. والمقابلة في شطريه. وقد أثار ذلك الانتباه. وأيقظ الشعور. وأكد المعنى. وعمقه في النفس، كما أحدث إمتاعاً فنياً.

(٤) إن لنفس الشريف غايتين.



التطبيق الخامس

قال الشاعر:

وحرًّا كنور الضحى في سماه	خلقت طليقًا كطيف النسيم
وتشدو بها شاء وحي الإله	تغرد كالطير أين اندفعت
وألقتك في الكون هذي الحياه	كذا صاغت الله يابن الوجود
وتحنني لمن كبلوك الجباه	فمالك ترضى بذل القيود
فمن نام لم تنتظره الحياه	ألا انهض وسر في سبيل الحياة

(١) ما الفكرة التي تناولها الشاعر؟ وكيف وُفِّق في اختيار الألفاظ لها؟

(٢) اختر الإجابة الصحيحة من بين كل قوسين فيما يلي:

١ - ما لك ترضى: استفهام غرضه:

(التحسر - التَّعَجُّب والاستنكار - الحث).

٢ - ألا انهض: أمر غرضه:

(التوبيخ - الحث - التمني - التعجيز).

٣ - ابن الوجود:

(تشبيه - مجاز مرسل - استعارة - كناية).

(٣) فمن نام لم تنتظره الحياه، ما علاقة هذه الحكمة بما قبلها؟

(٤) استخرج من الأبيات ما يلي:

- تقديمًا واذكر قيمته.

- تشبيهًا واستعارة وكناية وشرح كلا منهم، وبين قيمته.

الإجابة

(١) يوجه الشاعر حديثه إلى كل إنسان ملفتاً نظره إلى أهمية الحرية والحرص عليها. فبدونها لا تتحقق السعادة. فقد خلق الله الإنسان متمتعاً بالحرية. فيجب عليه ألا يتخلى عنها.

(٢)

١ - ما لك ترضى؟: استفهام غرضه التعجب والاستنكار.

٢ - ألا انهض، أمر غرضه: الحث.

٣ - ابن الوجود: كناية عن موصوف وهو الإنسان.

(٣) فمن نام لم تنتظره الحياة: علاقة هذه الحكمة بما قبلها تعليل، وفيها تصوير الذليل الذي يضيع فرصة الحرية بالنائم الذي لا يهتم بما حوله من كفاح ونضال.

(٤) التقديم: وألقتك في الكون هذى الحياة: فيها تقديم الجار والمجرور على الفاعل. وتحنى لمن كبلوك الجباه: فيها تقديم الجار والمجرور على المفعول به للتوكيد والتخصيص.

من التشبيهات: تغرد كالطير أين اندفعت: تشبيه الإنسان الحر بالطير المنطلق الذي يغرد ويشدو كيفما شاء. وهو يوحى بأهمية الحرية. وكذا صاغك الله: صور الإنسان بقطعة فنية تحتاج إلى دقة في صناعتها؛ لأن الصياغة تقتضي الدقة. وهذه الصورة توحى بأن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم.



تَدْرِيبَاتٌ عَامَّةٌ

التدريب الأول

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما بوع بالخلافة:

أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ فَإِنِ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي؛ وَإِنِ
أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي؛ الصَّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي
حَتَّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى أَخْذَ الْحَقَّ
مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

لَا يَدْعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالذَّلِّ وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ
فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِذَا عَصَيْتُ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ. قُومُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ.

(١) أخرج من الخطبة ما يلي:

١ - مُؤَكِّدِينَ.

٢ - أَسْلُوبَ قَصْرٍ.

٣ - مُحْسِنِينَ بَدِيعِينَ.

٤ - أَسْلُوبًا إِنْشَائِيًّا.

(٢) وضح الصورة الخيالية في قوله: ضربهم الله بالذل.

(٣) اشرح الخطبة بأسلوبك.

(٥) ظهر التواضع في الخطبة، وضح ذلك.



التدريب الثانى

قال شوقي:

قم للمعلم وفه التبجيلا	كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرف أو أجل من الذي	ينني وينشئ أنفسا وعقولا ؟
سبحانك اللهم خير معلم	علمت بالقلم القرون الأولى
أخرجت هذا العقل من ظلماته	وهديته النور المبين سبيلا

(١) أشاد شوقي بالمعلم. ما الصفات التي وصفه بها في إيجاز.

(٢) تخير الإجابة الصحيحة من بين كل قوسين:

قم للمعلم: أمر، غرضه: (النصح - المدح - الالتماس).

في الشطر الثاني من البيت الأول (كناية - استعارة - تشبيه).

(٣) في البيت الثاني أسلوب إنشائي، بين نوعه. وحوله إلى خبري .

(٤) من ظلماته: وضح الصورة الخيالية، واذكر قيمتها الفنية.

(٥) اشرح الأبيات بأسلوبك.



التدريب الثالث

قال الشاعر:

لو لم تكن مصر العريقة موطني لغرستُ بين ترابها وجداني
وسلكت درب الحب مثل طيورها وغدوت زهرا في ربا بستان
وجعلت من عطر الزمان قلائدا ونسجت بين قبائها إيماني

(القباء = الثوب الذي يلبس، والجمع (أقبية)).

(١) ما الأفكار التي تضمنتها الأبيات؟ وما مدى ملاءمتها للعاطفة؟

(٢) تأثرت عبارات الشاعر بوجدانه ..، وضح ذلك.

(٣) في البيت الأول صورة خيالية، وضحها. وبين قيمتها الفنية.

(٤) عطر الزمان - دار الزمان، أي التعبيرين أجمل؟ ولماذا؟



التدريب الرابع

قال البحري:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النيروز في غسق الدجى أوائل ورد كن بالأمس نوما
يفتها برد الندى، فكأنه يبت حديثا كان قبل مکتها

(١) ما الجو النفسي الذي يعيشه الشاعر؟ وما أثره في اختيار الألفاظ؟

(٢) اذكر ما توحى به الكلمات: (يختال - يفتها - يبت) .

(٣) في البيتين الآخرين محسنات، حددها وبين سر جمالها .



التدريب الخامس

قال أبو القاسم يخاطب طغاة الاستعمار:

ألا أيها الظالم المستبد حبيب الفناء عدو الحياة
سخرت بأنات شعب ضعيف وكفك مخضوبة من دماه
وعشت تدنس سحر الوجود وتبذر شوك الأسى في رباه

(١) عبر بإيجاز عن أفكار الشاعر.

(٢) ما الجو النفسى الذى يعيشه الشاعر؟

(٣) ما قيمة التعبير بكلمات (سخرت - الأسى - المستبد)؟

(٤) أى الكلمتين (مخضوبة - ملوثة) أجمل؟ ولماذا؟

(٥) ما الأسلوب الإنشائى فى البيت الأول، وما غرضه؟

(٦) (شوك الأسى) تعبير خيالى: (استعارة - تشبيه - كناية).



التدريب السادس

لأبى العتاهية:

يا نفس قد أزف الرحيل وأظلك الخطب الجليل
فتأهبي يا نفس. لا يلعبن بك الأمل الطويل
فلتنزلن بمنزل ينسى الخليل به الخليل
وليركبن عليك فيه من الثرى ثقل ثقل

(١) هات جمع (الخليل) في جملة وابدأ به .

(٢) تأهبي: أسلوب إنشائي أمر غرضه: (التحذير - النصيح - الالتماس).

يا نفس: أسلوب إنشائي نداء غرضه: (الحسرة - التمني - التهديد).

يلعبن بك الأمل: خيال: (تشبيه - مجاز مرسل - استعارة).

حدد الإجابة باختيار الكلمات المناسبة مما بين كل القوسين .

(٣) في الأبيات أساليب توكيد، اذكرها. ووضح الهدف منها .

(٤) في البيت الأخير ضعف في التعبير وضح .



التدريب السابع

قال أبو العلاء:

سر إن استطعت في الهواء رويدا لا اختيلا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحدًا مرارا ضاحك من تزاحم الأضداد
تعب كلها الحياة. فما أعجب إلا من راغب في ازدياد

(١) ضع مكان كلمة (رويدا) كلمة أخرى بمعناها، واذكر مضاد (اختيلا) في جملة من أسلوبك.

(٢) وضح الصورة الخيالية في البيت الثاني، وبين ما توحى به.

(٣) في البيت الثالث أسلوب توكيد، ما طريقته؟ وما سر الجمال فيه؟

(٤) تخير الإجابة الصحيحة مما بين كل قوسين .

(سر إن استطعت): أمر غرضه: (النصح - التهديد - التمني).

(ضاحك) المراد بها: (مبتسم - سعيد - ساخر).



التدريب الثامن

فيم التناحر و الخلائق إخوة والعيش حق للجميع مباح
والدهر سمح. والحياة خصيبة والرزق جم. والبلاد فساح
أنظّل في الدنيا يفرق بيننا بغى ويجمعنا وغي وكفاح

(١) ما التجربة التي يتحدث عنها الشاعر؟ وإلام يدعو؟

(٢) أيها أجهل أن يقول: ويجمعنا وغي وكفاح - وغي وسلاح؟ ولماذا؟

(٣) عين في الأبيات صورة خيالية. ووضحها.

(٤) الخلائق إخوة. أكّدها.

(٥) ما الغرض من الاستفهام في كل من البيت الأول. والآخر؟



التدريب التاسع

قل للشباب: دع التلهي وانصرف للمجد واستلهم خطا الآباء
بالمجد تبلغ ما أردت. ولن ترى شعبا تخاذل عد في الأحياء
صوت الشباب من الزئير وإن دعا هز الرواسي عند كل دعاء

(١) ما نوع الأسلوب في البيت الأول؟

(٢) ما العاطفة من الأبيات؟ وما دليلها من الألفاظ؟

(٣) عين من الأبيات لوناً بيانياً. ومحسناً بديعياً. وبين نوعهما. وأثرهما في المعنى.

(٤) ما القيمة التعبيرية لقوله: (عد في الأحياء - هز الرواسي)؟



التدريب العاشر

قال الأديب الشاعر مصطفى صادق الرافعي:

بلادي هواها في لساني وفي دمي يمجدها قلبي. ويدعو لها فمي
ولا خير فيمن لا يحب بلاده ولا في حليف الحب إن لم يتيم
ومن تؤوه دار فيجحد فضلها يكن حيواناً فوقه كل أعجم

(١) ما العاطفة المسيطرة على الشاعر. وما أثرها في اختيار ألفاظه؟

(٢) ما نوع الأسلوب في الأبيات؟ وما الغرض البلاغي منه؟

(٣) استخرج من الأبيات صورة بلاغية. وبين أثرها البلاغي؟

(٤) بين البيتين الأول والثالث رباط في المعنى. وضح ذلك.



التدريب الحادي عشر

لأحمد شوقي في عمر المختار:

ركزوا رفاتك في الرمال لواء يستنهض الوادي صباح مساء
يا ويجهم نصبوا مناراً من دمي وحي إلى جيل الغد البغضاء
ما ضر لو جعلوا العلاقة في غد بين الشعوب مودة وإخاء

- (١) ما الذي يوحى به كل من (ركزوا - يستنهض) ؟
 - (٢) ما نوع الأسلوب في البيت الأخير؟ وما القيمة الجمالية له.
 - (٣) عين في الأبيات محسنًا بديعًا. وبين نوعه.
 - (٤) ما العاطفة التي سيطرت على الشاعر في هذه الأبيات ؟
 - (٥) جاءت الأبيات أسلوبًا خبريًا. ما الغرض البلاغي له ؟
 - (٦) استخرج ما يلي:
- ١ - محسنًا بديعًا، واذكر نوعه.
 - ٢ - إيجازا.
 - ٣ - تقديمًا، واذكر غرضه.



التدريب الثانى عشر

قال الشاعر:

أمتي إني أرى مستقبلا مشرق الوجه عظيم الموكب
أمتي إني لما أبدعته من بطولات الدم المنسكب
وانتفاضات على أغلالنا واثق من نصرك المقرب

(١) ما الأفكار في الأبيات ؟ وما القيمة الفنية لكلمة (المنسكب) ؟

(٢) وضح الخيال في البيت الأول. وبين أثره.

(٣) في البيت الأخير تقديم. بينه. ووضح أثره.

(٤) استخرج من الأبيات أسلوبًا خبريًا. وآخر إنشائيًا. وبين الغرض منهما.

(تمت بحمد الله)



الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد انتهى - بفضل الله - وتوفيقه كتاب «الكافي في البلاغة» وأسأل الله - سبحانه - لهذا العمل الرضا والقبول، وأن ينتفع به الطلاب والدارسون، والأساتذة والباحثون، قَدَرَ ما تعبت فيه، وأن يكون ذخراً لي في الآخرة، وأرجو من الله الكريم المنان أن يغفر لي ولوالدي ولأساتذتي الأجلاء، ولكل مشغل بالعلم الشريف.

ولعل دعوةً صالحةً تنالني من أخٍ كريمٍ، يغفرُ الله بها الزلل، ويعفو عن الخطل، ويسد الخلل، ويقل العثرات، ويصفح عن السيئات، ويزيد من الحسنات.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا مُسِيئِينَ أَوْ أخطَانَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وصل اللهم وسلم وبارك على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم
والحمد لله رب العالمين



كتب صدرت للشارح:

- الموسوعة الشاملة في النحو والصرف .
 - المعجم الكافي لبيان الدلالات اللفظية على المتشابهات .
 - النحو الكافي .
 - الصرف الكافي .
 - الكافي لتعليم القراءة والكتابة .
 - الكافي لتعليم خط النسخ .
 - الكافي في سيرة الرسول .
 - الكافي في مهارات المعلم وأخلاقيات المهنة .
 - الكافي في شرح الآجرومية .
 - فنون الإملاء والكتابة العربية .
 - الأيمان والندور في ضوء القرآن والسنة .
 - الكافي في شرح البلاغة العربية .
 - الكافي في إعراب القرآن وتفسيره (ينتظر قريباً).
 - الكافي في شرح ألفية ابن مالك
 - ملخص قواعد اللغة العربية
- نرحب بتعليقات السادة القراء على:

Abosharef2000@yahoo.com



الفهرس

٤.....	مقدمة الطبعة الجديدة
٧.....	مقدمة الطبعة الأولى
٩.....	مقدمة المؤلف
١٠.....	تقديم أ. د/ رشدي طعيمة
١٢.....	مقدمة الأستاذ الدكتور فتحي حجازي
١٢.....	كلمة وتقدير
١٥.....	تقديم الدكتور الشيخ ياسر برهامي

الباب الأول: تمهيد

١٩.....	تمهيد
١٩.....	البلاغة في اللغة
٢٠.....	بلاغة الكلام في الاصطلاح
٢١.....	البلاغة في الاصطلاح
٢٣.....	كيف يمتلك الإنسان البلاغة؟
٢٣.....	فوائد دراسة البلاغة
٢٤.....	وظائف

- الغرض من دراسة علوم البلاغة والأدب ٢٥
- الفصاحة ٢٧
- الفصاحة في اللُّغة ٢٧
- الفصاحة عند علماء البلاغة ٢٨
- شروط الكلام الفصيح ٢٩
- أولاً: الغرابة ٢٩
- ثانياً: تنافر الحروف ٣٠
- ثالثاً: مخالفة القياس النحوي أو الصرفي ٣١
- رابعاً: كراهية السمع لها ٣٢
- كراهة التقعير في الكلام والتشذُّق ٣٦

البَابُ الثَّانِي عِلْمُ الْبَيَانِ

- الفصل الأول التشبيه ٣٩
- علم البيان ٤١
- واضع هذا العلم ٤٢
- أولاً: التَّشْبِيهُ ٤٢
- أركان التشبيه ٤٢
- حروف التشبيه ٤٣

أفعال التشبيه	٤٣
ما وجه الشبه؟	٤٣
أنواع التشبيه	٤٦
١ - التَّشْبِيهُ الْمُفَصَّلُ	٤٦
٢ - التشبيه المُجْمَلُ	٤٧
٣ - التشبيه البليغ	٤٨
شواهد على التشبيه من القرآن	٥١
٣ - التشبيه التمثيلي	٥٢
٤ - التشبيه الضمني	٥٥
الفائدة البلاغية للتشبيه	٥٨
تدريبات	٦١
الفصل الثاني الاستعارة	٦٥
الاستِعَارَةُ	٦٧
الاستعارة في اللغة	٦٧
الاستعارة عند اليونانيين	٦٧
أنواع الاستعارة	٧٠
أولاً: الاستعارة التصريحية	٧٠
ثانياً: الاستعارة المكنية	٧٦

٨٢.....	ثالثاً: الاستعارة التمثيلية
٨٥.....	الفائدة البلاغية للاستعارة
٨٧.....	تدريبات
٩١.....	الفصل الثالث الكناية
٩٣.....	الكناية في اللغة
٩٣.....	الكناية في الاصطلاح
٩٤.....	حكمها
٩٤.....	أقسام الكناية
٩٤.....	أ - كناية عن صفة
٩٥.....	ب - كناية عن موصوف
٩٦.....	ج - كناية عن نسبة لموصوف
٩٨.....	الفائدة البلاغية للكناية
٩٨.....	أسلوب الكناية
١٠٠.....	فوائد الكناية
١٠٢.....	أمثلة من الكناية
١٠٧.....	التَّعْرِيزُ
١٠٧.....	التَّعْرِيزُ فِي اللُّغَةِ
١٠٧.....	التعريض في الاصطلاح

- الشرح التحليلي مع الأمثلة..... ١٠٨
- الفوائد البلاغية للتعريض ١٠٩
- أمثلة على التَّعْرِيضُ ١٠٩
- وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْكِنَايَةِ وَالتَّعْرِيضِ وَالتَّوْرِيَةِ ١١٢
- تدريبات ١١٤
- الفصل الرابع المجاز المرسل ١١٩
- تَمْهِيدٌ ١٢١
- المجاز لغة ١٢١
- الْمَجَازُ اصطلاحًا ١٢١
- شروط المجاز ١٢٣
- الحقيقة اصطلاحًا ١٢٣
- وَقْفَةٌ حَوْلَ الْمَجَازِ ١٢٤
- أولاً: تعريف الحقيقة ١٢٤
- ثانياً: تعريف المجاز ١٢٤
- شرح تعريف المجاز ١٢٥
- اختلاف العلماء في أصل وقوع المجاز ١٢٧
- الْمَجَازُ الْمُرْسَلُ ١٣٨
- تعريف الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ ١٣٨

- شرح تعريف المجاز..... ١٣٨
- علاقات المجاز المرسل..... ١٣٩
- ١ - الكلية..... ١٣٩
- ٢ - الْجُزْئِيَّة..... ١٤٠
- ٣ - الْمَحَلِّيَّة..... ١٤٢
- ٤ - الحالية..... ١٤٣
- ٥ - الْمُجَاوِرَةُ..... ١٤٤
- ٦ - السببية..... ١٤٥
- ٧ - الْمُسَبَّبِيَّة..... ١٤٦
- ٨ - اعتبار ما كان..... ١٤٦
- ٩ - اعتبار ما سيكون..... ١٤٧
- ١٠ - الضدية..... ١٤٩
- فَوَائِدُ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ..... ١٥٠
- تدريبات..... ١٥١
- تدريبات عامة على علم البيان..... ١٥٥

الباب الثالث علم البديع: الْمُحَسِّنَاتُ الْبَدِيعِيَّةُ

- مَدْخُلُ لِعِلْمِ الْبَدِيعِ..... ١٦٧
- البديع في اللغة..... ١٦٧

١٦٧.....	علم البديع فى الاصطلاح
١٦٧.....	واضع علم البديع
١٦٩.....	الفصل الأول الطباق
١٧١.....	الطَّبَاقُ فى اللّغة
١٧١.....	والطباق فى الاصطلاح
١٧١.....	أمثلة على الطباق
١٧٥.....	أنواع الطباق
١٧٥.....	١ - طباق الإيجاب
١٧٥.....	٢ - طباق السلب
١٧٦.....	صورُ الطَّبَاقِ
١٧٦.....	١ - اسمينِ
١٧٧.....	٢ - فعلينِ
١٧٧.....	٣ - حرفينِ
١٧٧.....	٤ - لفظينِ من نوعينِ مختلفينِ
١٧٧.....	الفائدة البلاغية للطباق
١٧٩.....	تدريبات
١٨١.....	الفصل الثانى المقابلة
١٨٣.....	المُقَابَلَةُ لُغَةً

١٨٣.....	المُقَابَلَةُ اصْطِلَاحًا
١٨٣.....	صُورُ الْمُقَابَلَةِ
١٨٥.....	أمثلة على المُقَابَلَةِ
١٨٨.....	الفائدة البلاغية للمقابلة
١٨٩.....	تدريبات
١٩١.....	الفصل الثالث السجع
١٩٣.....	السَّجْعُ فِي اللُّغَةِ
١٩٣.....	السَّجْعُ فِي الاصْطِلَاحِ
١٩٩.....	الفائدة البلاغية للسَّجْعِ
٢٠٠.....	كلمة حول السجع
٢٠٠.....	تعريف الفاصلة
٢٠٦.....	كلمة موجزة عن الإعجاز اللغوي
٢٠٦.....	أولاً: الإعجاز اللغوي
٢٠٩.....	تدريبات
٢١١.....	الفصل الرابع الازدواج
٢١٣.....	الازدواج لغةً
٢١٣.....	الازدواج اصطلاحًا
٢١٣.....	أمثلة على الازدواج

٢١٧.....	الفائدة البلاغية للازدواج
٢١٨.....	تدريبات
٢٢١.....	الفصل الخامس الجنس
٢٢٣.....	الْجِنَاسُ فِي اللِّغَةِ
٢٢٣.....	وَالْجِنَاسُ فِي الاصطلاح
٢٢٤.....	أَنْوَاعُ الْجِنَاسِ
٢٢٤.....	أولاً: الْجِنَاسُ التَّامُّ
٢٢٨.....	ثانياً: الْجِنَاسُ النَّاقِصُ
٢٣٤.....	الفائدة البلاغية للجناس
٢٣٥.....	تدريبات
٢٣٩.....	الفصل السادس التصريع
٢٤١.....	التصريع في اللغة
٢٤٢.....	التصريع في الاصطلاح
٢٤٤.....	الفائدة البلاغية للتصريع
٢٤٥.....	تدريبات
٢٤٧.....	الفصل السابع التقسيم
٢٤٩.....	حسن التقسيم
٢٥١.....	الفائدة البلاغية لحسن التقسيم

٢٥٢.....	تدريبات
٢٥٣.....	الفصل الثامن الالتفات
٢٥٥.....	تعريف الالتفات
٢٥٥.....	صُورُ الالتفات
٢٥٩.....	الفائدة البلاغية للالتفات
٢٦١.....	تدريبات
٢٦٣.....	الفصل التاسع المدح بما يشبه الذم وعكسه
٢٦٥.....	تعريف المَدْحِ بِمَا يُشَبِّهُ الذَّمَّ
٢٦٩.....	الذَّمُّ بِمَا يُشَبِّهُ المَدْحَ
٢٧٠.....	الفائدة البلاغية للمدح بما يشبه الذم وعكسه
٢٧١.....	تدريبات
٢٧٣.....	الفصل العاشر التورية
٢٧٥.....	التَّوْرِيَةُ لُغَةً
٢٧٨.....	التَّوْرِيَةُ لُغَةً
٢٧٨.....	التَّوْرِيَةُ اصْطِلَاحًا
٢٨١.....	الفائدة البلاغية للتورية
٢٨٢.....	مَا الْفَرْقُ بَيْنَ التَّوْرِيَةِ وَالتَّضْيِيقِ؟
٢٨٧.....	مَا حُكْمُ الْإِسْلَامِ فِي التَّوْرِيَةِ؟

٢٩١.....	تدريبات
٢٩٣.....	الفصل الحادي عشر براعة الاستهلال
٢٩٥.....	تعريف بَرَاةُ الاستِهْلَالِ
٢٩٨.....	براعة الاستهلال
٣٠١.....	تدريبات
٣٠٥.....	الفصل الثاني عشر الاقتباس
٣٠٧.....	الاقتباس في اللغة
٣٠٧.....	الاقتباس اصطلاحاً
٣٠٨.....	أمثلة على الاقتباس
٣١٢.....	الخلاف الفقهي في المسألة
٣١٥.....	تدريبات
٣١٩.....	تدريبات على المحسنات البديعية

الباب الرابع: عِلْمُ الْمَعَانِي

٣٢٧.....	الأسلوب الخبري والإنشائي
٣٢٧.....	تعريف علم المعاني
٣٢٩.....	تعريف الأسلوب
٣٢٩.....	أولاً: الأسلوب الخبري

- ثانيًا: الأسلوب الإنشائي ٣٣٠
- أنواع الأسلوب الإنشائي ٣٣٠
- الإنشاء الطَّلَبِيّ ٣٣١
- الأمر ٣٣١
- الفائدة الحقيقية لفعل الأمر ٣٣٢
- الفوائد البلاغية لفعل الأمر ٣٣٢
- ١ - الدعاء ٣٣٢
- ٢ - الرجاء ٣٣٢
- ٣ - الالتماس ٣٣٣
- ٤ - النصيح والإرشاد ٣٣٣
- ٥ - التهديد والوعيد ٣٣٣
- ٦ - التعجيز ٣٣٤
- ٧ - التمني ٣٣٤
- ٨ - الذمُّ والتَّحْقِيرُ ٣٣٤
- النَّهْيُ ٣٣٦
- الفائدة الحقيقية للنهي ٣٣٦
- الفائدة البلاغية للنهي ٣٣٦
- ١ - الدعاء ٣٣٧

- ٢ - الرجاء ٣٣٧
- ٣ - الالتماس ٣٣٧
- ٤ - النصيح والإرشاد ٣٣٧
- ٥ - التهديد والوعيد ٣٣٨
- ٦ - التَّعْجِيز ٣٣٨
- ٧ - التمني ٣٣٨
- ٨ - الذم والتحقير ٣٣٩
- الاستفهام ٣٤٠
- تعريفه ٣٤٠
- أدوات الاستفهام ٣٤٠
- الفائدة الحقيقية للاستفهام ٣٤٠
- الْفَوَائِدُ الْبَلَاغِيَّةُ للاستفهام ٣٤٠
- ١ - التشويق ٣٤٢
- ٢ - النفي ٣٤٣
- ٣ - الفخر ٣٤٤
- ٤ - التعجب ٣٤٤
- ٥ - التعظيم ٣٤٦
- ٦ - التقرير ٣٤٧

- ٧ - التوبيخ ٣٤٨
- ٨ - السخرية والتهكم ٣٤٨
- ٩ - الحسرة والحزن ٣٤٩
- ١٠ - العتاب ٣٥٠
- ١١ - التهويل والتخويف ٣٥٠
- ١٢ - التهديد والوعيد ٣٥١
- ١٣ - الإنكار ٣٥١
- التَّمني ٣٥٣
- تعريفه ٣٥٣
- الفائدة الحقيقية للتمني ٣٥٣
- الفائدة البلاغية للتمني ٣٥٣
- هل - لعل ٣٥٣
- لو ٣٥٥
- عسى ٣٥٥
- النداء ٣٥٧
- تعريفه ٣٥٧
- الفائدة الحقيقية للنداء ٣٦١
- الفوائد البلاغية للنداء ٣٦٢

- ١ - التعظيم..... ٣٦٢
- ٢ - الحسرة..... ٣٦٢
- ٣ - التمني..... ٣٦٢
- ٤ - التوبيخ..... ٣٦٢
- الإنشاء غير الطلبي..... ٣٦٤
- تعريفه..... ٣٦٤
- التعجب..... ٣٦٥
- تعريفه..... ٣٦٥
- نوعا التعجب..... ٣٦٥
- الْمَذْحُ وَالْدَّمُ..... ٣٧٠
- لغات في (نِعَم - بَيْسَ)..... ٣٧١
- الفعل (ساء)..... ٣٧٢
- حبذا - لا حبذا..... ٣٧٢
- ١ - الفعل (حبذا)..... ٣٧٢
- الْقَسَمُ..... ٣٧٤
- تعريفه..... ٣٧٤
- مكوناته..... ٣٧٤
- تدريبات..... ٣٧٥

- الإيجازُ والإطنابُ ٣٨١
- الإيجازُ لُغَةً ٣٨١
- الإيجازُ في اصطلاح البلاغيين ٣٨١
- أولاً: الإيجاز ٣٨٤
- ١ - الإيجاز بالحذف ٣٨٤
- ٢ - الإيجاز بالقصر ٣٨٦
- مواضع يفضل فيها الإيجاز ٣٨٧
- الفائدة البلاغية للإيجاز ٣٨٨
- ثانياً: الإطناب ٣٨٨
- الإطناب في اللُّغة ٣٨٨
- الإطناب في اصطلاح البلاغيين ٣٨٨
- مواضع يفضل فيها الإطناب ٣٩٣
- الفائدة البلاغية للإطناب ٣٩٤
- ثالثاً: المُساوأة ٣٩٤
- مواضع يفضل فيها المساواة ٣٩٦
- تدريبات ٣٩٨
- التوكيد والقصر ٤٠١
- التوكيد في اللغة ٤٠١

- المُخَاطَبُ لَهُ ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ ٤٠١
- تَقْسِيمُ الْخَبَرِ إِلَى جُمْلَةٍ فَعْلِيَّةٍ وَجُمْلَةٍ اِسْمِيَّةٍ ٤٠٣
- ١ - الْجُمْلَةُ الْفَعْلِيَّةُ ٤٠٣
- ٢ - الْجُمْلَةُ الْاِسْمِيَّةُ ٤٠٤
- مُؤَكَّدَاتُ الْجُمْلَةِ الْاِسْمِيَّةِ ٤٠٤
- مُؤَكَّدَاتُ الْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ ٤٠٤
- الْفَائِدَةُ الْبَلَاغِيَّةُ لِلتَّوَكِيدِ ٤٠٧
- الْقَصْرُ ٤٠٨
- الْقَصْرُ لُغَةً ٤٠٨
- الْقَصْرُ اضْطِرَاحًا ٤٠٨
- طُرُقُ الْقَصْرِ ٤٠٩
- أَقْسَامُ أَسْلُوبِ الْقَصْرِ ٤٠٩
- أ - الْقَصْرُ مِنْ حَيْثُ الطَّرْفَيْنِ ٤٠٩
- ب - الْقَصْرُ مِنْ حَيْثُ الْحَقِيقَةِ وَالْوَاقِعِ ٤١٠
- أَمْثَلَةٌ عَلَى الْقَصْرِ ٤١١
- الْفَائِدَةُ الْبَلَاغِيَّةُ لِلْقَصْرِ ٤١٣
- الْأُسْلُوبُ ٤١٤
- تَعْرِيفُهُ ٤١٤

أقسامه	٤١٤
أولاً: الأسلوب العلمي	٤١٤
مميزات الأسلوب العلمي	٤١٤
نموذج للأسلوب العلمي	٤١٥
ثانياً: الأسلوب الأدبي	٤١٥
أهم مميزات الأسلوب الأدبي	٤١٥
نموذج الأسلوب الأدبي	٤١٧
ثالثاً: الأسلوب العلمي المتأدب	٤١٧
نموذج الأسلوب العلمي المتأدب	٤١٧
قال غير العرب عن العربية	٤١٩
العربية والإسلام	٤١٩
العرب والمعاجم	٤٢٠
شمول العربية واكتماها	٤٢١

تطبيقات عامة

التطبيق الأول	٤٢٧
أولاً: الدراسة اللغوية: (معاني المفردات)	٤٢٨
مسائل نحوية	٤٢٩

٤٣١.....	نظرات بلاغية
٤٣٢.....	أولاً: المعاني
٤٣٢.....	ثانياً: البديع
٤٣٣.....	ثالثاً: البيان
٤٣٥.....	التطبيق الثاني
٤٣٧.....	التطبيق الثالث
٤٣٩.....	التطبيق الرابع
٤٤١.....	التطبيق الخامس

تَدْرِيبَاتٌ عَامَّةٌ

٤٤٥.....	التدريب الأول
٤٤٦.....	التدريب الثاني
٤٤٧.....	التدريب الثالث
٤٤٨.....	التدريب الرابع
٤٤٩.....	التدريب الخامس
٤٥٠.....	التدريب السادس
٤٥١.....	التدريب السابع
٤٥٢.....	التدريب الثامن

٤٥٣.....	التدريب التاسع
٤٥٤.....	التدريب العاشر
٤٥٥.....	التدريب الحادى عشر
٤٥٦.....	التدريب الثانى عشر
٤٥٧.....	الخاتمة
٤٥٨.....	كتب صدرت للشارح
٤٥٩.....	الفهرس



كتاب التوقيف على السالكين

١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

